

الخطب المنبرية

لكتاب

كشف الشبهات

و. عبد الله القاسم

دار الفکر للطباعة والنشر

دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٣٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد الملك محمد

الخطب المنبرية لكتاب كشف الشبهات. / عبد الملك محمد

القاسم. - الرياض - ١٤٣٩هـ

٣١٠ ص؛ ٢٤×١٧ سم

ردمك: ٩ - ٠٧٨١ - ٥٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- الخطب الدينية ٢- الوعظ والإرشاد أ، العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٣٩/٨٤٤٧

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٨٤٤٧

ردمك: ٩ - ٠٧٨١ - ٥٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

المكتب الرئيس هاتف ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس ٤٠٣٣١٥٠

فروع دار القاسم

الربوة هاتف ٤٤٥٢٠٤٥ فاكس ٤٤٥٢٠٤٥

جدة هاتف ٦٠٢٠٠٠٠ فاكس ٦٣٣٣١٩١

الدمام هاتف ٨٤٣١٠٠٠ فاكس ٨٤١٣٠١١

موقعنا على الإنترنت www.dar-alqassem.com

البريد الإلكتروني sales@dar-alqassem.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الخطبة المنبرية

نكتاب

كشف الشبهات

المقدمة

الحمد لله وليّ المتقين، وناصر الموحدين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لأجل توحيد الله - عز وجل - وإفراجه بالعبادة؛ خلقت الخليفة، ولتحقيقه شرعت كل عبادة؛ فالتوحيد هو الغاية العظمى، والهدف الأسمى، والمقصد الأسنى، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولما اندرست معالم دين عيسى - عليه السلام - بعث الله محمداً ﷺ؛ يجدد للناس دين أبيهم إبراهيم - عليه السلام - ويدلهم على أن العبادة محض حق الله - تعالى -، لا يجوز صرف شيء منها لغيره - سبحانه وتعالى -.

ولما فشا الجهل في قرون متأخرة من رسالة محمد ﷺ؛ قام ورثة الأنبياء بالدعوة إلى الله، وحث الناس على الرجوع إلى الطريق المستقيم؛ فقام العلماء بذلك خير قيام؛ مشافهة ومكاتبة وتأليفاً.

ومن أولئك العلماء: الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - الذي ألف كتابه: (كشف الشبهات)، وقد أجمع علماء التوحيد على أنه لم يصنف في الإسلام مثله.

وقد كشف فيه - رحمه الله تعالى - شُبهاً وقعت في زمنه وقبله، ونراها قد وقعت بعده.

ولحاجة الناس إلى مادة الكتاب لتكون خطباً تُلقى على المنابر يوم الجمعة^(١)؛ أفرزت هذا الكتاب بخطب مختصرة مفيدة؛ ليس فيها إغراق في الشرح ولا إغلاق في المعنى، فأتى مناسباً لعامة الناس؛ أداءً للأمانة ونصحاً للأمة، وعامة الخطب من شروح العلماء. ونقلت أكثره من كتاب: (شرح كشف الشبهات) للشيخ: محمد بن إبراهيم - الذي قيده الوالد ورواه - برأ بهما - رحمهما الله تعالى -؛ لسهولة عبارته ووضوح معناه.

وقدمت بخمس خطب عن التوحيد وفضله. ثم بتعريف بالشبه والردّ عليها موجزاً. فجاء الكتاب كاملاً في: ثلاث وثلاثين خطبة.

وهذا الكتاب بردوده يقضي على الشبه من جذورها، ويفندها، ويقطع علائقها من أصولها. وقد فتح الله به قلوباً وبصائر كانت عن الحق غافلة، وبالشرك عاملة، وبرب العالمين وقدره جاهلة.

وميزت متن الكتاب باللون الأحمر، وما عداه باللون الأسود. أسأل الله - عز وجل - أن يجعله صواباً خالصاً لوجهه الكريم.

عبدُ الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم

(١) وقد ألقت كتاب: (خطب التوحيد المنبرية)، وكتاب: (خطب ثلاثة الأصول)، وكتاب: (خطب نواقض الإسلام)، وكتاب: (خطب الأربعون النووية) ونفع الله بها.

الخطبة الأولى (١)



الحمد لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون، وبعده ضل الضالون، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، أحمده - سبحانه - على هدايته وتوفيقه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا رب لنا سواه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، فالتقوى جماع الخيرات وبها تحصل البركات، وترفع الدرجات، وتمحى السيئات.

أيها المسلمون:

التوحيد أوجب الواجبات وأعظم العبادات، رتب الله لمن حققه الثواب العظيم والأجر الجزيل في الدنيا والآخرة.

قال - سبحانه وتعالى - في سورة الأنعام: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، أي أخلصوا العبادة لله وحده، ولم يخلطوا توحيدهم بشرك.

ولبس الشيء بالشيء: تغطيته به وإحاطته به من جميع جهاته، ولا يغطي الإيمان ويحيط به ويلبسه إلا الكفر.

ثم ذكر - عز وجل - ما أعد لعباده المخلصين من الجزاء: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ
الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ أي؛ هم الآمنون في الدنيا والآخرة، المهتدون
إلى الصراط المستقيم.

ولما نزلت هذه الآية شق على أصحاب رسول الله ﷺ ظنوا أن
الظلم المشروط هو ظلم العبد نفسه، وأنه لا أمن ولا اهتداء إلا لمن
لم يظلم نفسه، فقالوا: يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه؟ قال: «ليس
كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم بشرك، أولم تسمعوا إلى قول
لقمان»: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٣٦﴾ [لقمان: ١٣] «فبين ﷺ أن من لم
يلبس إيمانه بهذا الظلم كان من أهل الأمن والاهتداء، كما كان أيضاً
من أهل الاضطفاء في قوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا
مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ
اللَّهُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ﴿٣٦﴾ [فاطر: ٣٢].

والظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه، ومنه سُمي الشرك ظلماً،
والمشرك ظالماً؛ وهو على ثلاثة أنواع:

الأول منها: ظلم العبد نفسه بالشرك، وهو أعظم أنواع الظلم، وسُمي
الشرك ظلماً والمشرك ظالماً؛ لأنه وضع العبادة في غير موضعها، أو
صرفها لغير مستحقها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٣٦﴾.

الثاني: ظلم العبد نفسه بالمعاصي، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

الثالث: ظلم العباد في نفس أو مال أو عرض، فمن سلم من أنواع الظلم الثلاثة كان له الأمن التام والاهتداء التام في الدنيا والآخرة، ومن سلم من الظلم الأكبر ولم يسلم من النوعين الآخرين حصل له من نقص الأمن والاهتداء على قدر ظلمه لنفسه وظلمه للعباد، ومن لم يسلم من الظلم الأكبر لم يكن له أمن ولا اهتداء في الدنيا والآخرة.

عباد الله:

هناك من الناس من يظن أن التشديد في أمر التوحيد يختص بفئة من العلماء قالت بذلك، وقد رد عليهم الشيخ عبد الله أبا بطين - رحمه الله - بقوله: «قولكم: إن الشيخ تقي الدين ابن تيمية شدّد في أمر الشرك تشديداً لا مزيد عليه، فالله - سبحانه - هو الذي شدّد في ذلك، لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] في موضعين من كتابه، وقال على لسان المسيح لبي إسرائيل: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال الله - تعالى - لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ [التوبة: ٥].

وفي السنة الثابتة عن النبي ﷺ من التحذير عن الشرك والتشديد فيه ما لا يُحصى، وغالب الأحاديث التي يذكر فيها ﷺ الكبائر يبدأها بالشرك، ولما سُئل ﷺ: أي الذنوب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» [رواه مسلم].

قال شيخ الإسلام: «ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة الرسول والدعوة إلى غير الله، ومن تدبر هذا حق التدبر وجد هذا الأمر كذلك في نفسه عموماً وخصوصاً».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۗ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْأَمِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤-١٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، أحمده - سبحانه - وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، حمى حمى التوحيد، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، فأظهر الله به دينه على الدين كله ولو كره المشركون.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

توحيد الله هو العبودية التامة له وحده - سبحانه - تحقيقاً لكلمة الحق: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ: في لفظها، ومعناها، والعمل بمقتضاها، يقيم المسلم عليه حياته كلها، صلاته، ونسكه، ومحياه، ومماته.

والتوحيد هو أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، وقطب رحاه، وذروة سنامه، قامت عليه الأدلة، ونادت عليه الشواهد، وأوضحته الآيات، وأثبتته البراهين، نصبت عليه القبلة، وأسست عليه الملة، ووجبت به الذمة، وعصمت به الأنفس، وانفصلت به دار الكفر عن دار الإسلام، وانقسم به الناس إلى سعيد وشقي، ومهتد وغوي.

أيها المسلمون:

دل الكتاب والسنة على أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، فإنه لا يحصل كمال فضله إلا بكمال تحقيقه؛ وتحقيق التوحيد قدر زائد على ماهية التوحيد، وتحقيقه على نوعين، واجب ومندوب:

فالواجب: تخليصه وتصفيته عن شوائب الشرك والبدع والمعاصي وهذا مقام أصحاب اليمين؛ وهم الذين فعلوا الواجبات وتركوا المحرمات، فالشرك الأكبر ينافيه بالكلية، والشرك الأصغر ينافي كماله الواجب، والبدع تقدر في التوحيد، والمعاصي تنقص ثوابه، فلا يكون العبد محققاً للتوحيد حتى يسلم من الشرك بنوعيه، ويسلم من البدع والمعاصي.

والمندوب: تحقيق المقربين، فأضافوا إلى ما تقدم فعل المستحبات وترك المكروهات، وبعض المباحات؛ وهذا مقام السابقين المقربين، وحقيقته هو انجذاب الروح إلى الله، فلا يكون في قلبه شيء لغيره، فإذا حصل تحقيقه بما ذكر، فقد حصل الأمن التام، والاهتداء التام.

وحق العباد على الله؛ أن يوحدوه بالعبادة ويفردوه، ويتجردوا من الشرك صغيره وكبيره، ومن لم يتجرد من الشرك لم يكن آتياً بعبادة الله وحده، بل هو مشرك قد جعل لله نداً في عبادته.

عباد الله:

ما لم يتحقق التوحيد وإخلاص العبادة وتمام الخضوع والانقياد والتسليم، فلا تقبل صلاة ولا زكاة، ولا يصح صوم ولا حج، ولا يزكو أي عمل يتقرب به إلى الله، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. وإذا لم يتحقق التوحيد ويصدق الإخلاص فلا تنفع شفاعة الشافعين، ولا دعاء الصالحين، حتى ولو كان الداعي أشرف الأنبياء محمداً ﷺ، اقرؤوا إن شئتم: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]. فاتقوا الله - عباد الله - وحققوا إيمانكم، وأخلصوا أعمالكم، يهدكم ربكم، ويصلح بالكم.

هذا وصلوا وسلموا على من بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً، فقد أمركم الله بذلك، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن خلفائه الراشدين الأئمة المهديين الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

عباد الله:

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه وآلائه يزيدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون^(١).



(١) كان من هدي النبي ﷺ أنه يقرأ في صلاة الجمعة بسورتى «سبح اسم ربك الأعلى» و«الغاشية» أو بسورتى «الجمعة» و«المنافقون» أو «الجمعة» و«الغاشية» كما روى ذلك مسلم.

الخطبة الأولى (١)



الحمد لله أهل الحمد والشكر، والإحسان والبر، أحمده - سبحانه - وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، نعمه تَجَلَّ عن الحصر، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أكرم رسول نزل عليه أشرف ذكر، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين؛ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الحشر.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله - عز وجل -، فتقوى الله أكرم ما أسررتهم، وأجمل ما أظهرتهم، وأفضل ما ادخرتهم، أعاننا الله على لزومها، وأوجب لنا ثوابها.

أيها المسلمون:

التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه: فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّوهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] وأما أولياؤه فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها. ولذلك فزع إليه يونس فنجاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة.

عباد الله:

ولما ذكرنا التوحيد وفضله وتحقيقه في الخطبة السابقة؛ ناسب أن نذكر في هذه الخطبة الخوف من ضده وهو الشرك، ليحذره المؤمن ويخافه على نفسه.

فقد كان الأنبياء يخافون على أنفسهم الوقوع فيه، وقد حذر الله الأنبياء - مع منزلتهم العالية - من الوقوع في الشرك - وحاشاهم ذلك - قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] وعلى ذلك سار السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال حذيفة - رضي الله عنه -: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه»، وروي: «من أمن الله على دينه طرفه عين سلبه إياه».

وفي الحديث الذي رواه مسلم أنه ﷺ كان يكثر من قول: «يا مُقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» قيل له: يا رسول الله وإن القلوب لتتقلب؟ قال: «إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، يُقلبها كيف يشاء» فإن شاء - سبحانه - أقامها على دينه، وإن شاء أزاغها، فالعبد إذا من الله عليه بالتوحيد علماً وعملاً؛ فعليه الخوف من زوال هذه النعمة العظيمة.

وحقيقة الخوف من الشرك؛ صدق الالتجاء إلى الله والاعتماد عليه والابتغال والتضرع إليه، والبحث والتفتيش عن الشرك ووسائله وذرائعه؛ ليسلم من الوقوع فيه؛ فإن عقابه عظيم وجرمه كبير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

أي: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، أي عادل غيره به فيما يختص به - سبحانه - وصارف خالص حقه لغيره، ومشبه المخلوق العاجز بمن له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وإذا كان من مات على الشرك لا يُغفر له، وجب على العبد شدة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه عند الله، ومع كونه أعظم الذنوب عند الله - سبحانه -، ولا يغفر لمن لقيه فهو هضم للربوبية، وتنقص للألوهية، وسوء ظن برب العالمين.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾. أي: يغفر ما دون الشرك من الذنوب لمن يشاء من عباده، وفي الصحيح أنه ﷺ أعطى ثلاثاً منها: «وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحّمات» [رواه مسلم] يعني الكبائر، ففيه فضل السلامة من الشرك قليله وكثيره، صغيره وكبيره، فتبين بهذه الآية ونحوها أن الشرك أعظم الذنوب؛ لأن الله أخبر أنه لا يغفر لمن لم يتب منه، وأما ما دونه من الذنوب فهو داخل تحت المشيئة، إن شاء غفر لمن لقيه به، وإن شاء عذبه.

عباد الله:

يجب الحذر من الشرك كله ومن ذلك: ما وقع فيه كثير من المنتسبين إلى الإسلام من الشرك الأكبر، وذلك بالغلو في الأنبياء والصالحين، بسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، والنذر والذبح لهم، وطلب الشفاعة منهم، وقد حذر النبي ﷺ أمته من ذلك.

ولا كفارة لهذا الشرك إلا بالتوبة منه، وإخلاص العمل لله وحده، وإلا فمن مات عليه فإنه مُخلد في النار، قال - تعالى -: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

أيها المسلمون:

الخليل - عليه السلام - يدعو ربه بدعاء عظيم: ﴿ وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ

الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

أي: اجعلني وبنِيَّ في حيز وجانب عن عبادة الأصنام، وباعد بيننا وبينها، وهذا مما يخيف العبد، فإذا كان الخليل - عليه السلام - إمام الحنفاء الذي جعله الله أمة وحده، وابتلي بكلمات فأتهمهن، وقد كسر الأصنام بيده، يخاف أن يقع في الشرك، فكيف يأمن الوقوع فيه من هو دونه بمراتب، بل أولى بالخوف منه وعدم الأمن بالوقوع فيه.

قال إبراهيم التيمي: «ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟!».

وقد وقع في الشرك الكثير من هذه الأمة بعد القرون المفضلة، فبنيت المساجد والمشاهد على القبور وغيرها، وصرفت لها العبادات بأنواعها، وشابهوا ما وقع في الجاهلية وأعظم واتخذوا ذلك ديناً، وهي أوثان وأصنام، فإن الصنم ما كان مصوراً على أي صورة، والوثن ما عُبد مما ليس له صورة كالحجر والأبنية، وقد يُسمى الصنم وثناً، كما قال الخليل: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ [العنكبوت: ١٧] فالأصنام أوثان كما أن القبور بالنص أوثان، فالوثن أعم.

وقال بعض العلماء: كل ما عبد من دون الله، بل كل ما يشغل عن الله يقال له صنم، وقد بين الخليل - عليه السلام - السبب الذي أوجب له الخوف من ذلك بقول: ﴿ رَبِّ إِنِّي أَضَلَّلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

ومن أنواع الشرك ما ذكره النبي ﷺ بقوله: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» فسئل عنه فقال: «الرياء» [رواه أحمد والطبراني].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله شرح صدور المؤمنين فانقادوا لطاعته، وحب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، فلم يجدوا حرجاً في امتثال شريعته، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

روى مسلم، عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يُشرك به شيئاً دخل النار». قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «هذا حديث الموجهين؛ موجبة السعادة، وموجبة الشقاوة».

وفي الحديث يبين ﷺ أن من مات لم يتخذ مع الله شريكاً في الإلهية، ولا في الخلق، ولا في العبادة دخل الجنة، ففيه فضيلة السلامة من الشرك، ومن حديث أبي ذر - رضي الله عنه - الذي رواه الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: «أتاني جبرائيل فبشرني أنه من مات من أمتك لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق» وفي الرابعة: «على رغم أنف أبي ذر» ودخول من مات غير مشرك الجنة مقطوع به، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصراً عليها دخلها أولاً، وإلا فهو تحت المشيئة، فإن عفا عنه دخلها أولاً، وإلا عُذب ثم خرج من النار وأدخل الجنة.

فإذا كان التغليظ في النهي عن الشرك بهذه الشدة فينبغي شدة الخوف منه. وقوله: «شيئاً» نكرة تعم قليل الشرك وكثيره، أما الأكبر فلا عمل معه البتة، ويوجب الخلود في النار، ولا فرق بين الكافر عناداً وغيره، ولا بين من انتسب إلى ملة الإسلام أو خالفها، ومن المعلوم بالضرورة من الدين المجمع عليه عند أهل السنة أن من مات لا يشرك بالله شيئاً يدخل الجنة، وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحن، وأما الشرك الأصغر كيسيير الرياء، وقول الرجل: ما شاء الله وشئت، وما لي إلا الله وأنت، ونحو ذلك فيطلق عليه الشرك كما في حديث: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» ونحو ذلك، ولكن لا يخرج بذلك من الملة بالكلية، ولا يستحق اسم الكفر على الإطلاق، فهو أخف من الأكبر، وقد يكون أكبر بحسب حال قائله ومقصده.

عباد الله:

من الشرك ما هو خفي جداً، فقد يكون في الإنسان وهو لا يشعر إلا بعد المحاسبة الدقيقة، ولهذا قال سفيان الثوري - رحمه الله -: «ما جاهدت نفسي على شيء ما جاهدتها على الإخلاص».

فحاسبوا أنفسكم، وتفقدوا أعمالكم، وأصلحوا قلوبكم، تسعدوا وتفعلحوا.

هذا وصلوا وسلموا على نبي الرحمة...

الخطبة الأولى (١)



الحمد لله، حمداً طيباً كثيراً، وكفى بالله ولياً، وكفى بالله نصيراً، من ركن إليه كفاه وآواه، واكتنفه وحماه، وكفى بالله وكيلاً.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.
أما بعد:

فاتقوا الله وراقبوه، وأطيعوا أمره ولا تعصوه. ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].
عباد الله:

ذكر الله - عز وجل - قصة إبراهيم - عليه السلام - مع قومه وهي غاية التوحيد، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

تبراً إبراهيم - عليه السلام - إمام الحنفاء من كل ما يعبده أبوه وقومه، ولم يستثن إلا الذي خلقه، وهذا واجب على كل مسلم فالعبادة حق الله فلا بد من إخلاصها له وحده.

أما من يعبد الله ويعبد معه غيره فهذا هو الشرك، وهو الواقع من قوم إبراهيم - عليه السلام - فقد عبدوا الله، وعبدوا معه آلهتهم، كما دلت الآية قال - تعالى -: ﴿ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٠﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ وهذا - مع الأسف - هو واقع كثير ممن ينتسب إلى الإسلام، فيعبدون الله، ويعبدون معه غيره من أصحاب القبور بالذبح لها، والطواف حولها، وغير ذلك، فوقعوا في الشرك الأكبر.

والكلمة الباقية هي: (لا إله إلا الله) بإجماع أهل العلم، وقد عبر عنها الخليل - عليه السلام - بمعناها الذي أريدت به؛ فعبر عما نفته بقوله: ﴿ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾، وعما أثبتته بقوله: ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ أي؛ خلقتني، فقصر العبادة على الله وحده، ونفاها عن كل ما سواه ببراءته من ذلك.

قال ابن كثير: هذه الكلمة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي (لا إله إلا الله)، جعلها في ذريته، يقتدي به فيها من هداه الله منهم.

أيها المسلمون:

في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله: حرم ماله ودمه وحسابه على الله».

علق ﷺ عصمة المال والدم؛ في هذا الحديث بأمرين:

الأول: قول: (لا إله إلا الله) عن علم ويقين؛ كما قد قيد ذلك في قولها

في غير ما حديث، فإن من قالها في زمن النبي ﷺ قبل وجود النفاق، لا يقولها إلا عن صدق وعمل بها، وعلم بما دلت عليه من النفي والإثبات. والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، فلم يكتف باللفظ المجرد عن

المعنى، بل لا بد من قولها، والعمل بها، والبراءة مما ينافيها.

فإن النبي ﷺ علق عصمة الدم بالأمرين جميعاً، قولها عن علم ويقين، والكفر بما يعبد من دون الله، ففيه أنه لا يحرم ماله ودمه إلا إذا قال: (لا إله إلا الله)، وكفر بما يعبد من دون الله، فإن قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله لم يأت بما يعصم ماله ودمه، وفيه معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -: «وهذا من أعظم ما يبين لك معنى (لا إله إلا الله)، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو تردد لم يحرم ماله ودمه، فيالها من مسألة، ما أجلها وأعظمها! ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع!». «.

وهذا هو الشرط المصحح لقوله: (لا إله إلا الله)، فلا يصح قولها بدون

هذه الخمس التي ذكر أصلاً، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] وقال: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] الآية؛ أمر بقتالهم حتى يتوبوا من الشرك، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن أبوا ذلك أو بعضه قاتلوا إجماعاً، بل أجمعوا على أن من قال: (لا إله إلا الله)، ولم يعتقد معناها، ولم يعمل بمقتضاها، أنه يقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النفي والإثبات.

قال الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - في قوله ﷺ: «وكفر بما يُعبد من دون الله» دليل على أنه لا يكفي مجرد التلفظ بلا إله إلا الله، بل لا بد أن تكفر بعبادة من يعبد من دون الله بل وتكفر أيضاً بكل كفر، فمن يقول: لا إله إلا الله، ويرى أن النصراني واليهود اليوم على دين صحيح فليس بمسلم، ومن يرى الأديان أفكار يختار منها ما يريد فليس بمسلم، بل الأديان عقائد مفروضة من قبل الله - عز وجل -، يخضع الناس لها. عباد الله:

حققوا التوحيد في أنفسكم تفوزوا برضا ربكم، فإن من فضائل تحقيق التوحيد مغفرة الذنوب وتكفيرها، ومن فضائله أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما.

ومن أجل فوائده: أنه يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل، وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.

ومنها: أنه يحصل لصاحبه الهدي الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة، ومنها: أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وأن أسعد الناس بشفاة محمد ﷺ من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه.

ومن أعظم فضائله: أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

ومن فضائله: أنه يسهل على العبد فعل الخيرات وترك المنكرات، ويسليه عند المصيبات، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات، لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطه وعقابه.

ومنها: أن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

ومنها: أنه يخفف عن العبد المكاره، ويهون عليه الآلام، فيحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان، يكون تلقيه المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة.

ومن أعظم فضائله: أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي، ويكون مع ذلك متألهاً متعبداً لله، لا يرجو سواه، ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه.

ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء: أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام، فإنه يُصير القليل من عمله كثيراً، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السموات والأرض وعمارها من جميع خلق الله، وذلك لكمال إخلاص قائلها، وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ، لأنه لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قام بقلب هذا العبد.

ومن فضائل التوحيد: أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر في الدنيا، والعز والشرف، وحصول الهداية، والتيسير ليسرى وإصلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال والأفعال.

فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد؛ وليعلم أن من أنعم الله عليه بمعرفة الشرك الذي يخفى على كثير من الناس أنه مُنح أعظم النعم.

قال السعدي - رحمه الله تعالى -: «ليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة، والفضائل المتنوعة مثل التوحيد».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ

﴾ [الأنعام: ٨٢].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق الجنة وجعل مفتاحها لا إله إلا الله، أحمده - سبحانه -
وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مخلص فيها، موقن بها، وأشهد
أنَّ محمداً عبده ورسوله، جدد ما اندرس من معالمها، ومع ذلك قال
له ربه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فصعد بها ونادى، ووالى
عليها وعادى، وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا
قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها».

دعا إلى هذه الكلمة عشر سنين ولم يدع قبلها إلى زكاة ولا صيام، ولا حج
وعمره إلى بيت الله الحرام، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد،
وعلى آله وأصحابه؛ الذين جاهدوا من امتنع من قولها، أو صد عنها، أو نقضها.
أما بعد:

فيا عباد الله: اتقوا الله حق التقوى، وأخلصوا العبادة لربكم تسعدوا
وتنجوا.

أيها المسلمون:

توحيد الله وعبادته وحده لا شريك هو لب دعوة الرسل وذرورة سنامها،
والحد الفاصل بين الإيمان والكفر، والإسلام والشرك، وهو القدر المنجي
من الخلود في النار في الآخرة، والعاصم للدم والمال والذرية في الدنيا.
وهو الذي خلق الخلق لأجله، وأنزل الكتاب لأجله، وأرسل الرسل

لأجله، وهو أصل الدين الذي لا يستقيم لأحد إسلام إلا به، ولا يغفر لمن تركه وأشرك بالله غيره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا الأصل وهو التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً غيره، وبه أرسل الرسل وأنزل الكتب، كما قال تعالى: ﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦].
وقد ذكر الله - عز وجل - عن كل رسول من الرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

قال ابن رجب: «من أسباب المغفرة: التوحيد وهو السبب الأعظم، فمن فقداه فقد المغفرة، ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة». جعلنا الله وإياكم من أهل التوحيد؛ ممن أخلصوا العبادة لربهم وتابعوا سنة نبيهم ﷺ.

هذا، وصلوا وسلموا...



الخطبة الأولى (١)

٤

الحمد لله وحده؛ ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أظهر به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وحاسبوا أنفسكم قبل موقف الحساب، فإن عليكم كراماً كاتبين، والله - تعالى - أسرع الحاسبين: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٨].

أيها المسلمون:

إن القضية الكبرى، ومهمة الرسل العظمى، هي الأمر بتوحيد الله - تعالى - ونبذ الشرك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال سبحانه: ﴿وَسَقَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

(١) مهمة الرسل الأولى.

والقرآن العظيم يخاطب الكافر بالتوحيد ليعرفوه ويؤمنوا به: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ
 أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ [البقرة: ٢١].
 وكل نبي يقول لقومه: ﴿يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩].
 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ
 ﴿٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وخاطب الله أنبياءه ورسله بنبذ الشرك والبراءة من أهله والإعراض عنه
 وعنهم: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ
 لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ [الحج: ٢٦].
 وقال - سبحانه - مخاطباً أشرف خلقه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ
 مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ
 اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ﴿٣٦﴾ [الرعد: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمَعذُوبِينَ ﴿٨٧﴾ [الشعراء:
 ٢١٣]. وقال سبحانه: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ [القصص: ٨٧].
 فإذا كان ينهى عن الشرك من لا يمكن أن يباشره، فكيف بمن عداه؟!
 وقد قال إمام الحنفاء - عليه السلام -: ﴿وَاجْتَنِبِي وَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ إِلَّا صَنَامَ
 ﴿٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥] قال إبراهيم التيمي: «ومن يأمن بالبلاء بعد إبراهيم؟!».
 والشرك - عباد الله - أعظم ذنب عصي به الله.

سئل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»

[رواه البخاري ومسلم].

وأعظم الظلم: الشرك بالله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِأَبِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [القمان: ١٣].

والشرك يمنع من دخول الجنة؛ ويخلد صاحبه في النار: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]. وفي الحديث: «ومن لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به دخل النار» [رواه مسلم].

والشرك سبب لسخط الله، وحلول الذلة والمسكنة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا هُمْ غَضِبُوا مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ١٥٢].

والمشرك شر خلق الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦٦﴾﴾ [البينة: ٦].

والعمل الصالح لا يقبل من صاحبه إن كان مشركاً. قالت عائشة - رضي الله عنها -: يا رسول الله، إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذلك نافع؟ فقال ﷺ: «لا ينفعه؛ إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» [رواه مسلم].

أيها المؤمنون:

لقد كانت بعثة النبي ﷺ ورسالته وسيرته؛ من أولها إلى آخرها؛ مكيتها ومدنيها، حضرها وسفرها، سلمها وحربها كلها في التوحيد؛ لم تخل فترة

من هذه الفترات من إعلان التوحيد ومحاربة الشرك، منذ أن أمر بالإنذار المطلق في سورة المدثر: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾. إلى الأمر بإنذار العشيرة: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴿الشعراء: ٢٣١-٢١٤﴾. إلى الأمر بالصدع بالدعوة: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]. ثم من بعده الأمر بالهجرة: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. ثم الإذن بالقتال والجهاد: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠]. إلى فتح مكة حين كسرت الأصنام: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]. إلى الإعلام بدنوا أجله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣]. حتى قال ﷺ وهو في مرض موته: «لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» [رواه البخاري ومسلم].

عباد الله:

ما كانت هذه الأدلة المتكاثرة، والبراهين المتوافرة، إلا لعظم الأمر، وشدة الخوف على النفس من الانحراف؛ والقلب من الزيغ.

لم لا يخاف المسلم الخلل والنقص في التوحيد؟!

لم لا يحذر المسلم من الشرك وأنواعه وأسبابه؛ وفي كتاب الله الكريم:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

شرك في العبادة، وآخر في الخوف والرجاء، وفي باب الأسباب، وفي باب النفع والضرر.

وانظروا في السحر والشعوذة؛ والتطير والتشائم؛ والرقى والتمائم، والحلف بغير الله، والغلو في الصالحين، ودعاء غير الله، وطلب الغوث من المقبورين، والطواف حول الأضرحة، يدعون عندها ثم يدعونها؛ ويعلقون عليها القناديل والسرچ والستور، ويذبحون عندها ولها، ويتمسحون بها، حتى اتخذوها أعياداً ومنسكاً؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله. فأكثروا - عباد الله - من الدعاء بالثبات على التوحيد، فإنه سبيل الأنبياء.

دعا إمام الحنفاء لنفسه وذريته بالثبات عليه، فقال: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وخاف على نفسه وذريته من الشرك فقال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ إِلَّا صَنَامًا﴾ [إبراهيم: ٣٥].

ودعا يوسف - عليه السلام - ربه فقال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وكان من دعاء نبينا ﷺ: «يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك» [رواه مسلم].

والتوحيد وصية الأنبياء والمرسلين: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

ويعقوب في سكرات الموت يسأل بنيه: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّانُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله، حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن التوحيد أصل الدين وأساسه وأول أركانه، وهو جماع الخير، ولا تقبل حسنة إلا به، والعمل القليل معه مضاعف، وبدونه الأعمال الصالحة حابطة وإن كانت أمثال الجبال. وهو أغلى ما يملك المسلم، ومنة من الله عظيمة، يهبها لمن يشاء من عباده. ومن هداه الله إليه؛ فليعض عليه بالنواجذ، وليصنه مما يناقضه أو يقدر فيه، أو ينقصه.

وعلى المسلم أن يسعى لتحقيقه في نفسه وذريته والأقربين من أهله، ومن جميع الناس.

ومما يذكر عن المؤلف - الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - أنه قال يوماً: يذكر البارحة أنه وجد رجل على أمه يجامعها، فاستعظم المحضر ذلك، وضجوا منه، رأوا أنه منكر كبير، وهو كبير. ثم قال لهم

مرة أخرى: إن واحداً أصيب بمرض شديد، فقيل له: اذبح «ديكاً» تصغير كلمة: «ديك». أي اذبح ديكاً صغيراً لفلان «ولي» فلم يستعظموه. ثم بين لهم أن الأول فاحشة يبقى معها التوحيد، والآخر ينافي التوحيد كله، وهذا لم يستعظموه مثل ذلك. وهذا هو الواقع من أكثر الناس، فإن النفوس تستبشع أشياء أعظم من استبشاعها ما هو من ضد التوحيد.

ولما ذكر المؤلف قصة بني إسرائيل الذين قالوا: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقصة الذين سألوا النبي ﷺ «أن يجعل لهم ذات أنواط» قال: ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم، قد يقع في أنواع من الشرك وهو لا يدري، وتفيد أن قول الجاهل: «التوحيد فهمناه» أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله تعالى -: «إذ كان السائل في القصة الأولى مع نبي وهو موسى، وهم أوسع علماً منه، والسائل في القصة الثانية مع نبي وهم أعلم وأقدم فضيلة، استحسنا ذلك ظناً منهم أن الله يحبه وأنه من العبادات التي يتقرب بها إلى الله».

عباد الله:

من وسائل الثبات على دين الله والاستقامة على طريقه: تعلم العلم النافع، ومجالسة العلماء والصالحين، ودعاء الله بالثبات، والبعد عن البدع والشبهات والشهوات، والإكثار من الطاعات.

اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك، اللهم يا مصرف القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك.

اللهم اجعل آخر كلامنا من الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتوفنا وأنت راض عنا يا رب العالمين.

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً ونحن نعلم، ونستغفرك لما لا نعلم.

اللهم جنبنا وذرياتنا عبادة الأصنام.

اللهم يا ولي الإسلام وأهله، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به.
هذا وصلوا وسلموا...



الخطبة الأولى (١)

٥

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أيها المسلمون:

القلوب لا تطمئن إلا بالله؛ ولا غنى للعبد إلا بطاعة ربه ومولاه، وإخلاص الأعمال لله أصل الدين، ولذلك أمر الله رسوله بالإخلاص في قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزمر: ٢]. وفي قوله: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١].

وبذلك أمرت جميع الأمم؛ قال جل وعلا: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

وأحق الناس بشفاعته النبي ﷺ يوم القيامة من كان أخلصهم لله؛ سئل أبو هريرة - رضي الله عنه -: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» [رواه البخاري].

والإخلاص مانع - بإذن الله - من تسلط الشيطان على العبد؛ قال - سبحانه - عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

وكل من أشرك بالله - تعالى - لم تصح له عبادة، فقريش مثلاً كانوا يحجون ويعتمرون، ويتصدقون، ويصلون الرحم، ويكرمون الضيف، ويذكرون الله، ويعترفون بأن الله هو المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، ولكنهم يتخذون وسائط بينهم وبين الله يدعونهم ويذبحون لهم ويستغيثون بهم، ليشفعوا لهم ويسألوا الله لهم، زعماً منهم أنهم أقرب منهم إلى الله وسيلة، ففعلهم هذا أفسد جميع عباداتهم، وقد دعا ﷺ هؤلاء المشركين إلى أفراد الله بالعبادة؛ بقوله ﷺ كما روى ذلك الإمام أحمد: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» فأبوا أن يقولوها، لأنهم يعرفون معناها - لا معبود بحق إلا الله - وقالوا: ﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥]. فقاتلهم ﷺ ليكون الدين كله لله.

والمشركون الأوائل عرفوا معنى (لا إله إلا الله)، فامتنعوا عن قولها، على النقيض من حال كثير ممن ينتسب إلى الإسلام اليوم يقولون: (لا إله إلا الله) صباح مساء ولا يعرفون معناها، فتجدهم يصلون، ويصومون، ويحجون، ويتصدقون، ومع ذلك يدعون الأنبياء والصالحين أو غير ذلك من المعبودات الباطلة، فوقعوا في الشرك الأكبر الذي ينافي كلمة التوحيد.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى -: «فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بلا إله إلا الله».

وبهذا يتبين أن شرك المتأخرين هو جنس شرك الأولين، بل المتأخرين أشد فإنهم يشركون في الرخاء والشدة، وأولئك يشركون في الرخاء فقط.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله -: «لا يزهد في التوحيد، فإن بالزهد فيه يوقع في ضده . وما هلك من هلك ممن يدعي الإسلام إلا بعدم إعطائه حقه ومعرفته حق المعرفة ، وظنوا أنه يكفي الاسم والشهادتان لفظاً، ولم ينظروا ما ينافيه وما ينافي كماله هل هو موجود أو مفقود؟!».

وقد بعث الله محمداً ﷺ يجدد لقريش دين أبيهم إبراهيم ﷺ، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله، وأن فعلهم هذا أفسد جميع ما هم عليه من العبادات، وصاروا بذلك كفاراً مرتدين ، حلال الدم والمال، وقتلهم رسول الله ﷺ ليكون الدعاء كله لله، والذبح كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادة كلها لله.

وانتقد - المؤلف رحمه الله تعالى - من يدعي الإسلام، بل يدعي العلم، بل يدعي الإمامة في الدين، وهو لا يعرف من كلمة «لا إله إلا الله» إلا مجرد التلفظ بحروفها، من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، وأن الحاذق منهم الذي يرى أن المراد شيء آخر غير اللفظ، يخطئ المعنى المراد ولا يعرفه، يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بأصل الإسلام. هذا أجهل من أبي جهل وأضرابه.

عباد الله:

كثير ممن ينتسب إلى الإسلام من هذه الأمة، ليسوا على الدين، إنما معهم اسمه فقط، ولا يعرفون شرك الأولين، وشرك أهل هذا الزمان، ولو عرفوه لوجدوه هو هو! بل شرك مشركي هذه الأزمنة أعظم بكثير؛ لأن الأولين يشركون في الرخاء، وفي الشدة يخلصون، في الشدائد لا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وأما في زماننا فشركهم في الحالين جميعاً! بل إذا كانوا في الشدة نسوا الله بالكلية ولهجوا بمعبوداتهم من دون الله، هذا يقول: يا متبولي! يا عيدروس! يا بدوي! يا عبد القادر! يا علي! يا حسين! يا رسول الله! يا فلان!

عباد الله:

من الناس من يحقق التوحيد الخالص الكامل التام فيكون من أولئك السبعين ألف، ومنهم من يناقش ويحاسب حتى إذا قرره الله بذنوبه غفرها

له وسترها عليه، ومنهم من يدخل النار حتى إذا تطهر من ذنوبه خرج ودخل الجنة، ومنهم من يمكث في النار أحقاباً، ومنهم من يكون آخر من يخرج من النار فيدخل الجنة.

وتحقيق التوحيد يكون بإخلاص الأقوال والأعمال لله - عز وجل -، فلا يلتفتون بقلوبهم إلى أحد سوى الله، لا يطلبون الرقية وإن كانت مباحة حتى لا تتعلق قلوبهم بغير الله - تعالى -، والحامل لهم على ذلك قوة توكلهم على ربهم، وإيمانهم بما قضاه الله لهم وقدره عليهم، فيؤمنون بذلك إيماناً تاماً كاملاً، ويفوضون أمورهم لله ويفزعون إليه وحده، ولا تلتفت قلوبهم إلى أحد سوى الله - عز وجل -.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله إله العالمين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الأمين.
أما بعد:

كثير من الناس إذا بين له أن التوحيد، لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل قالوا: هذا حق، وهذا الذي ندين الله به؟ ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، وغير ذلك من الأعدار، ما جهلوا ذلك ولا جحدوه؟ لكن أثروا العاجل والحطام على الآجل - والعياذ بالله - وهذا من أسباب بقاء كثير على الشرك.

ومن الأسباب كذلك: أن كثيراً ممن يدعي العلم والإمامة في الدين، منهم من يشارك عباد القبور في عباداتهم واحتفالاتهم ويأكل من نذورهم. وإذا شدد الإنكار عليه وانقطعت حجته قال: «هذه مظاهر الكفر»، وهذه الكلمة تخفي تحتها أن عقائدهم في التوحيد صحيحة سليمة.

ويعتذر بعضهم عن عامتهم: بأنهم جهالٌ جهال، أو خرافيون، أو صوفية، أو ما قصدوا بعبادة أصحاب القبور إلا الله، فلا يخرجون من دائرة الإسلام بهذه الأفعال وأشباه هذه العبارات التي فيها التهوين من شأن الشرك، أو تسويغه.

لم يصرح لهم بالتوحيد الذي بعث الله به الرسل، ولا بأن ما يفعلونه مثل ما كان يفعل عند اللات والعزى وهبل! بل أعظم، حتى إن بعضهم يحلف بالله كاذباً ولا يحلف بمعبوده إن كان كاذباً. وهذا دليل على أن عظمة محلوفه أعظم في قلبه من عظمة الله. ثم كيف أعمال القلوب الأخرى، من الحب والخوف والرجاء، ومن الأناشيد والأشعار التي فيها الغلو والشرك بالنبي ﷺ ما لا يزال يُسمع كالهمزية والبردة وغيرهما.

ومن أسباب انتشار الشرك: الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله ﷺ بل جميع الرسل، من تحقيق التوحيد وقطع أسباب الشرك.

ومن ذلك أيضاً: أحاديث مكذوبة مختلقة وضعها أشباه عباد القبور، والفتنة بالقبور كالفتنة بالأصنام وأشد، فإن الشرك بغير رجل يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر.

ولهذا تجد أهل الشرك يتضرعون عندها ويخشعون ويخضعون، ويعبدون عبادة لا يفعلونها في بيوت الله، ويلهجون بذكرهم أكثر مما يذكرون الله، وينفقون نفائس الأموال في ذلك.

ولأجل هذه المفسدة حسم النبي ﷺ مادتها حتى نهى عن الصلاة في المقبرة.

وأسباب بقاء الشرك: الحيلولة بين الدعوة الصحيحة على منهج النبوة

وإيصال دعوتها إلى الناس كافة من خلال خصومها ممن يجنون الأموال عند القبور بالباطل.

ومن أسباب انتشار الشرك كذلك: حكايات حكيت لهم عن تلك القبور ونسج القصص والخيالات.

وحقق العلماء: أن إجابة المشرك عند القبر ليس السر فيه القبر كما يقوله المشركون، وإنما يكون ثم شيء آخر؛ إما جهة شياطين الجن، وإما أمر آخر قام بالقلب، منه مثلاً: الاضطراب، وإنزال الحاجة، والانكسار بين يدي الله - عز وجل -، فيظن الظان أن سبب إجابة الدعاء بركة القبر، وإنما هو من جهة ما قام بالقلب من الاضطراب، لأن إجابة الدعاء من فروع الربوبية، والربوبية ليست خاصة لمسلم دون كافر، وإعطاء الأرزاق ليس خاصاً بالموحدين بل يعطي الله الجميع، كما قال في جواب سؤال إبراهيم - عليه السلام -: ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ١٢٦].

هذا وصلوا...



الخطبة الأولى (١)



الحمد لله ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، له الحمد في الأولى والآخرة؛ وله الحكم وإليه ترجعون. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أظهر الله به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

أيها المسلمون:

عقول البشر قاصرة عن أن تدرك طريق الصلاح بمفردها، أو تستبين سبيل الرشاد بذاتها، فلا تستطيع أن تجلب لنفسها نفعاً أو تدفع ضراً. ولا يرتفع عن النفوس الشقاء، ولا يزول عن العقول الاضطراب إلا حين توقن البصائر، وتسلم العقول بأنه - سبحانه - هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد له الملك كله، وبيده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله.

عباد الله: رسالة (كشف الشبهات): تعني بإزالة الاعتراضات والإشكالات في توحيد الإلهية، فهي أجوبة محكمة عما قد يشبهه على كثير من الناس في هذا الباب.

وكشف الشبهات؛ جواب لشبه اعترض بها بعض المنتسبين للعلم في زمان الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - فإنه لما تصدى لبيان التوحيد والدعوة إليه، وتفصيل أنواعه، والموالات والمعاداة فيه، ومصادمة من ضاده، وكشف شبه من شبه عليه - وإن كانت أوهى من خيط العنكبوت -، وبين ما عليه الكثير من الشرك الأكبر، اعترض عليه بعض الجهلة المتمعلمين، أزهم إبليس، فجمعوا شبهاً شبهوا بها على الناس، وزعموا أن الشيخ - رحمه الله - يكفر المسلمين وحاشاه ذلك، بل لا يكفر إلا من عمل مكفراً وقامت عليه الحجة، فأجابهم المؤلف بهذا الكتاب، وكشف شبههم بما تطمئن به الألباب، من نصوص السنة والكتاب، وبين أن هذه الشبهات لا تلتبس على أهل العلم والإيمان.

وقد صنفها المؤلف - رحمه الله تعالى - للمسلم الواحد، الذي يحتاج إلى كشف الشبهات عنه، فلا تبقى الشبهة معه، وقد دعا إبراهيم - عليه السلام - كما ذكر الله - تعالى - عنه ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ إِلَّا صَنَامَكَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] قال العلماء: خاف على نفسه وهو إبراهيم خليل الله - عليه

السلام - وخاف على بنيه عبادة الأصنام، قال إبراهيم التيمي - رحمه الله - في تفسيرها «ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم».

ففي رسالة (كشف الشبهات) أصول الشبهات التي كانت رائجة في زمن دعوة الشيخ - رحمه الله تعالى - وفيها التوسع في فهم حال أهل الجاهلية الذي بُعث النبي ﷺ فيهم، وكيف كان شركهم، وما كانت عليه أحوالهم في العبادة والديانة.

والكشف: هو حسر الشيء عن الشيء. والشبهات: جمع شبهة، وهي المسألة التي جُعلت شبهاً بالحق.

والشبهة والمُشَبَّهة هي من المسائل المعضلة أو المشكلة التي تلتبس على الناس. وإزالة وكشف الشبهات من أصول هذه الدين، قام به أهل العلم دفاعاً عن دين الله وذوداً عن الشريعة وحماية حدودها. وملخص الشبهات وأجوبتها ما يلي:

الشبهة الأولى: أن من أقر بتوحيد الربوبية - أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله -، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وإنما قصد من الصالحين الجاه والشفاعة فليس بمشرك.

والجواب: أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت، وإنما أرادوا مثل ما أردت.

الشبهة الثانية: قوله: إن الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام .

الجواب: أن الكفار منهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الأولياء، ومنهم من يدعو عيسى ابن مريم وأمه، ومنهم من يعبد الملائكة، ولا فرقوا بين المعبودات، فالكل شرك، والكل مشركون، كفر الله من يعبد الأصنام، وكفر من يعبد الصالحين والملائكة.

الشبهة الثالثة: أن طلب الشفاعة منهم ليس بشرك.

والجواب: أن هذا هو قول الكفار سواء بسواء: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر: ٣] ليس لهم قصد إلا شيء واحد، وهو طلب الشفاعة من رب الجميع، وأنه كفرهم بذلك.

الشبهة الرابعة: نفيهم عبادة الصالحين مع أنهم يدعونهم أو يذبحون لهم، ويقرون بأن هذا عبادة، وأن المشركين الأولين هكذا كانت عبادتهم. وإن أنكروا أن هذا عبادة أو جهلوا فهذه الآيات والأحاديث تبين ذلك.

الشبهة الخامسة: أن من ينكر طلب الشفاعة من الرسول والصالحين، فهو منكر لشفاعة الرسول ومتنقص للأولياء.

والجواب: أن الأمر بالعكس؟ فإن الشفاعة ملك لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يأذن الله إلا لأهل التوحيد، وأن طلبها من غير الله شرك، وهو سبب حرمانها.

الشبهة السادسة: أن النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنها تطلب منه.

والجواب: أن إعطائه الشفاعة إعطاءً مقيداً لا مطلقاً، وشفاعته للعصاة

من أهل التوحيد لا للمشركين. وأيضاً الشفاعة أعطيها غير الرسول، فلا يدل على أنه يعطيها من سألها، ولا أنها تطلب منه.

الشبهة السابعة: أن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك، فليس مشركاً. الجواب بالتحدي: يسأل عن الشرك ما هو؟ وعن عبادة الله ما هي؟ فإنه لا يدري ما هو التوحيد، ولا ما هو الشرك الذي وقع فيه.

الشبهة الثامنة: قوله: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام. فيقال له: هل هم يعتقدون أنها تخلق وترزق؟

وإن قال: هو من قصد خشبة، أو حجراً، أو أبنية على قبر أو غيره، يدعونه ويدبحون له، يقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى ويدفع الله عنا ببركته. فهذا تفسير صحيح لعبادة الأصنام، وهو فعلكم بعينه، مع أن الشرك ليس مخصوصاً بعبادة الأصنام.

الشبهة التاسعة: قولهم: إنكم تكفرون المسلمين - تجعلوننا مثل المشركين الأولين - ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ونصدق بالبعث، ونصلي ونصوم، ونحج ونعتمر - وهم بالعكس - كيف تجعلون من كان معه هذه الخصال، وهذه الفروق كمن ليس فيه منها شيء؟ وقد أجاب المؤلف عنها بتسعة أجوبة، بين فيها أن هذه الفروق غير مؤثرة بالكتاب والسنة والإجماع، بل هذه الخصال والفروق مما يتغلظ بها كفرهم.

ومن وجد منه مكفر - بأن صدق الرسول في شيء وكذبه في شيء، أو رفع المخلوق في رتبة الخالق، أو غلا في أحد من الصالحين فادعى فيه الألوهية، أو خالف الشريعة في أشياء، مثل استحلال نكاح الأختين، أو وجد منه نوع من أنواع الردة، أو استهزأ بالله أو آياته - فهو مرتد، ليس من شرط الردة أن يجمع أطراف الردة، أو يجمع الشركيات، أو أن رب العالمين ومعبوده واحد في جميع ما يستحق. فإن الردة ردتان: ردة مطلقة، وهي الرجوع عما جاء به الرسول جملة. والثانية: أن يكفر ببعض ما جاء به الرسول ﷺ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ

الْمُشْرِكِينَ ﴿٥٤﴾ [الحجر: ٩٤].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون،
والصلاة والسلام على الهادي البشير، والنذير المبين، بلغ الرسالة وأدى
الأمانة، وجاهد بالله حق جهاده حتى أتاه اليقين، صلوات ربي وسلامه
عليه، وعلى آله وأصحابه الغر الميامن.

أما بعد:

الشبهة العاشرة: أن من قال: لا إله إلا الله، لا يكفر ولا يُقتل، ولو فعل
ما فعل. واستدلوا بأحاديث.

والجواب: أنها لا تدل على ما زعموا من أن مجرد قول لا إله إلا الله
يمنع من التكفير، بل يقولها ناس كثير وهم كفار؟ إما لعدم العلم بمعناها،
أو عدم العمل بمقتضاها، أو وجود ما ينافيها. ومثل ذلك بأن اليهود
يقولونها، وأصحاب مسيلمة الذين قاتلهم الصحابة يقولونها، وكذلك
الذين حرقهم علي - رضي الله عنه - يقولونها، فقولها باللسان لا يكفي
في عصمة الدم والمال.

الشبهة الحادية عشرة: قولهم: إن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً، لجواز
الاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة. وقد بين المؤلف جهلهم حيث لم يفرقوا
بين الاستغاثتين.

الشبهة الثانية عشرة: استدلالهم على أن الاستغاثة بالأموات والغائبين ليست شركاً، بعرضها على إبراهيم من جبريل.
والجواب: أن هذه الاستغاثة جنس، وتلك جنس آخر، فمن سوى بينهما فقد سوى بين المتباينين.

وفي هذا بيان أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل. فإن اختلف شيء من هذا، لم يكن الرجل مسلماً.
وسياتي تفصيل الشبه والرد عليها من الكتاب والسنة في الخطب القادمة - بإذن الله -.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: فاعلم أن لا إله إلا الله هي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام، وهي العروة الوثقى وكلمة التقوى، وهي الكلمة التي جعلها إبراهيم الخليل - عليه السلام - باقية في عقبه لعلهم يرجعون، ومعناها نفي الشرك في الإلهية عما سوى الله وإفراد الله - تعالى - بالإلهية. والإلهية هي تأله القلب بأنواع العبادة كالمحبة والخضوع والذل بالدعاء، والاستعانة والرجاء والخوف والرغبة والرغبة، وغير ذلك من أنواع العبادة التي ذكر الله في كتابه العزيز أمراً وترغيباً للعباد أن يعبدوا بها ربهم وحده، وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، وكل فرد من أفراد العبادة لا يستحق أن يقصد به إلا الله وحده، فمن صرفه لغير الله فقد أشركه في حق الله

الذي لا يصلح لغيره، وقد عمت البلوى بهذا الشرك الأكبر بأرباب القبور والأشجار والأحجار، واتخذوا ذلك ديناً، زعموا أن الله - تعالى - يحب ذلك ويرضاه، وهو الشرك الذي لا يغفره الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال - تعالى - في معنى هذا التوحيد ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي أمر ووصى، وهذا معنى لا إله إلا الله فقله: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا﴾ [يس: ٦٠] هو معنى: (لا إله). في كلمة الإخلاص وقوله: ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾ هو معنى الاستثناء في لا إله إلا الله. ونظائر هذا في القرآن كثير.

هذا وصلوا...



الخطبة الأولى (١)

٧

الحمد لله ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين؛ ولو كره الكافرون، له الحمد في الأولى والآخرة؛ وله الحكم وإليه ترجعون. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أظهر الله به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - تعالى - حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

أيها المسلمون:

لقد خلق الله - تعالى - عباده، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ليفردوه - سبحانه - بالعبادة، ومن رأفته بخلقه أنه جعل فطرهم موافقة لما خلقهم له، فكل مولود يولد على فطرة إفراد الله بالعبادة، وأنه المعبود وحده من دون من سواه، قال - عز وجل -: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] وإبليس الرجيم يسعى لإفساد فطر الخلق؛ ليحرم العباد من رضا ربهم عنهم، ومن النعيم المقيم في جنات النعيم.

(١) الخطبة الأولى من كتاب (كشف الشبهات): مقدمة في بيان دين المرسلين ودين المشركين.

يدعو الخلق إلى الوقوع في أعظم ذنب يعصى به الله. سئل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» [رواه البخاري ومسلم].
عباد الله:

ابتداء المؤلف كتاب (كشف الشبهات) بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز كما في المصحف الشريف ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②، فهو مبدوء بالبسملة، وكذلك للتبرك بها؛ لأنها كلمة مباركة، فإذا ذكرت في أول الكتاب أو في أول الرسالة تكون بركة عليه، وكان ﷺ إذا تحدث إلى أصحابه يبدأ مجلسه بسم الله الرحمن الرحيم؛ وتأسياً بالنبي ﷺ في مكاتباته ومراسلاته.

وفيها الاستعانة بالله - جل وعلا -؛ فقلوه: (بسم الله الرحمن الرحيم) أي؛ استعين وأتبرك بيسم الله الرحمن الرحيم. (والله) علم على الذات المقدسة - جل وعلا -، وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء (والرحمن الرحيم) اسمان كريمان من أسمائه الحسنی يتضمنان الرحمة.

وفي الحديث: «كل أمر ذي بال» أي؛ حال وشأن يُهتم به شرعاً «لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع» [رواه أبو داود].

قال المؤلف -رحمه الله-: (اعلم) ما أجمل وأعظم هذه الكلمة التي تؤتى بها عند ذكر الشيء الذي له أهمية، يأتي بها المتكلم لقصد التفهم ولأهمية ما يأتي بعدها. قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ③ [البقرة: ١٩٦]

والمعنى: اجمع فؤادك وحواسك، وكن متفهماً لما يلقي إليك بعدها. ولا شيء أعظم من أن يُعتنى به، ويُلقى له السمع والقلب أعظم من كلمة التوحيد. وينبغي أن يصغي إليه المتعلم، ويتفهم ما يُلقى إليه، وما قرره المؤلف في هذا الكتاب، حقيق بأن يصغي إليه غاية الإصغاء لأن فيه الفوز والنجاه والفلاح في الدارين.

(اعلم رحمك الله) أي: غفر لك فيما مضى، ووقفك فيما يستقبل. وأفاض عليك من رحمته التي تحصل بها على مطلوبك وتنجو من محذورك. فإن من رحمه الله أفلح وأنجح، وسعد في الدنيا والآخرة. وقوله: (رحمك الله) دعاء للطالب، مع ما قرره ووضحه، وهذا من حسن مسلكه ومحبته ورحمته بالمسلمين. وهو من باب التلطف لطالب العلم، وتحسين الكلام له من أجل أن يُقبل على طلب العلم.

قال العلماء: فيها من الفائدة أن علم الشريعة مبني على التراحم، فأعظم رحمة تسديها للناس أن تنشر بينهم العلم وتدلهم على طريق الخير. والمؤلف دائماً - رحمه الله - في كتبه يقول: اعلم رحمك الله، ولم يقل غفر الله لك والحكمة في ذلك: أن الدعاء بالرحمة أعم، فإنه يشمل ما مضى وما يقع في المستقبل من الذنوب، أما قوله: غفر الله لك؛ فإنها خاصة بما يقع في الماضي.

ثم استهل المؤلف - رحمه الله تعالى - هذا الكتاب ببيان حقيقة التوحيد حيث قال: (اعلم رحمك الله أن التوحيد) الذي بعثت به الرسل، وأول واجب على المكلف، علماً وعملاً هو التوحيد.

والتوحيد: مصدر وحد يوحد توحيداً، وقد جاء في السنة لفظ التوحيد ولفظ وحدّ يوحد. في الحديث الصحيح: «أن النبي ﷺ أهل بالتوحيد» [رواه مسلم] وثبت في مسلم وفي غيره أن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام على خمسة؛ على أن يوحد الله...».

قال المؤلف - رحمه الله تعالى -: (التوحيد هو إفراد الله (بالعبادة) وهذه القاعدة الأولى من قواعد مجادلة المشركين، وهي: تعريف التوحيد؛ ف «ال» فيه للعهد. أي؛ تخصيصه بالعبادة، أو صرف العبادة له وحده لا شريك له. وليس هو إفراد الله بالربوبية، فإن هذا أقر به المشركون، ولم يكونوا موحدين لأنهم لم يفردوا الله بالعبادة. وتوحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية ولازم له، فمن أقر بتوحيد الربوبية لزمه أن يقر بتوحيد الألوهية.

والله - تعالى - يذكر في القرآن في كثير من الآيات دليلاً على توحيد الألوهية، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

أقام - سبحانه وتعالى - الحجة عليهم فيما أنكروه من توحيد الألوهية بما اعترفوا به من توحيد الربوبية ليلزمهم بذلك. حيث قال لهم كيف تعترفون أنه هو الخالق الرازق المحيي المميت وأنه لا شريك له في ذلك؛ ثم تشركون في عبادته.

والتوحيد - عباد الله - ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد الألوهية والعبادة، وهو المعني هنا. وهو أفراد الله بأعمال العباد التي يتقربون بها إليه مما شرع. كالدعاء والرجاء والخوف والخشية، وهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه.

الثاني: توحيد الربوبية، وهو العلم والإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، المحيي المميت وحده. قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [فاطر: ٣]. وهو التوحيد الذي أقر به المشركون في زمن رسول الله ﷺ ولا أدخلهم في الإسلام، وقاتلهم ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ في السنة، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: فالدين كله توحيد، لأن التوحيد أفراد الله بالعبادة، وأن تعبدته مخلصاً له الدين، والعبادة اسم

جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة،
 فيدخل في ذلك قول القلب وعمله، وقول اللسان وعمل الجوارح،
 وترك المحظورات والمنهيات داخل في مسمى العبادة، ولذلك
 فسر قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١] بالتوحيد في العبادة، لأن
 الخصومة فيه، إذا عرفت هذا عرفت أن على العبد أن يخلص أقواله
 وأعماله لله، وأن من صرف شيئاً من ذلك لغيره فقد أشرك في عبادة ربه
 ونقص توحيده وإيمانه، وربما زال بالكلية إذا اقتضى شركه التسوية
 بربه، والعدل به، وتضمن مسبة الله، فإن الشرك الأكبر يتضمنها، ولهذا
 ينزه الرب - تعالى - ويقدس نفسه عن ذلك الشرك في مواضع من
 كتابه كقوله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾
 [القصص: ٦٨] ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصْفُونَ ﴿١٨﴾﴾ وَسَلَّمْ عَلَى
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٢﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصفات: ١٨٠ - ١٨٢]
 ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].
 بارك الله لي ولكم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمد الصادق الأمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

لما ذكر المؤلف أنواع التوحيد، أتم ذلك بقوله: (أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة).

«والعبادة»: مشتقة من التعبد، وهو التذلل والخضوع. يقال: طريق معبد أي مذلل قد وطئته الأقدام. وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يفعلونها خاضعين ذليلين.

وفي الشرع لها تعاريف عند العلماء: أحدها: ما عرفها به شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بقوله: «العبادة اسم جامع، لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال، الظاهرة والباطنة».

فمن أمثلة الأعمال الظاهرة: الصيام والزكاة، والصيام والحج، وصدق الحديث وأداء الأمانة، وبر الوالدين وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والإحسان للجار واليتيم والمسكين والبهائم، ونحو ذلك.

ومن أمثلة الأقوال الظاهرة: الدعاء، والذكر، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن أمثلة الأقوال والأعمال الباطنة: التصديق واليقين، وحب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، ورجاء رحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك.

(وهو) أي التوحيد: توحيد الألوهية؛ أي: توحيد الله بإخلاص الدين له هو دين الرسل من أولهم إلى آخرهم. فالرسل كلهم ما طلبوا من الناس أن يقولوا بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت لأنهم معترفون ومقرون بهذا، وهذا التوحيد - أي توحيد الألوهية - هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ، واستباح دماءهم، وأموالهم، وأرضهم وديارهم، وسبى نساءهم وذريتهم. ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات. والرسل إنما طالبوا الأمم بإفراد الله بالعبادة.

والتوحيد هو (دين الرسل) جميعاً (الذي أرسلهم الله به إلى عباده) فما من أمة من الأمم إلا وبعث الله فيها رسولاً يأمرهم بالتوحيد وينهاهم عن الشرك. وهذا هو دين جميع المرسلين من أولهم إلى آخرهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ما قال أن يقولوا بأن الله هو الرب لأنهم مقرون بهذا؛ بل قال: ﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ أي؛ لا معبود بحق سواي.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، أي؛ اتركوا الشرك بالله - عز وجل - في الألوهية
هذا الذي بعث به الله الرسل، فإن الأنبياء كلهم يدعون إلى توحيد
الله وإفراده - تعالى - بالعبادة، وهو دين الرسل كلهم من أولهم إلى
آخرهم؛ وإن تفرقت شرائعهم كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً
وَمِنْهَا جَاءَ﴾ [المائدة: ٤٨]، قال ابن كثير - رحمه الله تعالى -: «هذا إخبار عن
الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع
المختلفة في الأحكام، المتفقة في التوحيد».

وقال ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد» [رواه
البخاري ومسلم].

أولاد العلات: هم الإخوة لأب. فأصل دين الرسل واحد
وشرائعهم مختلفة.

فالرسل كلهم ما طلبوا من الناس أن يقروا بأن الله هو الخالق الرازق
المحيي المميت لأنهم معترفون بهذا؛ وإنما طالبوا الأمم بإفراد الله
بالعبادة. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَاجْتَنِبُوا الطَّغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ما قال أن يقروا بأن الله هو الرب لأنهم
مقرون بهذا، بل قال: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّغُوتَ﴾ أي اتركوا الشرك
بالله - عز وجل - في الألوهية.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] ما قال أنه لا رب سواي ولا خالق إلا أنا، بل قال سبحانه ﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ أي: لا معبود بحق سواي.

هذا الذي بعث به الله الرسل، وما بعث الرسل لتقرير توحيد الربوبية لأن هذا موجود لكنه لا يكفي؛ بل بعثهم لتوحيد الألوهية الذي هو إفراد الله - تعالى - بالعبادة، وهو دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم.

هذا وصلوا وسلموا...



الخطبة الأولى (١)



الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن
لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله، الصادق الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله
وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله - تعالى - أيها المسلمون، واعلموا أنكم إليه راجعون،
وعلى أعمالكم مجزيون ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَنَشِرِ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

أيها المسلمون:

التوحيد وإفراد الله بالعبادة؛ هو دين الرسل الذي أرسلهم به الله - تعالى -
إلى عباده.

وقد أرسل الله - عز وجل - الرسل مبشرين ومنذرين، قال تعالى:
﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾
[النساء: ١٦٥] وإرسال الرسل من النعم العظيمة التي يمن الله بها على
عباده، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ
أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ
كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

(١) الخطبة الثانية من كتاب (كشف الشبهات) وهي: تعريف التوحيد.

فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح - لا في الدنيا ولا في الآخرة - إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم؛ فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأعمال والأخلاق، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال؛ فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها؛ فأى ضرورة وحاجة فرضت ضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي وما لجرح بميت إيلام.

قال المؤلف - رحمه الله تعالى -: (فأولهم نوح - عليه السلام -) نوح - عليه السلام -، هو أول رسول بعث إلى أهل الأرض، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [النساء: ١٦٣]. فنوح - عليه السلام - هو أول رسول بعد حدوث الشرك في الأرض، وفي الحديث الصحيح في قصة الشفاعة: «أن الناس يأتون إلى نوح، فيقولون له أنت أول رسول أرسله الله إلى الأرض» فلا رسول قبل نوح بإجماع العلماء.

ونوح - عليه الصلاة والسلام - أحد الرسل الخمسة الذين هم أولوا العزم وهم: محمد، وإبراهيم، وموسى، ونوح، وعيسى - عليهم الصلاة والسلام - .
ونوح - عليه السلام - يقول كما ذكر الله عنه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ - إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٦٨﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ﴾ [هود: ٢٥ - ٢٦].

وقال تعالى عن هود - عليه السلام -: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ﴾ [هود: ٥٠]، وقال - تعالى - عن صالح - عليه السلام -: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ﴾ [هود: ٦١]. وقال - تعالى - عن شعيب - عليه السلام -: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ﴾ [هود: ٨٤].

وكان بنو آدم قبله عشرة قرون، كلهم على دين الإسلام.
قال قتادة - رحمه الله -: «ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك، فبعث الله نوحاً، وكان أول رسول إلى أهل الأرض».

(أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين)، فأول ما حدث الشرك في قوم نوح بسبب الغلو - وهو مجاوزة الحد في محبة الصالحين وتعظيمهم فوق ما شرعه الله -، عظموهم تعظيماً غير سائغ لهم، بأن عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، وإن كانوا ما عبدوهم، وإنما عبدوا الصور، لأنهم لم يأمرهم بعبادتهم، وإن كانوا أيضاً لم يعبدوا الصور إنما عبدوا الشيطان في الحقيقة، لأنه الذي أمرهم.

واعتقدوا في الصالحين أنهم ينفعون أو يضررون من دون الله.

والصالح: هو الذي قام بحق الله وحق عبادة الله. وبه يتبين مضرة الغلو في الصالحين، فإنه الهلاك كل الهلاك، فإن الشرك بهم أقرب إلى النفوس من الشرك بالأشجار والأحجار، وإذا وقع في القلوب صعب إخراجها منها؛ ولهذا أتت الشريعة بقطع وسائله وذرائعه الموصلة إليه، والمقربة منه.

وأما سبب وقوعهم في الشرك فبينه المؤلف بقوله (لما غلوا في الصالحين) وهو أول شرك بني آدم.. قال تعالى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

والغلو: هو الإفراط بالتعظيم والاعتقاد: أي لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله، فتزلوه المنزلة التي لا تنبغي إلا لله. والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فإنه عام يتناول جميع الأمة، تحذيراً لهم أن يفعلوا بنبيهم ﷺ فعل النصارى في عيسى، واليهود في عزيز، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦] ولهذا قال النبي ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن

عباد الله:

والوسائل: إما قولية أو فعلية ، وهؤلاء غلوا فعلاً؟ غلوا بكثرة التردد إلى قبورهم، وهذا فيه مشروع، وهي الزيارة الشرعية؛ لكن زادوا فيه، وغلوا بالعكوف، وهو نفسه عبادة ووسيلة إلى عبادة أربابها؟ وفي الحديث: «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو» [رواه أحمد] فلما رأى منهم الشيطان ذلك، زين لهم تصويرهم. وهاتان الذريعتان - التصوير والعكوف - من أعظم الوسائل الموصلة إلى الشرك.

ثم ذكر المغلو فيهم وهي أصنام في قوم نوح - عليه السلام -: (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر) وكانوا رجالاً صالحين؛ أهل خير وعلم وصلاح، فماتوا في زمن متقارب، فأسفوا عليهم وحزنوا على فقدهم، وفقدوا ما معهم من العلم حيث طال الزمان ومات أهل العلم، فلما خلت الأرض من العلماء، زين لهم الشيطان التردد إلى قبورهم واللبث عندها. جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت».

وفي الآية: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٦١﴾ وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كُبَرًا ﴿٦٢﴾ وَقَالُوا لَا تَنْزِرَ آيَاتِنَا وَلَا تَنْزِرْ وَدًّا وَلَا

سُوءًا وَلَا يَغُوتُ وَيَعُوقُ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ [نوح: ٢٣] وظاهر الآية أن قوم نوح كانوا يعبدونهم وأنه نهاهم عن ذلك.

وفي الصحيح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد؛ أما ود: كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع: كانت لهذيل، وأما يغوث: فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق: فكانت لهمدان، وأما نسر: فكانت لحمير لآل ذي الكلاع؛ أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم. ففعلوا فلم تعبد حتى إذا أهلك أولئك وتنسخ العلم عُبِدت).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ [هود: ٢٥-٢٦].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله، أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

عباد الله: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله؛ فقد أمر بها ربكم ووصى.
﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ [البقرة: 197].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله -: «قوله: (عُبدت): لما قال لهم إبليس: إن من كان قبلكم كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، هو الذي زين لهم عبادة الأصنام وأمرهم بها، فصار هو معبودهم في الحقيقة؛ كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [١] وَإِنْ أَعْبُدُونِي ۚ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾ [يس: ٦٠-٦٢]، وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك، وإن كان القصد بها حسناً؛ فإن الشيطان أدخل أولئك في الشرك من باب الغلو في الصالحين، والإفراط في محبتهم، كما قد وقع مثل ذلك في هذه الأمة؛ أظهر لهم الغلو والبدع في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم، ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك من عبادتهم لهم من دون الله.

ثم أوقعهم فيما هو أعظم من ذلك فقال: ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه صار أهون عليكم من التردد إلى قبورهم واللبث عندها؟ فدلهم على تصوير تماثيلهم ، وقال: إذا فعلتم ذلك كان أشوق لكم إلى الإكثار من العبادة، فكأنكم تشاهدونهم في مجالسهم، وعلى حالاتهم، ولم يكن مفقوداً منهم إلا الأجسام فقط؟ ففعلوا. ثم انقرض ذلك الجيل، وأتى جيل آخر لم يدرؤا لم صورت تلك الصور، فقال: إن من كان قبلكم كانوا يستسقون بهم المطر، يعني: يسألونهم ويزعمون أنهم يسألون الله لهم. فوقع الشرك في بني آدم بسبب الغلو في الصالحين ، فهو الباب الأعظم المفضي إلى الشرك بالله.

ولما أرسله الله - تعالى - إلى قومه ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [نوح: ١] فدعاهم إلى عبادة الله وحده ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴾ [نوح: ٣] ولم يجبه إلا القليل، أمره الله بصنع السفينة فصنعها، وأرسل الله على أهل الأرض الطوفان، وأغرق جميع من عصوه. كما ذكر الله - عز وجل - عنهم ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ مِّنْ نَّاسٍ وَأَهْلًا ﴾ [هود: ٤٠].

وروي أن السيل ألقى هذه الأصنام في جدة لما أغرق قوم نوح، ثم بعد مضي سنين، أتى إبليس إلى عمرو بن لحي الخزاعي - وكان رئيس قومه تلك المدة - وأرشده إلى مواطن تلك الأصنام التي تعبد عند قوم

نوح والتي سقى عليها الرمل بعد الطوفان، فقال له: ائت جدة ، تجد بها أصناماً مُعدة، ففرقها في العرب، وادع إليها تجب، فإنك إذا فعلت ذلك لم يختلف عليك منهم اثنان؟ فحفرها ونقب عنها فاستخرجها ووزعها على أحياء العرب. فانتشر الشرك من ذلك الوقت، وكانت هذه الأصنام الموروثة عن قوم نوح هي أكبر الأصنام وإلا فلهم أصنام كثيرة، حتى أنه كان حول الكعبة المشرفة ثلاثمائة وستون صنماً، واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى هي أكبر أصنامهم.

هذا وصلوا وسلموا...



الخطبة الأولى (١)

٩

الحمد لله أتم لنا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، أحمدته وأشكره،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده
ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق
جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه
ومن والاه واتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ووجدوه، وأطيعوا أمره، واجتنبوا نهيه، فالسعادة
كلها في طاعة الله ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله:

كانت حال العرب الدينية قبل بعث النبي محمد ﷺ هي الوثنية، ثم
بعث الله نبيه محمداً ﷺ بملة إبراهيم الحنيفية السمحة ودعاهم إلى
التوحيد بمكة، وبقي ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى التوحيد وينكر عليهم
عبادة الأصنام. فاستجاب له من أراد الله له الهداية من الصحابة الذين

(١) الخطبة الثالثة من كتاب (كشف الشبهات) وهي: حال العرب قبل بعثة النبي ﷺ.

أسلموا معه في مكة. ثم إن الله أذن لهم بالهجرة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وهاجر ﷺ إلى المدينة. واجتمع حوله المهاجرون والأنصار وكون جيوش التوحيد وصاروا يغزون المشركين.. إلى أن جاء في السنة الثامنة من الهجرة إلى مكة فاتحاً؛ وصارت مكة تحت سلطة الرسول ﷺ وعند ذلك كسر هذه الأصنام التي حول الكعبة وأزال الصور التي في جوف الكعبة، وأرسل إلى الأصنام حول مكة (اللات والعزى ومناة) من الصحابة من كسرها ومنها صور هؤلاء الصالحين من قوم نوح، وانتشر التوحيد واندحر الشرك والله الحمد.

قال المؤلف - رحمه الله تعالى -: (وآخر الرسل محمد ﷺ)، وهو خاتم النبيين؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقال ﷺ: «وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي» [رواه مسلم]. ونزول عيسى بن مريم آخر الزمان ينزل على أنه حاكم بشرية محمد ﷺ لا ينزل على أنه رسول مجدد.

(وهو) ﷺ (الذي كسر صور هؤلاء الصالحين) المعبودة على عهد نوح - عليه السلام -، صور (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر).

وذلك يوم فتح مكة، كما في حديث ابن مسعود: دخل النبي ﷺ الكعبة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود كان بيده ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [٨١] [الإسراء: ٨١] ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِيهِ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩] وكسر الأصنام كذلك بمن أرسل من الصحابة.

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] قال: على الإسلام كلهم، وكان أول ما كادهم به الشيطان هو تعظيم الصالحين، وذكر الله ذلك في كتابه في قوله: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

قال ابن عباس: «كان هؤلاء قوماً صالحين، فلما ماتوا في شهر، جزع عليهم أقاربهم فصوروا صورهم».

وفي غير حديثه قال أصحابهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة، قال: فكان الرجل يأتي أخاه وابن عمه فيعظمه حتى ذهب ذلك القرن، ثم جاء قرن فعظموهم أشد من الأول، ثم جاء القرن الثالث فقالوا: ما عظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله فعبدوهم! فلما بعث الله إليهم نوحاً، وغرق من غرق، أهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض

حتى قذفها إلى أرض جدة، فلما نضب الماء، بقيت على الشط، فسفت الريح عليها حتى وارتهأ، وكان عمرو بن لحي كاهناً وله رثيٌّ من الجن، فأتاه فقال: عجل السير والظعن من تهامة، بالسعد والسلامة، أتت جدة، تجد أصناماً معدة، فأوردها تهامة ولا تهب، وادع العرب إلى عبادتها تجب؛ فأتى جدة فاستثارها، ثم حملها حتى أوردتها تهامة، وحضر الحج ودعا إلى عبادتها.

فانظر إلى آثار الشرك وعروقه إذا علقت متى تزول وتتمحي؟! فإن هذه الأصنام بقيت من يوم عبدت من دون الله حتى بعث محمد ﷺ وكسرها، فالشرك إذا وقع عظيم رفعه وشديداً؟ فإن نوحاً مع كمال بيانه ونصحه ودعوته إياهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، أخذ ألف سنة إلا خمسين عاماً ما أجابه إلا قليل، ومع ذلك أغرق الله أهل الأرض كلهم من أجله، ومع ذلك، بقيت تلك الأصنام الخمسة حتى بعث محمداً ﷺ وكسرها.

فيفيدك عظم الشرك إذا خالط القلوب صعب زواله، كيف أن أصناماً عبدت على وقت أول الرسل وما كسرها إلا آخرهم.

عباد الله: وقد تتابعت الرسل على دعوة التوحيد؛ وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتمهم ولا نبي بعده إلى أن تقوم الساعة، وامتد التوحيد من

بعثه ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين، وعهد القرون المفضلة كلها خالياً من الشرك، فلما انقضت القرون المفضلة انتشر التصوف والتشيع وعند ذلك حدث الشرك في الأمة بعبادة القبور والأضرحة، وتقديس الأولياء والصالحين إلى وقتنا هذا، وهذا الشرك موجود في الأمة؛ ولكن يقبض الله - جل وعلا - من يقيم الحجة على العباد من الدعاة المخلصين، ويهدي الله على أيديهم من أراد - سبحانه - هدايته.

قال شيخ الإسلام: «إن حقيقة التوحيد أن نعبد الله وحده، فلا يدعى إلا هو، ولا يُخشى إلا هو، ولا يتقى إلا هو، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، لا لأحد من الخلق، وألا نتخذ الملائكة والنبين أرباباً، فكيف بالأئمة، والشيوخ، والعلماء، والملوك، وغيرهم».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، أرسل رسوله محمداً بالحق المبين، الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أرسله للناس كافة بشيراً ونذيراً، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

عباد الله: نبينا محمداً ﷺ (أرسله الله إلى الثقلين: الجن والأنس، ولكن أول من أرسل إليهم هم قومه قريش وعشيرته ومن يلتحق بهم، وإلا فهو بُعث إلى الناس كافة - أحمرهم وأسودهم - ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

(أرسله الله إلى أناس يتعبدون، ويحجون ويتصدقون، ويذكرون الله كثيراً) ويصلون الرحم، ويكرمون الضيف، كما قالت خديجة - رضي الله عنها - عن رسول الله ﷺ: «كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» وفيهم من بقايا دين إبراهيم مثل تعظيم البيت والطواف

به، والحج والعمرة، والوقوف بعرفة ومزدلفة، وإهداء البدن؛ ويعرفون أن الله وحده هو المتفرد بالخلق والتدبير، ويخلصون في الشدة كما ذكر الله عنهم في آيات عدة. لكنها لا تنفعهم لأنهم كفار، فعبادتهم باطلة، وما أنزل الله بها من سلطان، ومن شرط التقرب إلى الله - تعالى - أن يكون المتقرب إلى الله مسلماً وهؤلاء غير مسلمين.

وهذه هي القاعدة الثانية: وهي أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يعرفون الله ويعظمونه ويحجون ويعتمرون، ويزعمون أنهم على دين إبراهيم الخليل.

(ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله - عز وجل -) والوسائط إما ملائكة أو جن، أو أولياء أو أنبياء، أو غير ذلك.

(يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله) فهم ليسوا ملاحدة، إنما في ألسنتهم ذكر الله - عز وجل -، (ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة، وعيسى، ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين). هذه آفتهم، وهي اتخاذهم وسائط بينهم وبين الله. فعبادتهم لا تنفعهم، إذ جعلوا الله شريكاً في العبادة؟ وهي أصنام لا تملك لهم نفعاً ولا ضرراً. وأنهم شفعاء لهم عند الله - عز وجل - ولكن هذه الشفاعة شفاعة باطلة لا تنفع أصحابها لأن الله - عز وجل - يقول: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] فهذا أفسد جميع ما هم عليه من هذه العبادات، وصاروا بذلك كفاراً مرتدين

حلال الدم والمال. فهذه هي عقيدة المشركين الأولين وهذا دينهم. ولا فرق بين أن كون المشرك به مع الله - سبحانه - صنماً أو عبداً صالحاً، أو نبياً مرسلأ، أو ملكاً مقرباً؛ ولا أن يكون قصد الشرك أن معبوده ليس شريكاً لله في ملكه، بل هو مجرد وسيلة إلى الله ومقرب إليه. ودل ذلك على أمرين:

الأول: أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يكفي للدخول في الإسلام، ولا يعصم الدم والمال، ولا ينجي من عذاب الله. الأمر الثاني: أن عبادة الله إذا دخلها شيء من الشرك أفسدها فلا تصح العبادة إلا مع الإخلاص.

فأهم شيء معرفة دين المرسلين فيُتَّبَع، ومعرفة دين المشركين والشياطين فيُجْتَنَّب؟ فإن من لا يعرف الجاهلية لا يعرف الإسلام. هذا وصلوا وسلموا...



الخطبة الأولى (١)

١٠

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء
بروجاً، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً
لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله
حق جهاده، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - ، ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله: لا يزال المؤلف - رحمه الله تعالى - في كتابه (كشف الشبهات)
يتحدث عن التوحيد وإفراد الله - عز وجل - بالعبادة، ويصف لنا حال
وواقع المشركين، ويرد على شبهاتهم.

وذكر القاعدة الثالثة: وهي أن تعرف أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم
رسول الله ﷺ ما قصدوا من قصدوا بعبادتهم إلا لأجل التقرب والشفاعة
منهم إلى الله.

(١) الخطبة الرابعة من كتاب (كشف الشبهات) وهي عن: رسالة النبي ﷺ.

وهؤلاء المشركون يريدون التقرب إلى الله، فهم ليسوا ملاحدة، وعندهم صلاة وصيام وصدقة وتعبد، روى مسلم عن أبي ذر - رضي الله عنه - أنه كان يصلي في الجاهلية قبل أن يبعث النبي ﷺ ولفظه: «قد صليت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين».

وفي الحديث: «إنما بعثت لأتمم محاسن الأخلاق»، فهم كانوا على حسن في التعامل وكانوا وكانوا، ولكن لم يكونوا موحدين، فإذا العبرة كل العبرة في التوحيد، وليست في أنهم يحجون أو لا يحجون، يعتمرون أو لا يعتمرون، يتصدقون أو لا يتصدقون، يذكرون الله أو لا يذكرون، ليس هذا هو البرهان؛ لهذا في بعض هذا الزمن لما فشا الجهل بالتوحيد تجد أن كثيرين إذا وجدوا من يتكلم وفي لسانه ذكر الله - عز وجل -، أو أنه يقول الحمد لله، أو يقول الله أكبر، أو يقول ما شاء الله، أو يذكر الله بلسانه، أو يتصدق، أو يحضر المسجد، أو يقرأ القرآن، يزعمون أنه مسلم ولو عبد غير الله - عز وجل -، وهذا ليس هو المقصود، وإنما هذه الشرائع جاءت بعد التوحيد، فإذا لم يتم التوحيد في قلب صاحبه، فلا تقبل هذه الشرائع.

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - : (بعث الله محمداً ﷺ) إلى قريش وغيرهم؛ وهم على تلك الحالة من هذا الكفر، وهو عبادة الأصنام لتقربهم بزعمهم إلى الله - تعالى - . بعثه بالتوحيد الخالص ويدعوهم إلى عبادة الله وحده ويحذرهم من الشرك، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

(يجدد لهم) ما اندرس واخلوق من (دين أبيهم إبراهيم - عليه السلام-)، فإن قريشاً ومن يليهم ذريته وورثته، وكانوا على هذا الدين الحنيف، وهم يدعون أنهم على دين إبراهيم - عليه السلام - وهذا واضح من فعلهم بعض العبادات. ولكنه اندرس واخلوق فيهم بسبب عمرو بن لحي، بعد أن استخرج الأصنام وفرقها في العرب، وغير عليهم التلبية، فتغير بسبب ذلك. روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار فكان أول من سب السوائب» وفي لفظ: «وغير دين إبراهيم» وفي لفظ عن ابن إسحاق: «فكان أول من غير دين إبراهيم، ونصب الأوثان»، إلى أن قال: «وكانت نزار تقول في إهلالها: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك».

(ويخبرهم) رسول الله ﷺ (أن هذا التقرب والاعتقاد) الذي يباشرون به الآلهة (محض حق الله) خالص حق الله من العبادة.

ومحض حق الله يرجع إلى المسألتين:

الأولى: التقرب

الثانية: الاعتقاد.

لأن هناك من يعتقد ولا يتقرب، وهناك من يتقرب ويعتقد، فكل المسألتين محض حق الله - عز وجل - (لا يصلح منه شيء لغير الله، لا

لملكٍ مقرب، ولا نبي مُرسَل، فضلاً عن غيرهما)، وإذا كان لا يصلح لأهل الدين والفضل، فمن دونهم بطريق الأولى، فلا يُعتقد ولا يُطلب ولا يُقصد إلا الله - تعالى -، ولا يوسَّط من الخلق أحدٌ بينه وبينهم ولا يُتقرب به، ولا يصفح ولا يدنو من أن يصلح لبشر من حق رب العالمين شيء. وبهذا تعرف دين قريش ودين محمد ﷺ.

ثم قال المؤلف: (وإلا فهؤلاء المشركون مقرون، يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات السبع ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن، كلهم عبده وتحت تصرفه وقهره)، وهذه هي القاعدة الرابعة: وهي؛ أن تعرف أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بتوحيد الربوبية فهم مُقرِّون مدعون بتوحيد الربوبية، لم ينازعوا فيه، ولا جاءهم الخلل من ذلك؟

قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]. والآيات في هذا المعنى كثيرة، لكن هذا لا ينفعهم لأن هذا إقرار بالربوبية فقط. لا ينفع الإقرار بالربوبية حتى يكون معه الإقرار بالألوهية وعبادة الله وحده.

فهم يعرفون الله ويفعلون أنواعاً من العبادات، إنما نازعوا في توحيد العبادات، وجاءهم الخلل بجعل الوسائط شركاء مع الله في العبادات، زعماً منهم أنهم أقرب منهم إلى الله وسيلة. هذا هو شركهم الذي صاروا به كفاراً مرتدين.

والإقرار بالربوبية يستلزم الإقرار بالألوهية، وأن الإقرار بالألوهية متضمن الإقرار بالربوبية.

أما الأول: فهو دليل ملزم، أي أن الإقرار دليل ملزم لمن أقر به أن يقر بالألوهية لأنه إذا كان الله وحده هو الخالق وهو المدبر للأمر وهو الذي بيده ملكوت كل شيء؛ فالواجب أن تكون العبادات له وحد لا لغيره.

والثاني: متضمن للأول، يعني أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية لأنه لا يتأله إلا للرب - عز وجل - الذي يعتقد أنه هو الخالق وحده، وهو المدبر لجميع الأمر - سبحانه وتعالى -.

قال المقريري: «فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الإلهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين؛ ولهذا كانت كلمة الإسلام: لا إله إلا الله، ولو قال لا رب إلا الله لما أجزأه عند المحققين».

وهذا الجحود هو في الحقيقة جحود في الظاهر فقط، كما قال تعالى:

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

الخطبة المنبرية لكتاب: كشف الثبهمات

فحقيقة دين قريش قبل مبعث النبي ﷺ أنهم يتخذون شفعاء؛ يدعونهم ويدبحون لهم، ويهتفون بأسمائهم، يقولون: لسنا أهلاً لسؤال الله، فيتخذون وسائط أقرب منهم إلى الله، ليشفعوا لهم ويسألوا الله لهم! فأخبرهم النبي ﷺ أن هذا محض حق الله، لا يصلح منه شيء لغير الله. أما توحيد الربوبية فهم معترفون به.

قال قتادة - رحمه الله -: «الخلق كلهم يقرون لله أنه ربهم ثم يشركون بعد ذلك».

وقال ابن قتيبة - رحمه الله -: «فلمست واجداً أحداً إلا وهو مقر بأن له صناعاً ومدبراً وإن سماه بغير اسمه، أو عبد شيئاً دونه ليقر به منه عند نفسه، أو وصفه بغير صفته، أو أضاف إليه - ما تعالى عنه علواً كبيراً - قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِهِمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩].
بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:
أيها المسلمون:

خلق الله - تعالى - الخلق ليعبدوه، وأورثهم الأرض ليوحدوه، وامتن - تعالى - على عباده بالإيجاد والإمداد، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

والمسلم لا يدعو إلا الله، وليس بينه وبين ربه وسائط، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

وتتمة حديث المؤلف - رحمه الله تعالى - قوله: (فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا) أي: بتوحيد الربوبية، وأنهم يشركون في توحيد الألوهية. (فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ فالمشركون يعترفون بأن الله - سبحانه وتعالى - هو الخالق الرازق المتصرف في عباده الذي بيده الأمر، لا ينكر أحد منهم هذا.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا الرزق الذي تأكلون منه وتشربون وتلبسون وتركبون من الذي جاء به هل جاءت به الأصنام؟ الأصنام جمادات وحجارة، أم الأشجار أو الأموات أو القبور والأضرحة؟ كلها لا تأتي بأرزاقكم فهم يعترفون بأن أصنامهم لا تخلق ولا ترزق، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ السمع الحاسة العظيمة التي تسمع بها الأصوات؛ والبصر الذي تبصر به النور؛ من الذي خلقه فيكم؟ هل خلقه أحد غير الله؟ فهل رأيتم أحداً من الخلق أوجد في أحد السمع إذا سلب منه؛ وهل يستطيع أحد أن يرد للأعمى البصر الذي ذهب عنه؟ لو اجتمع أهل الأرض كلها على أن يجعلوا في عينه بصراً ما استطاعوا لا الأصنام ولا الأطباء ولا الحذاق من العلماء، فالمشركون معترفون بأن أصنامهم لا تعمل أي شيء من ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٦] لا يوجد أحد يجيب عن هذا السؤال ولا أحد يستطيع غير الله أن يأتي بالسمع والبصر.

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ هذا من العجائب يخرج الحي من الميت، ويخرج الزرع من الحبة، ويخرج المؤمن من الكافر ﴿يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ يخرج الكافر من المؤمن، ويخرج البيضة من الطائر. الذي يقدر على هذا هو الله - سبحانه وتعالى -:

﴿ وَمَنْ يُدْبِرِ الْأُمْرَ ﴾ هذا عموم. يعني كل الأمور؛ من الموت والحياة، والمرض والصحة، والكفر والإيمان، والغنى والفقر، والليل والنهار، والعز والذل والملك؛ يعطي ذلك من يشاء، ويأخذه ممن يشاء، كل ما يجري في هذا الكون من تقلبات وتغيرات من الذي يوجد هذه التغيرات وهذه التقلبات؟ فسيقولون الله، فقال الله لنبيه ﷺ: ﴿ فُكُلٌ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ﴿١﴾ ما دام أنكم معترفون أن هذه الأمور بيد الله وأن أصنامكم لا تفعل شيئاً منها؛ أفلا تتقون الله - عز وجل - وتوحدونه وتفردونه بالعبادة لأنكم إن لم تتقوا الله فإن الله يعذبكم لأنه أقام عليكم الحجة وقطع منكم المعذرة فلم يبق إلا العذاب ما دمتم عرفتهم الحق ولم تعملوا به، وهذا الاستفهام للتوبيخ والإلزام، أي أنكم إذا أقررتم بذلك لزمكم أن تتقوا الله وتعبدوه وحده لا شريك له ﴿ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ ﴿٢﴾ [يونس: ٣٢] تبين لكم أن العبادة حق لله - تعالى - فلا معبود بحق إلا الله - سبحانه وتعالى - فإن لم تعبدوه فإن هذا ضلال؛ فماذا بعد الحق الذي هو التوحيد وإفراد الله بالعبادة إلا الضلال الذي هو الشرك.

وهذا وصلوا وسلموا...

الخطبة الأولى (١)

١١

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ ؕ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

عباد الله: أكمل الله - تعالى - لنا الدين؛ وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، فلا دين حق الآن سوى الإسلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ

عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا سَلَّمْتُ ﴿ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] ولقد قدر الله - تعالى - على بعض هذه الأمة أن تحيد عن صراط ربها فترات من حياتها، وتسلك صراط الضالين، ويتبع بعض أبنائها أعدائهم.

عباد الله:

لا يزال المؤلف في كتابه (كشف الشبهات) يورد الأدلة على أن الله - عز وجل - وحده هو المستحق للعبادة لا شريك له في ذلك.

قال - رحمه الله -: (وقوله تعالى: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد: ﴿ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا ﴾ ملك له، ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾) المالك لها وحده هو الله، ﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾) وتستدلون بها على أنه المستحق أن يُعْبَدَ إذا كانت ملكه وليس لهم فيها شراكة، فتفردونه بالعبادة وتتركون من سواه من العباد، الذين ليس لهم من ملك في الأرض ومن فيها.

وهذه الآيات وآخرها مما يدل على أن المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ يقرون بتوحيد الربوبية.

والآيات الدالة على أن المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ يقرون بتوحيد الربوبية كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [٨١] سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [٨٧] قُلْ مَنْ يُبْدِيهِمْ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٨٨]

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۖ يعني: وحده فإنهم ما أشركوا في الربوبية، إنما أشركوا في الألوهية بجعلهم الوسائط، ﴿قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (المؤمنون: ٨٤-٨٩) أي: كيف تُخدعون وتُصرفون عن طاعته وتوحيده، مع اعترافكم وعلمكم بأنه وحده الخالق المتصرف؟!!

(وغير ذلك من الآيات) الدالة على إقرار المشركين بالربوبية كقوله: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۗ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [القمان: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۗ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١].

وهذا مما احتج به - تعالى - عليهم، احتج عليهم بما أقروا به من ربوبيته، على ما جحدوه من توحيد العبادة، فإن توحيد الربوبية هو الأصل وهو الدليل على توحيد الألوهية، فإذا كان الله - تعالى - هو المتفرد بخلق السموات والأرض لم يشرك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل، فكونه هو الخالق وحده، يقتضي أن يكون هو المعبود وحده؟ فإنه من أبعده شيء، أن يكون المخلوق مساوياً للخالق، أو مستحقاً لما يستحقه الخالق، فلا تُسوى ولا يُجعل من لا شركة له في شيء، شريكاً لمن هو مالك كل شيء، بإقرارهم بالربوبية ناقص، لو كان حقيقة لعملوا بمقتضاه، لو تمّموا أنه الخالق وحده، الرازق وحده، لما جعلوا له نداً من خلقه؛ لكنه مع

ذلك فيه ضعف؛ لو أنه تام لما تخلف عنه إفراده بالعبادة.

(فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا) أي؛ إذا تحققت وعرفت مما تقدم أن الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ من المشركين مقرون بتوحيد الربوبية؛ وهو اعتقاد أن الله وحده هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور، وأن الذي جحدوه هو توحيد الألوهية (وأنه لم يدخلهم في التوحيد) - في الإسلام - (الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ)، لم يكونوا مؤحدين، بل كانوا مشركين، دليل ذلك الآيات المتقدمة ذكرها، ولم يعصم دماءهم وأموالهم. (وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه) وصاروا بجحدوه وإنكاره كفاراً حلال الدم والمال (هو توحيد العبادة). وهذا هو الغالب؛ أن شرك المشركين يكون في توحيد العبادة، وهو التوحيد الذي جحدوه المشركون، وقد يقع إشراكهم في توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات. ففي توحيد الربوبية ما جاء في الصحيحين من حديث زيد بن خالد - رضي الله عنه - قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافراً، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك يؤمن بي وكافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب».

أما في الأسماء فقد أنكر المشركون اسم الرحمن؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۝﴾ [الفرقان: ٦٠] أما الصفات فقد أنكروا على سبيل المثال صفة القدرة، حيث أنكروا قدرة الله على إعادتهم بعد موتهم، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۗ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝﴾ [يس: ٧٨].

وذلك لأنهم يفسرون توحيد الألوهية بأنه اعتقاد أن الله - تعالى - هو الخالق والرازق والمحيي المميت والنافع الضار وحده، ففسروا توحيد الألوهية بنفس معنى توحيد الربوبية.

هذه القاعدة الخامسة: وهي أن إقرار الكفار بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام إذ لم يخلصوا الله وحده.

وأنة ليس توحيد الربوبية كافياً في الدخول في الإسلام، وأنه لا بد من ثمرته وهو توحيد الألوهية، وأن التوحيد الذي أشركوا فيه ولم يخلصوا فيه هو توحيد العبادة (الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد) فيقولون: فلان فيه عقيدة، يعني: يصلح أن يعتقد فيه أنه ينفع؛ إذا ادَّعوا في شخص الاعتقاد، يعني: الادعاء فيه الألوهية (كما كانوا يدعون الله ليلاً ونهاراً) يعني: المشركين الأولين يدعون الله ليلاً ونهاراً إذا اضطروا إلى ذلك.

وهذا أمر ثان من شأن المشركين؛ كما أنهم يعترفون بتوحيد الربوبية فهم أيضاً يعبدون الله فيدعونه، ويحجون إلى البيت، ويذبحون ويتصدقون،

ويعبدون الله بأنواع من العبادة لكنهم يخلطونها بالشرك، بحيث يعبدون الله ويعبدون غيره، وهذا لا ينفعهم شيئاً لأن الشرك يبطل عباداتهم، فالعبادة لا تنفع إلا مع الإخلاص؛ ولهذا يقول عز وجل: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] ما اقتصر على قوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾، بل لا بد أن يجتنب الشرك.

كذلك هؤلاء المشركون كان الجدال الذي بينهم وبين الرسول ﷺ هو في عبادة الله وحده لا شريك له، فالرسول ﷺ يقول لهم: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» وهم يقولون ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ ويقولون هذا دين آبائنا وأجدادنا، حتى أن أبا طالب عند وفاته لما طلب منه الرسول أن يقول: «لا إله إلا الله» أبى أن يقولها، وقال: هو على ملة عبدالمطلب. وملة عبدالمطلب عبادة الأصنام. والخصومة بين الرسل وبين الأمم هي في توحيد الألوهية.

أما توحيد الربوبية فهو محل إجماع عند الجميع لم يخالفوا فيه، وإنما خالفوا في توحيد الألوهية فهو محل النزاع، وهو الذي شرع من أجله الجهاد في سبيل الله. يقول الرسول ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» [رواه البخاري].

لكن بقيت بقايا من دين إبراهيم عندهم وهم مشركون؛ فهم يدعون الله خصوصاً إذا وقعوا في الشدة؛ فإنهم يخلصون الدعاء لله - عز وجل - ويتركون دعاء الأصنام لأنها لا تنفع في هذا الموقف ولا تنجدهم في وقت الشدة عليهم، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ^{٦٧} وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ [الإسراء: ٦٧].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ^{٣٢} وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ [لقمان: ٣٢].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً، وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً، من ركن إليه كفاه وآواه، واكتفه وحماه، وكفى بالله وكيلاً، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واذكروا وقوفكم بين يديه، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

عباد الله:

العبادات إذا خالطها شرك تكون باطلة. فالذين يدعون الإسلام الآن ويصلون ويصومون ويحجون؛ ولكنهم يدعون الحسين والبدوي وعبد القادر الجيلاني؛ هؤلاء مثل المشركين الأولين؛ فالمشركون يتعبدون لله - عز وجل - ولكنهم يدعون اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ولا يقولون أن هذه أرباب؛ بل يقولون هذه تقربنا إلى الله زلفى؛ نريد منها الزلفى عند الله والتقرب إلى الله، فهي وسائط وشفعاء بيننا وبين الله. وهؤلاء يقولون الحسن والحسين وعبد القادر والبدوي إنما هم شفعاء لنا عند الله، ولا يقولون إنهم يخلقون ويرزقون ويتصرفون

في شيء من الأمور؛ وإنما هذا الله - عز وجل -، إنما هؤلاء وسائط وشفعاء. ويقول بعض الناس هؤلاء مسلمون فنقول ولماذا لا يكون كفار قريش مسلمين أيضاً؟!

ثم ذكر المؤلف معبودات المشركين في قوله - رحمه الله تعالى -:
 (ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله) وفيه الرد على مشركي زمانه حيث أنه يدعون أن المشركين الأولين كانوا يجعلون واسطتهم أحجاراً وأصناماً وكواكب، أما نحن فنجعل الواسطة أناساً صالحين من أنبياء وأولياء وملائكة ليشفعوا له، وشرك المشركين بالملائكة من جهة شبهتين:

الأولى: أنهم أرواح طاهرة سالحة لم تعص، ولذلك كانت أرفع من البشر. أرفع من المخطئين من العصاة، فإذا أراد العاصي أن يتقرب إلى الله ضعفت نفسه فذهب يتقرب بأرواح طاهرة إلى الله، بظنه أنه لأجل معصيته لا يستطيع أن يصل إلى الله.

الشبهة الثانية: لأجل قرب الملائكة من الله - عز وجل -.. (أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات، أو نبياً مثل عيسى)، أي؛ ومن الأولين في بعض الأحيان من يدعو الملائكة..

أو قيل عيسى؛ فإن عيسى ومريم وقع بهما الشرك واتخذا إلهين مع الله - عز وجل - إلخ. هذا هو حقيقة شركهم فقط؛ فحقيقة دينهم أمران:

الأول: أنهم يزعمون أن هذا شيء يحبه الله.

الثاني: أنها تقربهم إلى الله زلفى؛ فتقربوا إلى الله بما يبعدهم منه.

وهذه هي القاعدة السادسة: وهي أن تعرف أن النبي ﷺ ظهر على

أناس متفرقين في عباداتهم؛ منهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من

يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد

الأشجار والأحجار، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم.

وقد مثل الشيخ - رحمه الله - بثلاثة أمثلة:

المثال الأول: استغاثة أو تأليه الملائكة بسؤالهم، ودعائهم، والاستغاثة

بهم، وإنزال الحاجات بهم، والتعلق بهم، ورفع ما يريده العباد عن

طريقهم، يعني: أن يكونوا وسطاء.

المثال الثاني: في الصالحين مثل اللات.

المثال الثالث: بالأنبياء مثل عيسى - عليه السلام -، وعيسى - عليه

السلام - أخذ إليها يسأل ويطلب منه، ويستغاث به، وتنزل الحاجات به.

هذا وصلوا وسلموا...

الخطبة الأولى (١)

١٢

الحمد لله، يحمد بنعمته، وتنال كرامته برحمته، ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فوصية الله للأولين والآخرين تقواه: ﴿ وَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١].

أيها المسلمون:

خلق الله الخلق لعبادته وحده، والدخول تحت أمره ونهيه، قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١] وما أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وقام سوق الجنة والنار إلا لأجل هذه الحقيقة العظيمة، ولإخراج العباد من داعية أهوائهم؛ إلى عبادة خالقهم ومولاهم.

(١) الخطبة السادسة من (كشف الشبهات) قولهم: الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة.

عباد الله: لا يزال المؤلف في كتابه (كشف الشبهات) يوضح ويبين دين قريش. حيث قال - رحمه الله -: مبيناً حال المشركين:

(وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم) أي: قريش، واستحل دماءهم وأموالهم (على هذا الشرك) - أي الشرك في العبادة - حيث كانوا يعبدون غير الله معه. وأنه ليس من شرط الشرك أن يكون السائل لتلك الأرواح والأموات والملائكة يعتقد أنها تنفع السائل استقلالاً. والمشركون قديماً وحديثاً يقولون: نسألهم لما لهم من المقام عند الله حتى يشفَعوا لنا.

(ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾) قيل: المراد بالمساجد أعضاء السجود، وقيل: المراد بها المبنية للصلوات. والكل حق؛ فالمساجد بُنيت ليوحد الله فيها ولا يُعبد فيها سواه، والأعضاء خلقت ليعبد بها ولا يعبد بها سواه (﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾) هذا عمومٌ داخلٌ فيه جميع المخاطبين من الأنبياء وسائر المكلفين. و﴿أَحَدًا﴾ نكرة؛ لا حجر ولا شجر، ولا نبي ولا ولي.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «هذه الآية وأمثالها تقطع شبهة كل من دعا غير الله من ميت أو غائب» والإخلاص لله معناه: أن يقصد المرء بعبادته التقرب إلى الله - سبحانه وتعالى - والوصول إلى دار كرمته.

وهم إنما يقولون إن هؤلاء صالحون؛ فيتخذونهم وسائط بينهم وبين الله وشفعاء لهم عند الله - عز وجل - يقربونهم إلى الله زلفى، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ

هَتُوْلَاءِ شَفَعْتُوْنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿ [يونس: ١٨] وفي زماننا الحاضر يقولون هؤلاء وسائل نتوسل بهم إلى الله - عز وجل - وهذا كله دين الجاهلية وهو باطل، لأنه عبادة لغير الله - تعالى -.

وكفار قريش أقروا بتوحيد الربوبية وجحدوا توحيد الألوهية لما طلب منهم أن يفرّدوا الله بالعبادة ويتركوا عبادة الأصنام؛ قالوا: ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ ﴿ تعجبوا أن طلب منهم أن يعبدوا الله وحده ويتركوا عبادة اللات والعزى ومناة وهبل وغيرها من الأصنام، وهذا شيء لا يعقل عندهم ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾ ملة آبائهم.

وقال فرعون لما دعاه موسى إلى عبادة الله ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾ ﴿ طه: ٥١].

(وكما قال تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾) فهو الحق، ودعوته وحده هي الحق، وهو المستجيب لداعيه؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

(﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾)، وهذه من صيغ العموم، تشمل الأنبياء والأولياء والصالحين والأصنام.

«شيء» نكرة، فشملت أي نوع وجنس، فعمت المدعو وعمت المطلوب - فأي مدعو لا يستجيب من أي شيء كان، وأي مطلوب لا يحصل من أي شيء كان، فما سواه باطل ودعوتهم باطلة - فإنهم ما بين ميت وغائب وحاضر لا يقدر.

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ٥٥]، ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿١١﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أذِنَ لَهُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سبا: ٢٢-٢٣]، ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الرعد: ١٤]، ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يونس: ١٠٦]، ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر: ٣٨].

فدعائهم كما أنه شرك، فهو ذاهب ضياع وخسار، فالمشرك أضل الناس وأغبنهم صفقة في الدنيا والآخرة.

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - بعد هذا البيان والتفصيل:

(وتحققت) مما تقدم، وأن سبب قتال النبي ﷺ للمشركين؛ أنهم أشركوا في العبادة (أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله) بدأ المؤلف بالدعاء لأنه من أجل الطاعات وأفضل العبادات، ودعاء غير الله أعظم مسألة خالف رسول الله ﷺ فيها المشركين، فإنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله - تعالى - وعبادته. والله - عز وجل - لم يحذر في كتابه العزيز عن أي نوع من أنواع الشرك مثل ما حذر عن الشرك في الدعاء؛ قال الشيخ حمد بن معمر - رحمه الله -: «لا نعلم نوعاً من أنواع الكفر والردة ورد فيه من النصوص مثل ما ورد في دعاء غير الله بالنهي عنه والتحذير من فعله والوعيد عليه».

قال المؤلف: (والذبح كله لله) والدليل قول تعالى ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخَرِ ﴾ [الكوثر] وقد قرن - سبحانه - بين الذبح والصلاة لأن أفضل العبادات البدنية الصلاة، وأجل العبادات المالية النحر. وفي الحديث: «لعن الله من ذبح لغير الله».

وقال - رحمه الله تعالى -: (والنذر كله لله) النذر جمع نذور، والنذر عبادة يجب إخلاصها لله؛ قال تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان: ٧] ووجه الدلالة من الآية: أن الله - تعالى - مدح

المؤمنين بالندز، وهو - سبحانه - لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب، أو ترك محرم، لا يمدح على فعل المباح المجرد، وذلك هو العبادة، فمن فعل ذلك لغير الله متقرباً إليه فقد أشرك؛ فمن نذر لغير الله كالندز للولي أو الصنم، أو شجر أو شمس أو قمر فقد أشرك في العبادة. (والاستغاثة كلها بالله) وهي طلب الغوث؛ أي النصره هذا من جهة التمثيل؛ مثل بالندز والذبح والاستغاثة. وإلا فإن أصناف شرك المشركين وصرْفهم العبادة لغير الله كثيرة. (وجميع أنواع العبادة كلها لله) قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]. (وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة، أو الأنبياء، أو الأولياء، يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم). أي؛ لا يكون بعض ذلك لله وبعضه للبدوي، وبعضه لله وبعضه للحمسين، لابد أن يكون الدعاء كله لله، والذبح لله، والندز كله لله، وسائر العبادات كلها لله، وهذا هو الدين الصحيح. أما أن تكون العبادة مشتركة بين الله وبين القبور والأضرحة والأولياء والصالحين فهذا ليس هو التوحيد؛ بل هو دين المشركين وإن كان صاحبه يعترف بتوحيد الربوبية ويصوم ويحج ويعتمر إلى غير ذلك. وأن قصدهم الملائكة، أو الأنبياء، أو الأولياء، يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم.

أي أنهم لم يقولوا إن الملائكة والأنبياء والأولياء الذين يعبدونهم يخلقون ويرزقون ويحيون ويميتون، ما قالوا هذا؛ وإنما اتخذوهم شفعاء ووسائط بينهم وبين الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ما أرادوا منهم إلا الشفاعة وزعموا أن هذا تعظيم الله. يقولون: الله عظيم ما يمكن أن نصل إليه بدعائنا لكن نتخذ من يوصل إليه حاجاتنا من عباده الصالحين، من الملائكة والرسل والصالحين، فقاوسوا الله على ملوك الدنيا الذين يتوسط عندهم أصحاب الحاجات بالمقربين عندهم، فهم لم يعتقدوا فيهم أنهم يخلقون ويرزقون كما يقول الجاهل: إن الشرك هو اعتقاد أن أحداً يخلق مع الله أو يرزق مع الله، هذا ما قاله أحد من عقلاء بني آدم، وإنما قصدهم الشفاعة، وفي الآية الأخرى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] يقولون نحن عباد ضعفاء والله - جل وعلا - شأنه عظيم ولا نتوصل إليه، فهؤلاء يقربونا إلى الله زلفى، شبهوا الله بملوك الدنيا هذا هو أصل الكفر فدل على أنهم لم يعتقدوا فيهم الشرك في الربوبية وإنما اعتقدوا فيهم الشرك في الألوهية، فإذا سألت الآن من يذبح للقبور أو ينذر لها: ما الذي حملك على هذا؟ فإنهم يقولون كلهم بلسان واحد: والله ما اعتقدنا أنهم يخلقون ويرزقون وأنهم يملكون شيئاً من السماوات والأرض؛ إنما اعتقدنا أنهم وسائط لأنهم صالحون يوصلون إلى الله

حاجاتنا ويبلغونه حاجاتنا هذا قصدنا. ومع هذا سماهم الله مشركين وأمر نبيه بجهادهم كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحَرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ۚ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التوبة: ٥] مع أنهم يقولون اتخاذهم وسائط فنحن نذبح لهم وننذر لهم ونتوسل بهم لأن الله لا يصل إليه شيء من أمورنا إلا بواسطتهم، فهم يوصلونه إلى الله ويكونون وسائط يقربوننا إلى الله زلفى وشفعاء عند الله، هذه شبهتهم قديماً، وهذه شبهة عباد القبور اليوم ﴿تَشَبَّهتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨] فتشابهت أقوالهم وأفعالهم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

بارك الله ...

الخطبة الثانية

الحمد لله، أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، أحمده - سبحانه - وأشكره على نعمه الجمّة، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، بعثه للعالمين رحمة، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه خيار الأئمة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

الاستغاثة: من طلب الغوث، والإنقاذ من الشدة والهلاك، وهو أقسام: الأول: الاستغاثة بالله - عز وجل - وهذا من أفضل الأعمال وأكملها؛ وهو دأب الرسل - عليه الصلاة والسلام - وأتباعهم؛ ودليله قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلٰٓئِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال: ١٩].

الثاني: الاستغاثة بالأموات، أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك، لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية، قال الله تعالى: ﴿أَمِّنْ يٰٓحِبُّ الْمَضْطَّرِّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

الثالث: الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستعانة بهم، قال الله - تعالى - في قصة موسى - عليه السلام -: ﴿ فَاسْتَعْتَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ۗ ﴾ [القصص: ١٥].

الرابع: الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث بمشلول على دفع عدو صائل. فهذا لغو وسخرية بالمستغاث به، فيمنع لهذه العلة؛ ولعلة أخرى وهي أنه ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المستغاث به وهو عاجز أن له قوة خفية ينقذ بها من الشدة. هذا وصلوا...



الخطبة الأولى (١)

١٣

الحمد لله، الذي جعل التوحيد دليلاً على مرضاته، وحادياً إلى جناته، فأكرم به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والصلاة والسلام، على نبينا محمد رسول الله، خير خلق الله ودعاته.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - وأصلحوا العمل ﴿فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥].

أيها المسلمون:

إن القضايا التي يجب ترادها، والمسائل التي ينبغي تعدادها، هي قضايا التوحيد، وإسلام الأمر لله العزيز الحميد.

فالتوحيد، أول دعوة الرسل وخلاصتها، ومن أجله بعثوا، قال الله - سبحانه -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وكل آية في كتاب الله؛ صريحة فيه، أو دالة عليه، أو في واجباته، أو ثوابه، أو في ضده.

(١) الخطبة السابعة من كتاب (كشف الشبهات) التوحيد الذي دعت إليه الرسل.

وأول أمر في كتاب الله: الأمر به؛ قال عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] والتوحيد، حق الله على العبيد، وأول واجب عليهم من التكليف؛ قال رسول الله ﷺ لمعاذ- رضي الله عنه - عندما بعثه إلى اليمن: «فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله» [رواه البخاري ومسلم]. والتوحيد أول ما يسأل عنه العبد في قبره.

عباد الله: بعد أن ساق المؤلف - رحمه الله تعالى - في كتابه (كشف الشبهات) مقدمات يقينية من كتاب الله - عز وجل - وأن المشركين قصدوا الملائكة والأنبياء والأولياء ليكونوا لهم شفعاء عند الله.

قال - رحمه الله -: (عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون) إذا تأملت ما مرَّ من قوله: «فإذا تحققت» وما عُطِفَ عليها، تبين لك التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون، وعرفت حقيقته؛ أنه توحيد الألوهية والعبادة.

أي؛ لما كان إقرارهم بتوحيد الربوبية الذي ذكره الله عنهم وسجله عليهم لم يدخلهم في الإسلام، دل على أن التوحيد المطلوب ليس هو توحيد الربوبية وإنما هو توحيد الألوهية، وهو الفارق بين المسلم والكافر، أما توحيد الربوبية فالكل مقر به المسلم والكافر وهو لا ينفع وحده. ومعرفة ذلك أمر مهم جداً إذ به يعرف التوحيد والشرك والإسلام والكفر، والجهل بذلك ضرره عظيم وخطره كبير لأن الإنسان قد يخرج من الإسلام وهو لا يدري.

وقد ذكر الله - عز وجل - أن من صرف العبادة أو صرف شيء من العبادة لغير الله - عز وجل -، فقد حبط عمله، ولو كان أرفع الخلق، ولهذا قال - تعالى - للنبي ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦] وقد ذكر - تعالى - جملة من الأنبياء في سورة الأنعام؛ ثم قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨] وسورة الأنعام أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية، قيل: وفيها كل قواعد التوحيد.

(وهذا التوحيد) أي هذا التوحيد الذي سبق بيانه؛ وهو إفراد الله بالقصد بالذبح والنذر والاستغاثة وبجميع أنواع العبادة، أي توحيد العبادة هو معنى قولك لا إله إلا الله؛ فإن المألوه هو المقصود المعتمد عليه وهذا هين عند من لا يعرفه، كبير عظيم عند من يعرفه.

(وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله) لم يكتفِ بذكر التوحيد، بل صرَّح لك بكلمته فقال: «وهذا التوحيد» هو مدلول هذه الكلمة «لا إله إلا الله»؛ يعني: أن يكون الإله المعبود هو الله وحده دون كل ما سواه، هذا التوحيد هو معنى قولك: «لا إله إلا الله» مطابقة، وهي التي وُضعت له، واشتملت على ركنين: النفي، والإثبات؛ نفي الألوهية عن كل ما سوى الله، وإثباتها لله وحده. ومعناها: لا معبودَ حق إلا الله وحده؛ كلُّ معبودٍ سوى الله، فعبادته وتألُّفه أبطل الباطل، وأضل الضلال.

(فإن الإله) أي المعبود (عندهم) أي: عند أهل اللسان من قريش وغيرهم من المشركين، الذين بُعث فيهم النبي ﷺ وخاطبهم بقوله: «قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا» (هو الذي يقصد) بالذبح والنذر والدعاء، ونحو ذلك، (لأجل هذه الأمور) - وهي طلب الشفاعة والتقريب إلى الله - بذلك؛ والاستغاثة بهم وطلب تفريج الكربات وقضاء الحاجات. (سواء كان ملكاً، أو نبياً، أو ولياً، أو شجرة، أو قبراً، أو جنياً). وفرق بين معنى الرب، ومعنى الإله، وفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

(لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده) إذا قالوا إله أنه يرزق حقيقة، لا. هذا يكذبه القرآن آية: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]. بل جاء القرآن بأنهم يقولون: يصلحون وينفع إذا اعتقد فيه، وأنه يتصرف بالشفاعة عند ربّ الجميع. نعم في آخر الزمان يعتقدون أنه يفيض عليه من بركته.

(وإنما يعنون بالإله، ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد) إذا قالوا: هذا سيد، يعني: إله، وإن لم يستشعروا هذا اللفظ، فإن السيد عند أكثر المشركين في هذه الأزمان هو الذي يُدعى ويستغاث به في

الشدائد، ويحلف باسمه، وينحر له على وجه التعظيم والقربة، وبعضهم يطلق على ذلك اسم الولي، وبعضهم يسمى هذا المعنى السر، فيقول: فلان فيه من أهل السر. لكن المعنى أنه يصلح لأن يوسط بين أحد من الخلق وبين الله، وأن الاعتقاد فيه ينفع إذا تُسبِّت به، وطلب منه أن يطلب لهم من الله حوائجهم. يعنون أن هذا ولي يُخاف ويُرجى وهذا معتقد لنا، بمعنى أن المعتقد فيه ينفعه ويجيبه، وأنه يصلح للالتجاء إليه، فيتقربون إليه ليقربهم إلى الله؛ يعني: أنهم وسائط.

يعتقدون أن هؤلاء السادة كالسيد البدوي والسيد الرفاعي والسيد التيجاني وغيرهم، يعتقدون أن هؤلاء السادة لهم منزلة عند الله تؤهلهم أن يتوسطوا لهم عند الله، وتؤهلهم أن يُدعوا من دون الله، ويذبح لهم ويطاف بقبورهم ويتبرك بها، فالمشركون الأولون يسمون هذه الأشياء آلهة، والمشركون المتأخرون يسمون هذه الأشياء وسائط ووسائل وشفعاء، والأسماء لا تغير الحقائق فهي آلهة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿المؤمنون: ١١٧﴾.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله فضل من شاء من عباده، ورفع في الجنة منازل أحبائه، وبشرهم بجنة عرضها السماوات والأرض وما فيها من الزيادة، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - عن رسالة النبي ﷺ وما كان يدعو قومه إليه؛ وهي تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله. فقال: (فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله) التي فيها إبطال جميع ما يتعلقون به على غير الله بشيء من أنواع العبادة، المفردة رب العالمين بالألوهية، استحقاقاً وعملاً وفهماً لذلك. فإن من قال لا إله إلا الله وجب عليه أن يُفرد الله بالعبادة، وأن يترك عبادة ما سواه، فإن المقصود من هذه الكلمة معناها والعمل بمقتضاها لا مجرد النطق بها دون عمل بمعناها ومقتضاها، فمن قالها وهو يعبد غير الله لم يكن عاملاً بمقتضاها وهو ترك الشرك، ولا ينفعه مجرد النطق بها لأنه قد ناقض فعله قوله.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله - مبيناً شروط كلمة التوحيد: «وقد قيدت (لا إله إلا الله) في الأحاديث الصحيحة بقيود ثقال، لا بد من الإتيان بجميعها قولاً واعتقاداً وعملاً.. فلا تنفع هذه الكلمة قائلها إلا بهذه القيود إذا اجتمعت له مع العلم بمعناها ومضمونها.. فلا بد من «العلم» بحقيقة معنى هذه الكلمة علماً ينافي الجهل؛ بخلاف من يقولها وهو لا يعرف معناها. ولا بد من «اليقين» المنافي للشك فيما دلت عليه من التوحيد. ولا بد من «الإخلاص» المنافي للشرك؛ فإن كثيراً من الناس يقولها وهو يشرك في العبادة وينكر معناها، ويعادي من اعتقده وعمل به. ولا بد من «الصدق» المنافي للكذب، بخلاف حال المنافق الذي يقولها من غير صدق، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِاللَّسِنَتِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١].

ولا بد من «القبول» المنافي للرد؛ بخلاف من يقولها ولا يعمل بها، ولا بد من «المحبة» لما دلت عليه من التوحيد والإخلاص وغير ذلك، والفرح بذلك المنافي لخلاف هذين الأمرين، ولا بد من «الانقياد» بالعمل بها وما دلت عليه مطابقة وتضمنا والتزاماً.. وهذا هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه».

وأضاف بعضهم شرطاً ثامناً وهو الكفر بالطاغوت؛ «وهذا شرط عظيم لا يصح قوله: لا إله إلا الله إلا بوجوده، وإن لم يوجد لم يكن من قال لا

إله إلا الله معصوم الدم والمال؛ لأن هذا هو معنى لا إله إلا الله، فلم ينفعه القول بدون الإتيان بالمعنى الذي دلت عليه من ترك الشرك والبراءة منه وممن فعله، فإذا أنكر عبادة كل ما يُعبد من دون الله وتبرأ منه وعادى من فعل ذلك صار مسلماً معصوماً بالدم والمال، وهذا معنى قوله الله تعالى:

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ هَٰذَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والمشركون الأولون لما سمعوا هذه الكلمة عرفوا معناها وأنه ليس المقصود التلطف بها فقط، ولذلك قالوا: ﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾.

هذا وصلوا...



الخطبة الأولى (١)

١٤

الحمد لله الذي خلقنا لعبادته، وأرسل إلينا رسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أيها المسلمون:

لا يزال المؤلف - رحمه الله - يبين في كتابه (كشف الشبهات) معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله). وذكر معناها ومدلولها ثم قال:
(والمراد من هذه الكلمة) - كلمة لا إله إلا الله - (معناها لا مجرد لفظها) فإنه لا يكفي فيما أريد بها، وإن كان لا بد من النطق بها عند إسلام العبد، لكن هي مقصودة لغيرها وهو العمل بما دلت عليه، هي من الوسائل لا من الغايات، فلا يكفي اللفظ بدون المعنى، ولا يكفي المعنى بدون اللفظ.

(والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو أفراد الله

(١) الخطبة الثامنة من (كشف الشبهات): معنى لا إله إلا الله.

بالتعلق) أي؛ تعلق القلب به - سبحانه -؛ فلا يرجى أحد سواه، ولا يدعى غيره، ولا تطلب الحوائج إلا منه، ولا يستعان إلا به. (والكفر ب) جميع (ما يُعبد من دونه) كَهَبَل ونحوه، وهذا فهم صحيح، (والبراءة منه) وأن يتبرأ منه، ودليل ذلك وبرهانه (فإنه لما قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله) فَرُوا واستنكروا من أفراد الله بالعبادة، و(قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾) أي: أَجْعَلِ المعبودات معبوداً واحداً؟ فدلَّ على أنهم عرفوا معناها، وقالوا - فيما حكاه الله عنهم -: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦].

فالتوحيد هو الحق وهو النور، لكن عقولهم فسدت وأفسد مزاجها الشرك؛ لأنها نشأت عليه وألفته، فصارت لا تستنكره. فصاروا كالمريض الذي إذا أتى بالشيء الحلو قال هذا مُرٌّ لفساد مزاجه، ولم تنشأ نفوسهم على التوحيد فاستنكرته.

وتوحيد الله - عز وجل - وإفراده بالعبادة يُلزمهم بترك عبادة الأصنام وهم لا يريدون هذا، وإنما يريدون البقاء على عبادة الأصنام، ولم يجروا أن يقولوا لا إله إلا الله وابقوا على عبادة الأصنام لأن في هذا تناقضاً وهم يأنفون التناقض.

(فإذا عرفت أن جهال الكفار) كأبي جهل - فرعون هذه الأمة - وأضرابه من المشركين (يعرفون ذلك) أن معنى «لا إله إلا الله» لا معبود حق إلا الله، وهذا من أعجب العجب أن جهال الكفار والمشركين في عهد النبي ﷺ يعرفون أن معنى هذه الكلمة هو إخلاص العبادة لله وترك عبادة غيره، فلذلك امتنعوا عن النطق بها، تحاشياً لترك عبادة آلهتهم وتعصباً لباطلهم. (فالعجب ممن يدعي الإسلام) بل يدعي العلم؛ بل يدعي الإمامة في الدين ولا يعرف ذلك وهذا هو الخطأ الأول: جهل كثير من المسلمين بحقيقة لا إله إلا الله، فتجد أنهم يقولون هذه الكلمة ويرددونها صباح مساء وتجد أحدهم (وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار) فإن هذا - ادعائه الإسلام - فضلاً عن العلم، فضلاً عن الإمامة، ويخفى عليه ذلك الذي بان وظهر لجهال الكفار، هذا في الحقيقة من أعجب العجب؛ بل من أعظم الجهل وأفحش الخطأ. فيجب على العبد أن يبحث معنى ذلك - أي معنى التوحيد - أعظم من وجوب بحثه عن الصلاة والصوم..

(بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها، من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني) وهذا هو الخطأ الثاني: وهو اعتقاد أن التلفظ بكلمة التوحيد كاف للدخول في هذا الدين، وهذا اعتقاد فاسد؛ فإن الإتيان بلفظ

الشهادة من غير علم بمعناها، ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلف مسلماً؛ بل هو حجة عليه. فإن المنافقين يقولونها - وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار - مع كونهم يصلون ويتصدقون. فإن أبا جهل وأضرابه، لو يعلمون أن هذا هو المراد، لما تلعثوا في قولها ولا نازعوا، وكذلك لو فهموا أن المراد الربوبية، لسارعوا إلى ذلك ولم ينازعوا، لكن علموا أن معناها، أن يكون الإله المعبود، هو الله وحده دون كل ما سواه، والتبري مما سواه، وأنه لا بد من اعتقاد ذلك ووجوده في العمل، وأنها تُبطل جميع ما هم عليه من دين آبائهم وأجدادهم، (والحاذق منهم) الذي يرى أن المراد شيء آخر غير اللفظ، يخطئ المعنى المراد ولا يعرفه (يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله) هذا هو الخطأ الثالث في مفهوم الشهادة. وهو أنهم ظنوا أن معناها قدرته على الاختراع، وهذا معلوم بالفطرة، وبما يشاهد من عظيم مخلوقاته - تعالى - كخلق السموات والأرض، وما فيهما من عجائب المخلوقات. يعني: أنها دلت على توحيد الربوبية، ومعلوم أن «لا إله إلا الله» دلت على توحيد الربوبية بالتضمين لكن معناها الذي وضعت له مطابقة، أن يكون الله وحده هو المعبود دون كل من سواه.

(فلا خير في رجل؛ جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله).

يشير المؤلف - رحمه الله تعالى - إلى ما رواه ابن جرير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وفيه «.. وتكلم رسول الله ﷺ فقال: «يا عم إنني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية» ففزعوا لكلمته ولقوله، وقالوا: كلمة واحدة! نعم وأبيك عشرًا. فقالوا: وما هي؟ وقال أبو طالب: وأي كلمة هي يا ابن أخي؟ فقال: «لا إله إلا الله» فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ فكفار قريش امتنعوا من الاستجابة لطلب النبي ﷺ لأنهم لو أظهروا استعدادهم لقبول الكلمة للزم من ذلك ترك ما هم عليه من عبادة الأوثان وذبح القربان وإخلاص العبادة للرحمن، لكنهم رفضوا ذلك بحجة هي في الحقيقة مغالطة ومكابرة فقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾.

قدم المؤلف - رحمه الله تعالى - بمقدمات للنتيجة التي يصل إليها. فقال: (إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب) يعني: إذا عرفت ما ذكرت لك من الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية معرفة حقيقية واصله إلى سويداء القلب، وتمكنه منه، لأن المعرفة معرفة اللسان أو معرفة الظاهر قد لا تقود للإذعان للحق لكن معرفة القلب معها الاستسلام

لذلك الحق. وأنها ليست مجرد دعوى باللسان؛ فإن مجرد دعوى اللسان من غير معرفة القلب ليست معرفة. فإن الطريق إلى المعرفة يكون بالعقل المجرد، كمعرفة سائر الخلق بألوان الأطعمة والأشربة والمخترعات وغير ذلك من شؤون الحياة الظاهرة، ويكون أيضاً بنور البصيرة وهو نور يتبع الإيمان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ [ق: ٣٧].

(وعرفت الشرك بالله) أي: الشرك في العبادة؛ لا الشرك الذي هو اعتقاد أن أحداً يخلق ويرزق ويدبر مع الله؛ بل الشرك الذي حذر الله منه اعتقاد أن أحداً يستحق العبادة أو شيئاً من العبادة مع الله. وهذا من عطف العام على الخاص، وإلا فما تقدم وافٍ في بيان حقيقة دين المرسلين وحقيقة دين المشركين (الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾) وتصوّرتة ما هو، وقد قدم لك المؤلف ما يُعرّفك به فيما قرّره من معرفة التوحيد؟ فإن بالتوحيد يتبين ضده الشرك.

والشرك: هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

ويريد - رحمه الله تعالى - وضوح صورة الشرك، ثم الخوف من الشرك، وأثر ذلك الخوف، وهو أن يسعى العبد في تعلم التوحيد، وتعلم ضده الذي هو الشرك الأكبر والأصغر.

(وعرفت دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم إلى آخرهم، الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه) يعني: الذي هو التوحيد.

ودين الرسل: واحد، وهو دين الإسلام؛ والاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك وأهله. كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

بارك الله لي ولكم....

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق الجنة وجعل مفتاحها لا إله إلا الله، أحمده - سبحانه - وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مخلص فيها، موقن بها، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، جدد ما اندرس من معالمها، ومع ذلك قال له ربه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد: ١٩)، فصدع بها ونادى، ووالى عليها وعادى، وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها».

دعا إلى هذا الكلمة عشر سنين ولم يدع قبلها إلى زكاة ولا صيام، ولا حج ولا عمرة إلى بيت الله الحرام، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه؛ الذين جاهدوا من امتنع من قولها، أو صد عنها، أو نقضها، أما بعد:

فيا - عباد الله - اتقوا الله حق التقوى، وأخلصوا العبادة لربكم تسعدوا وتنجوا.

أيها المسلمون:

توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، هو لب دعوة الرسل وذروة سنامها والحد الفاصل بين الإيمان والكفر، والإسلام والشرك، وهو القدر المنجي من الخلود في النار في الآخرة، والعاصم للدم والمال والذرية في الدنيا.

عباد الله:

ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - دين الله عز وجل الذي بعث الله به نبينا محمداً ﷺ ثم قال:

(وعرفت ما أصبح غالبُ الناس فيه من الجهل بهذا) أي بجهل الناس بمعرفة التوحيد والشرك؛ فإن أكثرهم ما عرف دين الله الذي بعث به الرسل؛ بل أكثر أهل البسيطة ما عرفوا الفرق بين هذا وهذا، بل عادوا أهل التوحيد وعابوهم وحاربوهم، واتبعوا دين المشركين، كله بسبب عدم الفرق بين هذا وهذا. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءُؤَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤] وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٩].

إذا عرفت هذه الأمور الأربعة معرفة قلب وهي ما تقدم من أن جهال الكفار يعرفون التوحيد، وأن المراد منه معرفة معناه والعمل بمقتضاه.

والثاني: عظم جرم الشرك الذي لا يغفره الله - تعالى -.

والثالث: معرفة دين الرسل من أولهم إلى آخرهم، والذي لا يقبل الله ديناً سواه.

والرابع: ما أصبح عليه غالب الناس فيه من الجهل بهذا التوحيد. إذا عرفت ذلك فأحمد الله - عز وجل - على نعمة الهداية وتمسك بها وعض عليها بالنواجذ. هذا وصلوا وسلموا...

الخطبة الأولى (١)

١٥

الحمد لله الذي رفع راية التوحيد إلى يوم القيامة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، المصطفى الأمين، وإمام الموحدين وقائد المتوكلين، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين،
أما بعد:

فالزموا التقوى - عباد الله - فإنها حصن حصين، بها تنال السعادة في الدنيا، والفوز يوم العرض المبين.
أيها المسلمون:

لما هجر التوحيد علماً وتعلماً وإرشاداً وتذكيراً، ضعف الإيمان وكثرت الشركيات، وقد ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - في كتابه (كشف الشبهات) أصولاً ومحكمات في فهم التوحيد وفهم الشرك، وما كان عليه أهل الجاهلية من الإشراك بالله - عز وجل - وصفة ذلك الشرك وما يتصل بذلك. قال - رحمه الله تعالى -: (أفادك فائدتين) عظيمتين: والذي أفادك ذلك هو ما تقدم من كلام المؤلف - رحمه الله تعالى - في الأمور التالية:
أولاً: أن جهال الكفار يعرفون التوحيد، وأن المراد معرفة معناه، والعمل بمقتضاه.

(١) الخطبة التاسعة من (كشف الشبهات): الفرح بنعمة الهداية إلى التوحيد.

الثاني: عظم جرم الشرك الذي لا يغفره الله - تعالى -.

الثالث: معرفة دين الرسل من أولهم إلى آخرهم والذي لا يقبل الله ديناً سواه.

الرابع: ما أصبح عليه غالب الناس فيه من الجهل بهذا التوحيد. والفائدتين العظيمتين هما:

(الأولى: الفرح بفضل الله وبرحمته) وأن الله - تعالى - فتح ومنّ عليك حتى عرفت المعنى الصحيح لهذه الكلمة، كما قال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» [متفق عليه].

قال ابن حجر: «وفيه أن ذلك لا يكون بالاكْتِسَاب فقط، بل لمن يفتح الله عليه به» فأنت تفرح بفضل الله حيث منّ عليك بمعرفة الحق من الباطل، فإنه صاحب الفضل وهو الذي ساقه إليك، فإنها نعمة عظيمة حرم منها الكثير من الخلق نعمة معرفتك دين المرسلين واعتقاده والعمل به، ومعرفتك دين المشركين ومجانبته والكفر به، كون الله علّمك دين المرسلين ودلّك سبيلهم وعرفك طريقهم. لأن الضلال بلاء.

وتعظم النعمة أن الأكثر صاروا من أهل الجهل به؛ فإن النعمة تزداد إذا كانت مختصة بالقليل دون الكثير، فلو كان الناس كلهم اهتدوا لها وكنّت من عرضهم، لكان محبته نعمة كبرى، فكيف وقد ضل عنها أكثر الناس! (كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا

يَجْمَعُونَ ﴿١٧٦﴾)، فرح شكر واعتراف بالنعمة، والفرح بفضل الله مشروع لأنه شكر لله - سبحانه وتعالى - على نعمة التوحيد ومعرفة الشرك، أما الفرح المذموم فهو فرح أشر وبطر؛ كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ١٧٦]. لكنه في الدين ممدوح ومحجوب وواجب كما دلت عليه الآية، فرح خضوع وخشوع واستكانة، وخوف على زواله، فإن هذه أعظم نعمة عليك - أيها الإنسان -، هو خير مما فرح الناس به وهو الدنيا لو اجتمعت لأحد، مع أنها لا تجتمع لأحد، ولو اجتمعت فهي للزوال والاضمحلال. وما كان الله مقصوداً به وجه الله فهو باقٍ لا يزول، فأفاد أن الفرح بفضل الله وبرحمته واجب.

وفي الآية الأخرى ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٦] فالفرح بالعلم والإيمان دليل على تعظيمه عند صاحبه ومحبته له وإيثاره له على غيره.

(وأفادك أيضاً الخوف العظيم) هذه هي الفائدة الثانية؛ يفيدك مع ما تقدم من الفرح العظيم الخوف على نفسك ودينك، أن تقع فيما وقع فيه كثير من الناس بالمخالفة لهذا الأصل، والوقوع في الشرك وأنت لا تدري فلا تأمن على نفسك من الفتنة، فلا تغتر بعملك أو بفهمك، ولكن قل: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ واسأل الله الثبات، فإن إبراهيم الخليل - عليه السلام - الذي أعطاه الله من العلم واليقين ما لم

يعط غيره يقول ﴿ وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ رَبِّ إِنْ أَضَلَّنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿ إبراهيم: ٣٥-٣٦ ﴾ ومن الدعاء المأثور عن النبي ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» [رواه أحمد].

فتفرح بالدين والعمل به، وتخاف على نفسك من زوال هذه النعمة وذهاب هذا النور؛ وهي معرفتك دين المرسلين واتباعه، ومعرفتك دين المشركين واجتنابه، مع أن أكثر الناس في غاية الجهل به. (فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة) واحدة (يُخرجها من لسانه) دون قلبه. (وقد يقولها وهو جاهل) من جهة أنه لا يرى بها بأساً لا يدري ما تبلغ به من المبلغ، كما جاء في الحديث: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً، يهوي بها سبعين خريفاً في النار» [رواه البخاري].

(فلا يعذر بالجهل). لأنه أعرض مع تمكنه من المعرفة، أعرض مع قرب الحجة منه؛ فجهله لا بسبب خفاء الحق، أو بسبب عدم وجود من ينبهه، وإنما جهله بها لأجل الإعراض.

وقد توعد الله في كتابه من انقلب على عقبه وارتد عن دينه وكفر بربه؛ فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ - فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

وقد ذكر العلماء - رحمهم الله - في باب حكم المرتد أن المسلم قد يرتد عن دينه بأنواع كثيرة من النواقض التي تحل دمه وماله ويكون بها خارجاً عن ملة الإسلام والعياذ بالله؛ ومن أخطرها وأكثرها وقوعاً ما ذكره إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -؛ وهي عشرة نواقض ويمكن إجمالها في أربعة أقسام:

الأول: نواقض اعتقادية: كأن يعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه؛ كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه.

الثاني: نواقض عملية: كأن يشرك في عبادة الله، أو يجعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم.

الثالث: نواقض قولية: كأن يستهزئ بشيء من دين الله، أو ثوابه، أو عقابه، أو لم يكفر المشركين، أو صحح مذهبهم.

الرابع: نواقض شكية: كأن يشك في كفر الكافرين، أو يرتاب في نبوة محمد ﷺ أو أحد من الأنبياء.

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعاً؛ فينبغي للمسلم أن يحذرهما ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.

قال المؤلف - رحمه الله - : (وقد يقولها) أي: كلمة الكفر، هذا للتقليل (وهو) مجتهد (يظن أنها تقربه إلى الله) زلفى (كما ظن المشركون) ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٣] وقولهم ﴿ هَؤُلَاءِ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨] يعني: في جنس شركهم وتوسلهم إلى غير الله، قصدهم أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، فيصرفون لهم خالص العبادة من أجل جهلهم، يقولون: إنهم يسألون لنا من الله وإنهم أقرب منا إليه، ولكن هذا هو عين الشرك الأكبر.

وهذا الإنسان قال كلمة من الكفر أحبطت عمله كله وهو الذي قال: «والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله - جل وعلا -: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان، إني قد غفرت له وأحبطت عملك» [رواه مسلم] وكذلك قصة الذين كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك لما قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً وأكذب ألسناً وأجبن عند اللقاء، يزعمون أنهم قالوها من باب المزاح ويقطعون بها الطريق بزعمهم، قال الله فيهم: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ﴿٥٦﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿٥٧﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] دل على أنهم مؤمنون في الأول؛ فلما قالوا هذه الكلمة كفروا والعياذ بالله، مع أنهم يقولونها من باب المزاح واللعب.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله المبدئ المعيد، الواحد القهار؛ ذي العزة والاقتدار، أشهد
 ألا إله إلا الله، إليه يرجع الأمر كله وإليه ترجعون، وأشهد أن نبينا محمداً
 عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين.
 أما بعد:

لا يزال المؤلف - رحمه الله تعالى - يجتهد في بيان الحق وإظهاره.
 قال رحمه الله -: (خصوصاً إن ألهمك الله ما قصص عن قوم موسى مع
 صلاحهم وعلمهم) قوم موسى هم إسرائيل الذين آمنوا بموسى خرجوا من
 مصر حيث أمره الله أن يخرج بهم فراراً من فرعون؛ فخفي عليهم هذا الأمر
 مع أنهم علماء وفيهم صلاح وتقوى، وخرجوا مع موسى مقاطعين لفرعون
 وقومه فلما أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم أرادوا تقليدهم في ذلك،
 وطلبوا من موسى لما مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم (أنهم أتوه قائلين:
 ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ - فقال منكرأ عليهم - هذه المقالة وأخبرهم أن
 عمل هؤلاء القوم شرك بالله - عز وجل -: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾).

وفي حديث أبي واقد الليثي: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين،
 ونحن حديثو عهد بكفر، وكانوا أسلموا يوم الفتح، قالوا: يا رسول الله
 اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر

إنها السنن، قلت كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون» [رواه الترمذي].

قال العلماء: أصحاب موسى - عليه السلام - لم يكفروا، وأصحاب محمد ﷺ الذين كانوا حدثاء عهد بكفر لم يكفروا بتلك الكلمة، ولكن لو تبعها عمل لكفروا، لأنهم طلبوا شيئاً عن جهل فلما تبين لهم انتهوا. وكل هذا يفيد أن الموحد قد يخفى عليه بعض أفراد التوحيد.

(فحينئذٍ إذا عرفت أن الرجل يكفر بكلمة.. إلخ. (يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله).

ومن أسباب الخلوص من هذا الداء العضال: التفتيش عن مبادئه ووسائله وذرائعه، خشية أن تقع فيه وأنت لا تشعر، وكان حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - يقول: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني» [رواه البخاري].

ومن أسباب التخلص من هذا: صدق الابتهاال إلى الله وسؤاله التثبيت، وكثيراً ما كان رسول الله ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «اللهم يا مقلب القلوب والأبصار، ثبت قلبي على دينك» [رواه الترمذي]، كما ابتهل الخليل - عليه السلام - إلى الله، فقال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ إِلَّا صَنَامَ ۖ رَبِّ إِيَّاهُ أَصْلَحَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۗ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦].

هذا وصلوا وسلموا...



الخطبة الأولى (١)

١٦

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، فهدانا للإسلام وأتم علينا هذا الدين، وأشهد ألا إله إلا الله رب العالمين، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق نبوراً للناس أجمعين، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - في السر والنجوى، واعلموا أن أعمالكم على الله لا تخفى.

أيها المسلمون:

لا زلنا في أفياء التوحيد وتخليصه من الشوائب وبيان حقيقته.

قال المؤلف - رحمه الله - في كتابه (كشف الشبهات): (واعلم) - أيها الطالب - (أن الله - سبحانه - من حكمته) البالغة ومن تلك الحكم: الابتلاء والتمحيص، وأن الحق لا يظهر إلا إذا قاومه أهل الباطل وعارضوه فعند ذلك يظهر من علامات ثبوت الحق، وفساد الباطل ما يتنافس الكثيرون من المصلحين لثباته وإقراره بكلام كثير ونقاش طويل.

(١) الخطبة العاشرة من (كشف الشبهات) الابتلاء والتمحيص لأهل التوحيد.

فإن الله - عز وجل - (لم يبعث نبياً) من الأنبياء (بهذا التوحيد) من لَدُنْ نوح إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ (إلا جعل له أعداء) - إلا قِيضَ له أعداء من المشركين كما في الآية ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝ ﴾ [الفرقان: ٣١] - ، قصدهم الإغواء والصّد عن دين الله وصراطه المستقيم. وهذه حكمة بالغة؛ ابتلاء الأخيار بالأشرار، ليكمل للأخيار مراتب الجهاد، وإلا لو شاء لما جعل للأشرار شيئاً من السلطة ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ۗ ﴾ الآية [محمد: ٤].

ستته البالغة أن يسلط الأشرار على الأخيار؛ سلط الأشرار على الرسل فما دونهم، وليس هواناً بالأنبياء - عليهم السلام - وأتباعهم، ليتبين الصادق من الكاذب، ويتبين المطيع من العاصي. ليقوم الأخيار بالجهاد، فتعظم الدرجة ويعظم الأجر وينالوا المراتب العالية؛ لأن الجنة غالية لا تُنال إلا بالصبر على المصاعب والمشاق.

واعلم أن أتباعهم كذلك، من صدق الله في اتباعه للرسول كانوا أعظم أعدائه (كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾) يشمل جميع الأنبياء، ثم بين العدو فقال: ﴿ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾) أي؛ أعداء من الجن وأعداء من الإنس، فشياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس بالوسوسة والشبهات والمخاصمات ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۗ ﴾ ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۗ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

يعني: من هؤلاء وهؤلاء. والشياطين هم الذين فيهم تمرد وعلو، قال بعضهم: إنه بدأ بشياطين الإنس؛ لأنهم أعظم في هذا المقام من شياطين الجن؛ لأن شيطان الإنس يأتي في صورة ناصح مُحِب لِيَن الجانِب واللسان، ثم يَبِّن الذي به يصدفون عن الحق، فقال: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

فتبين لك أن تزييف القول بالعبارة له تأثير، وأن الحق قد يعرض له من يجعله في صورة الباطل.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «والزخرف: الكلام المزين - كما يزين الشيء بالزخرف وهو الذهب -، وهو الغرور لأنه يغر المستمع. والشبهات المعارضة للوحي هي كلام زخرف يغر المستمع ﴿وَلَتَصْنَعَنَّ إِلَيْهِ أَفْعَدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ الآية. فانظر إلى إصغاء المستجيبين لهؤلاء، ورضاهم بذلك، واقترافهم المترتب عليه».

عباد الله:

ويتبين مما سبق أن حكمة الله - تعالى - في هذا تتلخص في أمرين:
الأمر الأول: أنه ما بعث نبياً من أنبيائه إلا جعل له أعداء من المشركين كما في الآية التي ذكرها المؤلف، وكما في الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١] والله في

ذلك الحكمة من أجل أن يتبين الصادق من الكاذب، ويتبين المطيع من العاصي. إذا بعث الأنبياء يدعون إلى الهدى صار هناك دعاة للضلال من أجل أن يمتحن الناس أيهم يتبع الأنبياء وأيهم يتبع دعاة الضلال، ولولا ذلك لكان الناس كلهم يتبعون الأنبياء ولو في الظاهر ولا يتميز الصادق في اتباعه من المنافق لأن الأنبياء يتبعهم المؤمن الصادق ويتبعهم المنافق الكاذب، والذي يميز هذا من هذا هو الابتلاء والامتحان، فالشذائد هي التي تبين الصادقين من المنافقين، فالله جعل أعداء للأنبياء لحكمة من أجل الابتلاء والامتحان ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٣٧] هذه هي الحكمة بأن الله جعل لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن، والشيطان هو المارد العاصي فكل من تمرد عن طاعة الله فإنه شيطان سواء كان من الجن أو من الإنس، حتى الدواب المتمردة تسمى شيطانا وهو من شاط الشيء إذا اشتد أو من شطن إذا ابتعد، فالشيطان يكون من عالم الجن ويكون من عالم الإنس، وقوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] القول المزخرف هو الباطل المغلف بشيء من الحق وهذا من أعظم الفتنة لأن الباطل لو كان مكشوفاً ما قبله أحد لكن إذا غطي بشيء من الحق فإنه يقبله كثير من الناس وينخدعون بهذه الزخرفة، فهو باطل في صورة الحق، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ الله قادر على منعهم من ذلك لكنه شاء

أن يفعلوه من أجل الابتلاء والامتحان. وإذا كان هذا مع الأنبياء فكيف بغيرهم من الدعاة إلى الله وعلماء التوحيد فأتباع الأنبياء أيضاً يكون لهم أعداء من دعاة الباطل في كل زمان وفي كل مكان. هذا مستمر في الخلق وجود دعاة الحق وإلى جانبهم دعاة الباطل في كل زمان ومكان.

الأمر الثاني: وهو العجيب أن دعاة الباطل يكون عندهم علوم وعندهم كتب وعندهم حجج يجادلون بها أهل الحق كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ [غافر: ٨٣] يعنى الكفار ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الحقائق البينة والعلم النافع ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ الذي توارثوه عن أجدادهم وآبائهم والذي هو عبارة عن كتبهم وعن حججهم التي توارثوها، وقد سمي الله - عز وجل - ما عندهم من العقائد الزائفة والشبه الداحضة علماً استهزاء بهم. ومن تلك الشبه التي ظنوها علماً قولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] وقولهم: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] عندهم حجج مركبة ومزيفة تغر الإنسان الذي ليس عنده تمكن من العلم.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ ولكنه جعلهم ابتلاءً وامتحاناً، ليتبين المجاهد من القاعد، والصابر من غير الصابر، والمجدد من المخلد ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾، وهذا وعيد شديد، وتهديد وتغليظ.

(وقد يكون لأعداء التوحيد علومٌ كثيرةٌ لغوية (وكتب) يرجعون إليها (وحجج) لكنها عند التحقيق مثل السراب، عند المناظرة تبين أنها لا شيء أو مناحات يستندون إليها أو شيء صحيح في نفسه لكن لم يفهموه على الوجه الصحيح ﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ تَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩] عند الحاجة إليه.

والعلم: هو الموروث عن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وهو السلاح الذي يميز به الحق من الباطل، والخير من الشر وأما علمهم فهو إما منامات - أحلام - أو تُرْهَات باطلة لا أصل لها، ومنها شيء صحيح في نفسه لكن لا يفهمونه، وهو في الحقيقة لا يدل على باطلهم بل هو رد عليهم.

والدليل أن عندهم علوماً كثيرة وكتباً وحججاً؛ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾).

وهؤلاء المجرمون يعتقدون على الرسل واتباعهم وعلى ما جاؤوا به بأمرين:

الأول: التشكيك.

الثانية: العدوان.

أما التشكيك فقال الله - تعالى - في مقابلته ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لمن أراد أن يضلّه أعداء الأنبياء.

وأما العدوان فقال الله - تعالى - في مقابلته ﴿ وَنَصِيرًا ۝٦٠ ﴾ [الفرقان: ٣١]
 لمن أرد أن يردعه أعداء الأنبياء. فالله - تعالى - يهدي الرسل وأتباعهم
 وينصرهم على أعدائهم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ
 الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠ ﴾ [الروم: ٦٠].
 بارك الله لي ولكم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله، عظم شأنه، ودام سلطانه، أحمده - سبحانه - وأشكره، عم امتنانه، وجزل إحسانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، به علا منار الإسلام، وارتفع بنيانه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

قال المؤلف - رحمه الله - إتماماً لما سبق: (إذا عرفت ذلك) أي: إذا عرفت أن لهؤلاء الأعداء كتباً وعلوماً وحججاً يلبسون بها الحق. (وعرفت أن الطريق إلى الله - تعالى - لا بد له من أعداء قاعدين عليه) - ملازمين له، لا ينفكون عنه ولا يرجعون عنه أبداً، قصدهم الإغواء والصّدْف عن هذا الصراط المستقيم -.

من صفاتهم وحالهم أنهم (أهل فصاحة) وبلاغة في المنطق، (وعلم وحجج) على باطلهم؛ ولكنها ليست من الحجج الموروثة عن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم -، إنما هي منامات وأكاذيب، إذا جاء عند التحصيل فإذا هي تخونهم أحوج ما يكونون إليها.

وقد أخبر الله - تعالى - عن استغلالهم لفصاحتهم وحججهم للصد عن سبيله، والكيده لأوليائه.

إذا كان هؤلاء عندهم فصاحة وعندهم حجج وعندهم كتب فلا يليق بك أن تقابلهم وأنت أعزل، خال من العلم الشرعي بل يجب عليك كما قال المؤلف:

(فالواجب عليك) وجوباً شرعياً (أن تعلم من دين الله) الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ (ما يصير سلاحاً لك) تذبُّ به عن نفسك ودينك وتدافع به، وتبطل به حجج هؤلاء و(تقاتل به هؤلاء الشياطين، الذين) هم بهذا المقام، أعظم ضرراً من شياطين الجن، وهم نُوَابُ إبليس الذي (قال إمامهم ومقدمهم لربك - عز وجل - : ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي؛ لبني آدم ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي؛ الطريق الموصل إليك فلا أترك أحداً يمر إلا تشبَّت به وأغويته، لشدة عداوته لهذا النوع الإنساني، جدُّ كل الجدِّ، واجتهد كل الاجتهاد في إغوائه وصدفه وإضلاله؛ أخبر هذا الخبر عما هو مُريد وجازم وعازم عليه؛ ثم أكده بهذه التأكيدات ﴿ثُمَّ لَا تَنِيَّهُمْ﴾ يعني: وهم على الصراط ﴿مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ . يعني: هجوم من كل جهة.

فإذا كان الطريق الذي هذه صفته، مقعوذٌ عليه ومرصودٌ عليه بأنواع الصدوف، وأنواع القيود، وأنواع السلاح، وأنواع الحجج والبيانات، وأنواع الكيد والمكر والخداع، فكيف يأمن الإنسان ولا يخاف؟!!

ومما تقدم تعرف البُعد عن صفة التعب والهويناء، بل الأمر جد كل الجد. فمعلوم أن المقيّض له أعداء، لا يكون في غفلة عنهم، وليس مقصودهم سفك الدم فقط، لا، بل الدين.

وكم أهلك في الطريق الذي عليه شياطين الإنس والجن مراصدين، مع ما جعل لهم من السلطة على القلب ونحو ذلك، يحسبون أنه آمن ولا خافوا من مخاوفه، ولا علموا من الشرع طرقه ومخاوفه؟! هذا وصلوا وسلموا...



الخطبة الأولى (١)

١٧

الحمد لله الذي خلقنا لعبادته وتوحيده، ومنّ علينا وتفضل بتسييحه وتحميده، أحمده - سبحانه - وأشكره، وعد الشاكرين بمزيده، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أفضل رسله وأكرم عبيده، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله الذي خلقكم، واستعينوا على طاعته بما رزقكم، فربكم جلت حكمته لم يخلقكم هملاً، ولم يترك أمركم في هذه الحياة مهملاً، بل خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً.

عباد الله:

وبعد أن ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - في كتابه (كشف الشبهات) ما ذكر من عداوة الشيطان ونوابه وحرصهم على إهلاك هذا الجنس الإنساني، قال: (ولكن إذا أقبلت على الله) بقلبك وقالبك، بصدق وإخلاص وإنابة، وعلم منك اللجأ إليه والتبري من الحول والقوة إلا به، وهذا تشجيع من

المؤلف لمن أقبل على الله - تعالى - وعرف الحق بأن لا يخاف من حجج أهل الباطل لأنها حجج واهية (وأصغيت) كل الإصغاء (إلى حجج الله وبيناته) أي: إذا فعلت السبب الواجب عليك من تعلم الحجج والبيانات من الكتاب والسنة فاطمئن فإنهم لن يضروك أبداً. (فلا تخف ولا تحزن) من الأعداء القاعدين لك على الصراط المستقيم؛ فعندك ما يحصنك من هذا؛ فالخوف عليك عندما تُعرض عن حجج الله وبيناته.

وبهذا يبين المؤلف - رحمه الله تعالى - أن جهاد المبتدعة والرد على الخصوم يحتاج إلى أمرين مهمين:

أحدهما: الإقبال على الله - تعالى -، والتعلق به - عز وجل -، والتوكل عليه، وهذا الإقبال لا بد منه قلباً وقالباً، وثمره هذا الإقبال التقوى التي تورث ملكة العلم والحكمة وبها ينال الخير والسعادة، قال تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والآخر: بذل الأسباب من التفقه والعلم وإعداد العدة.

والخوف والحزن عليك من جهة نفسك أن لا تقبل ولا تصغي؛ وأما إن لجأت إلى الله - عز وجل - فلا (﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾) وإن كان قسمه وحظه من الألف، تسعمائة وتسعة وتسعين، فليس كثرة حزبه من قوة كيده، بل كيدُه ضعيف، ولكن أكثر الخلق أطاعوه وتولَّوه ومكَّنَّوه من أنفسهم، فلما جعلوا له سلطاناً كان له عليهم سلطان، وإلا

كل عباد الله ليس له عليهم سلطان، ولو أنهم لم يجعلوا له عليهم سلطاناً، لما كان له عليهم سلطان، لكن العصاة هم الذين أعطوه يد الطاعة، ولو بارزوه بالعدوان والعصيان، لما كان له عليهم سلطان، فهم الذين أعطوه القيادة لأجل الشهوات وإيثار العاجل على الآجل؛ أعطوه ذلك فصاروا إلى حيزه من جانب فصارت قوته نسبية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّمَا سُلْطَنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل: ٩٩ - ١٠٠].

فمن استولى عليه الشيطان في شيء فهو الذي ولّاه على نفسه، وإذا أطاعه في شيء انتظر منه شيئاً آخر، وهكذا حتى يوصله إلى الهلاك - والعياذ بالله -.

أيها المسلمون:

لما صنف الشيخ - رحمه الله تعالى - هذا الكتاب استحضر زمنه واستحضر بعض البلاد في ذلك الزمن التي فيها قلة من أهل التوحيد، وأكثر من حوله من العلماء في بلادهم ينافحون عن الشرك ويدافعون عنه ويدعون إليه. فإن الموحد في ذلك الزمن يجد نفسه في خوف وحذر من تلبسهم وضلالتهم، ولكن المؤمن الموحد لا يخاف ولا يحزن ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: ٧٦] والله عز وجل - يقول ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

(والعامي من الموحدين) الذي عرف أدلة دينه من الذين يقرون بالتوحيد بأنواعه الثلاثة: الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات، وإن كان ليس بفقير ولا عالم، ليس المراد العامي الجاهل، اللهم إلا أن يوفق العامي الذي لا يعرف، يوفق لحجة عقلية وهو نادر، (يغلب الألف) بل الألف (من علماء هؤلاء المشركين)، لأن العامي عنده الفطرة السليمة التي لم تلوث بالشكوك والأوهام وقواعد المنطق وعلم الكلام، فيستنكر بها الباطل. لأن حجج المشركين ترهات وأباطيل، ومنامات كاذبة، وما كان معهم من الحق فهو رد في الحقيقة عليهم (كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾)، أضاف الجند إليه - سبحانه وتعالى - تشریفاً لهم وجند الله هم المؤمنون.

وذكر - رحمه الله تعالى - أن جند الله - وهم عباده المؤمنون الذين ينصرون الله ورسوله؛ الذين أدوا ما أوجب الله عليهم، وعملوا بما وهبهم من العلم النافع والعمل الصالح. يجاهدون الناس بأمرين:

الأول: الحجة والبيان، وهذا بالنسبة للمنافقين الذين لا يظهرون عداوة المسلمين فهؤلاء يجاهدون بالحجة والبيان.

والثاني: من يجاهد بالسيف والسنان وهم المظهرون للعداوة، وهم الكفار الخالص المعلنون بكفرهم، وفي هذا والذي قبله يقول الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ

والجهاد بالحجة والبيان يكون للكفار الخالص المعلنين لكفرهم أولاً، ثم يجاهدون بالسيف والسنان ثانياً، ولا يجاهدون بالسيف والسنان إلا بعد قيام الحجة عليهم.

يقال لهم جند الله، ويقال لهم حزب الله، كما في قوله تعالى:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ

كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ

الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ۗ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢] فهذه الآية أفادت حصر الغلبة في جند الله،

والجند جمع جندي وهو المقاتل والمدافع عن دين الله (فجند الله هم

الغالبون بالحجة واللسان) والعلم والمعرفة ومجادلة أهل الباطل (كما

أنهم الغالبون بالسيف والسنان) أي: الرماح، مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ

سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ

الْمُغْلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ [الروم: ٤٧] وهو يقتضي بعمومه الغلب في جميع النواحي:

الحجة واللسان، والسيف والسنان يغلبون قبيلهم.

قال الشيخ عبد الله أبا بطين: «ليس المراد بالظهور بالسيف بل بالحجة

دائماً وبالسيف أحياناً».

ولأنه لا حجة لهم على باطلهم، فلا شيء من الحق يدل على باطلهم، فلو قُدِّرَ أنهم استدلوا بآية فليس لهم في الحقيقة دليل فيها، والأدلة على توحيد ربِّ العالمين أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر. وما يتشبثون به ويزعمون أنه دليل ليس بدليل، ويأتيك بعض ذلك والجواب عنه.

(وانما الخوف على الموحد) العابد لله المستقيم على التوحيد (الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح) يذبُّ به عن دينه، وهو الحجة والسلاح الأعظم، لم يتعلم أدلة دينه، فهذا مخوفٌ عليه أن يُقتل، أو يُسَلَب، أو يبقى أسيراً في يد عدوه الشيطان وجنوده ويفتن في دينه، يُخشى عليه أن يلمَّ به الشيطان وجنوده، وأن يزين الباطل في عينه فيغتر به، ويلبس عليه شبههم الزائفة الباطلة؛ فيستزلونه عن الطريق السوي. أو يجادله أحد من هؤلاء المشركين فتضيع حجته فيهلك.

وقد منَّ الله علينا بكتابه الذي جعله ﴿ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَنُذْرًا لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الآية [النحل: ١٨٩].

فلا يأتي صاحب باطل بحجة، إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٣] أي؛ يأتونك بمثل يجادلونك به ويلبسون الحق بالباطل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً.

والنبي ﷺ لما أرسل معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب» من أجل أن يستعد لأن الذين أمامه أهل كتاب وأهل علم

وعندهم حجج وعندهم شبهات وعندهم تلبيس، فلا بد أن يكون معاذ - رضي الله عنه - على استعداد من أجل أن يقوم بالدعوة ويرد الباطل، ثم قال له ﷺ: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» وهذا مما يؤكد على الموحدين عموماً وعلى طلبه العلم والدعاة خصوصاً أن يتعلموا ما يدفعون به الباطل وينصرون به الحق، وإلا فإنهم سيهزمون أمام أي شبهة تعرض لهم.

ذكر أئمة الدعوة أن رجلاً من عوام الموحدين كان في المسجد النبوي بالمدينة، فقال له أحد العلماء: أنتم تقولون لا يُطلب من الموتى، هؤلاء الشهداء أحياء بنص القرآن، والله - تعالى - يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فهم أحياء وليسوا بأموات، فلماذا نطلب منهم؟ قال له العامي - وهو من الموحدين -: إن الله - عز وجل - ذكر أنهم يُرزقون ولم يذكر أنهم يرزقون، فهم يُرزقون مثل ما نرزق نحن، فنطلب من الرازق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

قال المؤلف - رحمه الله تعالى -: (وقد منّ الله علينا بكتابه) العظيم الذي هو السلاح كل السلاح. (الذي جعله) الله - عز وجل - (تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين). فالقرآن هدى وشفاء وتبياناً لكل شيء، يهدي للتي هي أقوم، فهو مصدر الهدى والخير، وفيه بيان الأحكام والعقائد الصحيحة، وفيه الدليل والمدلول، وقد ذكر الله فيه أصول الإيمان التي أهمها وأعظمها التوحيد، والرسول، والبعث.

قال ابن تيمية: «القرآن قد دل على جميع المعاني التي تنازع الناس فيها دقيقتها وجليلها».

(فلا يأتي صاحب باطل بحجة) كائنة ما كانت إلى يوم القيامة (إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها) هذه قاعدة عامة في كل شيء، في مسائل العقيدة والتوحيد، وكل مسألة يُحتاج فيها إلى حكم شرعي فإنها في القرآن. يعرف ذلك من يعرفه، ويوفق له من يوفق، ويجهل ذلك من يجهله؛ كما قال تعالى:

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي: بحجة أو قياس أو شبهة عقلية، وهذه نكرة في سياق النفي، فشمّل جميع ما يؤتى به (﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾). أي؛ جئناك بالحق البين، والبيان الشافي، وبيان بطلانه، وبيان الحق في ذلك لأن كتاب الله باق إلى يوم القيامة، وهو النور المبين الذي يهتدى به في كل ميادين الحياة.

(قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة) ولكن قد يؤتى الإنسان من عدم الفهم له، أو عدم الاعتناء به. وقد التزم بعض العلماء؛ وهو شيخ الإسلام ابن تيمية أن لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله، إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقضه، وذكر لذلك أمثلة: منها: آية ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «فالحق: هو المعنى المدلول الذي تضمّنه الكتاب. والتفسير الأحسن: هو الألفاظ الدالة على ذلك الحق؛ فهي تفسيره وبيانه».

فالقرآن كفيلاً برّد أيّ باطل كان، لكن الأفهام تختلف بالقوة والضعف، فيعطى بعض الناس من القوة ما لا يعطاه غيره، ويعطى بعض الناس من التوفيق ما لا يعطاه غيره.

هذا وصلوا...

الخطبة الأولى (١)

١٨

الحمد لله حمداً كثيراً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده؛ فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

أيها المسلمون:

قدم المؤلف - رحمه الله تعالى - فيما سبق مقدمة نافعة في بيان حقيقة دين المرسلين وما دعوا إليه، وحقيقة دين المشركين وما كانوا عليه؟ ليعلم الإنسان حقيقة دين المرسلين عند ورود الشبهة، ويعلم من هو أولى بدين المرسلين من دين المشركين، ويبيّن أن مشركي زمانه هم أتباع دين المشركين.

ولما ذكر - رحمه الله تعالى - هذه القاعدة العظيمة؛ وهو أنه لا يأتي مبطل بشبهته إلا وفي القرآن ما يبين بطلانها، وأن ذلك مستمر إلى يوم القيامة، دخل في التمثيل من الواقع الذي جرى للشيخ - رحمه الله - في وقته مع خصومه.

(١) الخطبة الثانية عشرة من (كشف الشبهات): الرد على المشركين من وجهين مجمل ومفصل.

فقال - رحمه الله :-

(وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه، جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا) هذا فيه بيان موضوع الكتاب وما صُنّف فيه، فهو في ردِّ شُبّهٍ شَبّهَ بها بعض المشركين على توحيد العبادة؛ فإن الشيخ - رحمه الله تعالى - لما تصدى للدعوة إلى الله وبيّن ما عليه الكثير من الشرك الأكبر، تصدى بعض الجهال بالتشبيه على جهال مثلهم، وزعموا أنه يكفر المسلمين، وحاشاه ذلك؛ بل لا يُكفر إلا من عمل مكفراً وقامت عليه الحجة، فإنه يكفره، فقصّد كشف تلك الشُبّه المشبهة على الجهال وردّها - وإن كانت أوهى من خيط العنكبوت -.

ولما بين المؤلف - رحمه الله تعالى - أن الجواب على شبهات المشركين من طريقين مجمل ومفصل، شرع في بيان كيفية الجواب المجمل وبيانه. (فنقول: جواب أهل الباطل) على هذه الشبهات (من طريقين) أي؛ جوابين: طريق (مجمل) عام صالح لكل شبهة ولا يختص بشبهة بعينها. وهو ما تبينت دلالته واتضح، (و) طريق (مفصل).

(أما المجمل): وهو القاعدة العامة في جواب أهل الباطل على اختلاف أصنافهم، وفي أي زمان ومكان. (فهو الأمر العظيم، والفائدة الكبيرة لمن عقلها) وفهمها وعرفها، أما من كانت تجري على لسانه فقط، فإن هذا الجواب لا يكون له حجة، وإنما قال ذلك في المجمل، لأنه في الحقيقة

يصلح جواباً لكل شبهة (وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾) أي؛ القرآن، الآيات المحكمات: هو الذي لا يحتاج في بيانه إلى غيره؛ تعبد الله الخلق بالعلم بها، والعمل بها والإيمان بها. هذا هو حكم المحكم:

الأول: الإيمان به أنه من عند الله. والثاني: معرفة معانيه. والثالث: العمل به.

(﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾) أمُّ الشيء: أصله والذي يُرجع إليه عند الاشتباه والإشكال. (﴿وَأَخْرُ مُتَشَبِهَةٌ﴾)، والتشابه هو الذي يحتاج لبيان معانيه إلى غيره فيرد إلى المحكم، متشابهات الدلالة، ليست دلالتها واضحة مثل المحكمات. وحكمها:

أولاً: الإيمان بها أنها من عند الله أنزلها على العباد، ليؤمنوا بها.
والثاني: أن لا تفسر بما يخالف المحكم، بل تُرد إلى الأم- وهو المحكم- وتفسر به. (﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾) يعني: ميل، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ٢٧]، وزاغت الشمس مالت، والمراد أن الذين في قلوبهم ميل عن الحق (﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾) يطلبون المتشابه في الدلالة ويتركون المحكم؛ طلباً للفتنة وتحريفاً لكتاب الله، ويصدفون عن الواضح لكونه يهدم ما هم عليه من الباطل ويفضحهم؛ فالجاهل إذا أدلوا عليه بآية من المتشابه راجت عليه.

وهذا يفيد أن أهل الاهتداء والاستقامة يتبعون المحكم ويردون المتشابه إلى المحكم. وأنهم خلاف أهل الزيغ؛ لأنه خص أولئك باتباع المتشابه. والحكمة من وجود المتشابهة في القرآن الابتلاء.

وفي قوله تعالى: ﴿أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي: إرادة اللبس ﴿وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ على أهوائهم الباطلة ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ فالتحريف باطل، والتفسير يعلمه العلماء، والكيفيات الغائبة لا يعلمها إلا الله).

ثم ذكر حديث النبي ﷺ والذي بين فيه ﷺ وصف أهل البدع فقال - رحمه الله -: (وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمي الله») [رواه البخاري] أي؛ من القرآن والسنة ويأخذون بالنصوص المجملة ويتركون النصوص المفصلة. عني الله بقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ («فاحذروهم») أي، احذروا أصحاب هذه الطريقة لا يلبسوا عليكم أمر دينكم؛ لا يزيغون بكم عن سبيل الحق كما زاغوا عن الحق. حذر منهم؛ لأن مخالطتهم وسماع كلامهم الداء العضال ومرض القلوب، ولا يتكل الإنسان على ما معه من الحق؛ بل يبعد عن أهل الزيغ ويجانبهم ولو معه حق؛ فإن السلف كان هذا شأنهم ويستدلون بالحديث. وهذا حكم أهل الباطل؛ أن يبعد عنهم لئلا يدخل القلب شبهة يعسر التخلص منها؛ فإن أهل الباطل لا يألون جهداً أن تكونوا مثلهم في زيغ القلوب، وهم أضر على الناس من أهل المعاصي

الشهوانية. وهذا فيه التحذير من علماء الضلال ومن المبتدعة لئلا يلبسوا علينا أمر ديننا فهؤلاء من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَيَقَطُّعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٧].

قال أبو قلابة عن أهل البدع: «لا تجالسوهم ولا تخالطوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم كثيراً مما تعرفون». (مثال ذلك) يعني: مثال احتجاج المشركين بالمتشابه. وللجواب عن ذلك بالجواب المجمل.

و(إذا قال لك بعض المشركين: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ١٦٢]) أي؛ إذا قال لك واحد من علماء المشركين الذين يتعلقون بالأولياء ويطلبون منهم المدد ويستغيثون بهم لأن لهم جاه ومنزلة عند الله - عز وجل - فهو اكرمهم كما هو الحال والواقع الآن عند عباد القبور ويرددون هذه الآية. وزعموا زعم أن الآية تدل على أنهم يدعون، يعني: فيطلبون له، وأنهم أهل قرب ومنزلة وجاه وفضل، ومن كان كذلك فقد تأهل. ونحن نريد من الله بجاههم وشفاعتهم، والشفاعة حق.

(أو) شبه ب (أن الشفاعة) التي ذكرت في النصوص (حق) وواقعة، وإذا كانت حقاً فهي تُطلب من الأموات ونحوهم، فيهتف باسمه ويقول: يا فلان، اشفع لي ..

(أو أن الأنبياء لهم جاه عند الله) فهم يسألون ويدعون ليسألوا لمن ليس لهم الجاه عنده. (أو ذكر) المبطل المشبه (كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره) يعني: لا تفهم أنه يدل على مقصوده، وتفهم وتعتقد أن هذه أمور باطلة.

(فجاوبه بقولك: إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم) ويعدلون عنه، (ويتبعون المتشابه) ويميلون إليه ويستدلون به، وأنت تركت المحكم؛ وهو قوله - تعالى -: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وعمدت إلى المتشابه ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١٧]، وعمدت إلى المتشابه، وهو أن الشفاعة حق، وتركت المحكم وهو ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [١٨].

(وما ذكرته لك) من قبل (من أن المشركين يُقرُّون بالربوبية) لم ينازعوا فيها. (وأنه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وأنهم ما كانوا مشركين إلا بتعلقهم بالأولياء ونحوهم رجاء شفاعتهم وتقربهم إلى الله زلفى.

وتبين له أن الداعي عبد القادر مثلاً، يدعي أنه ذو مكانة وأنت مُقرٌّ بالربوبية، والمشركون الأولون مقرّون بالربوبية ولا نفعهم، (وأن الله كفرهم بتعلّقهم على الملائكة، والأنبياء، والأولياء، مع قولهم: ﴿هَتُوْلَاءِ شُفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾)، ومع قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] ما زادوا على هذا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤].
بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، وأشهد أن لا إله إلا الله، لا رب لنا سواه، ولا نعبد إلا إياه، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه.
عباد الله:

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - إتماماً لما سبق: (هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه) كون الذين في قلوبهم زيغ يحتاجون بالمتشابهة ويعدلون عن المحكم، وكون المشركين الأولين ما ادَّعوا فيهم الربوبية وإنزال المطر، وأنهم ما كانوا مشركين كفاراً إلا بتعلقهم عليهم رجاء شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلفى. هذان أمران محكمان:

الأول: احتجاجهم بالمتشابهة. والثاني: أن المشركين مقرون بالربوبية - كما تقدم - وأن الله كفرهم بتعلقهم على الملائكة ونحوهم؛ كونهم ما طلبوا إلا الشفاعة والقرب إلى الله بذلك، ليس من الأمور المتشابهة.

كما أن من الأمور المحكمة، أنهم ما أرادوا ممن دعوه وذبحوا له وتعلقوا عليه إلا شفاعته كما قال فيه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

(وما ذكرته لي - أيها المشرك - من القرآن) كقوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ فإنه من المتشابه. على المشبه عليه، لا على العلماء. وحكمه: أن يُردَّ إلى المحكم من القرآن (أو كلام النبي ﷺ).

(لا أعرف معناه) لا أعرف دلالة على ما قصدت وأردت أنهم يدعون من دون الله. وإنني أنكره ولا أقر به، لأنني أعلم أن كلام الله لا يتناقض وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله نعم ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ ولكن أين دلالة على المقام؟ ما دلَّ على أنهم يُدعون! وأنا عندي شيء أقطع به كالشمس من النصوص كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢١٠﴾، وكقوله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٢١٧﴾. و(لكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله - عز وجل -) يعني: فأعرف أن هذه الآية ونظائرها لا تنافي هذه النصوص، وما معي من النصوص محكم، فلا أترك المحكم البين الدلالة للمتشابه.

فالأدلة التي معي لا يناقضها شيء هي من المحكمات، وما زعمه أنه يخالفها من المتشابه فلا يخالفها أبداً، ولو ادعى هو أن كلام الله يتناقض لكان كفراً آخر، وكذلك لو ادعى أن كلام النبي ﷺ يخالف كلام الله، لكان كفراً آخر سوى ما كان عليه من الكفر.

وسبب كونه جواباً مسدداً - والله أعلم - أمور: أولاً: أنه سار على القاعدة الشرعية وهي رد المتشابه إلى المحكم. الثاني: اعتماده على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة رسوله ﷺ. الثالث: عجز المشرك أن يرد عليه شيء في هذا الجواب لأنه محكم. الرابع: وهو - على إتقانه وجودته - سهل ميسور يفهمه عامة الناس.

هذا وصلوا...



الخطبة الأولى (١)

١٩

الحمد لله غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واعلموا أنكم بين يدي الله موقوفون، وبأعمالكم محاسبون، فاتقوا الله وتقربوا إليه.

عباد الله:

لا يزال المؤلف - رحمه الله تعالى - في كتابه (كشف الشبهات) يسوق الحجج ويبين الأدلة. فيقول: إذا قال لك واحد من علماء المشركين الذين يتعلقون بالأولياء ويطلبون منهم المدد ويستغيثون بهم كما هو الحال والواقع الآن عند عباد القبور، ويقولون إن الله - جل وعلا - يقول: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

(١) الخطبة الثالثة عشر من (كشف الشبهات): شبهة الأولياء والصالحون لهم جاه عند الله؛ ونحن نسأل الله بجاههم ومكانتهم.

وهؤلاء أولياء، والنبى ﷺ أخبر أن الصالحين يشفعون، وأن الأولياء يشفعون، والرسل يشفعون؛ فالجواب أن الشفاعة حق لا شك في ذلك، ولكنها كما ذكر الله لا بد لها من شرطين:

الإذن للشافع أن يشفع. وأن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد.

ولا شك أن الله - سبحانه - وعد الأولياء أنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وليس فيها أنهم يُرجون، أو يُدعون، أو يُخافون.

ولكن من الأولياء؟ هل الأولياء طائفة مخصوصة من الناس عليهم عمائم ولباس خاص؟ أو الأولياء الذين بنى على قبورهم قباب؟ ليس كذلك، لأن الله - سبحانه - بينهم بعد هذه الآية مباشرة حيث قال:

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ ﴿يونس: ٦٣﴾.

فكل مؤمن تقي فهو ولي الله، وليست الولاية خاصة بطائفة معينة أو أشخاص معينين لهم لباس خاص، ولهم سمات خاصة، أو على قبورهم قباب وزخرفات؛ الأولياء كل مؤمن تقي فإنه ولي الله بنص هذه الآية. والولاية، تختلف باختلاف الإيمان والتقوى، منهم من هو ولي كامل الولاية، ومنهم من هو ولي دون ذلك بحسب إيمانه وبحسب تقواه، فليست الولاية خاصة بما تزعمون من هؤلاء الأشخاص، أو هؤلاء المقبورين، والنبى ﷺ يقول: «رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره» [رواه مسلم]. فقد يكون الولي غير معروف ولا له مكانة عند الناس.

هذا من ناحية، ومن الناحية الثانية لو ثبت أنه ولي الله - عز وجل - فإن هذا لا يعطيه شيئاً من الربوبية ولا شيئاً من حق الله، لأنه عبد الله محتاج إلى ربه - عز وجل - لا يملك من الأمر شيئاً لا يخلق ولا يرزق، فليس المعنى أنه إذا كان ولياً أننا نتعلق به وننزل حاجتنا به ونستغيث به ونطلب منه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ [النساء: ٣٦] لا من الأولياء ولا غيرهم فالله لا يرضى بهذا - سبحانه وتعالى - فليس معنى قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] أنهم يملكون شيئاً من الربوبية وأنهم ينفعون ويضرون وأنهم يعطون الشفاعة وأنهم وأنهم... كما يزعم القبوريون. فمن تعلق بالأولياء وطلب منهم الشفاعة وهم أموات، أو طلب منهم الإغاثة وهم أموات أو طلب منهم قضاء الحاجات وهم في قبورهم، فإنه مثل المشركين الأولين الذين قال الله فيهم ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَتُؤَلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] هم يقولون نحن لا نعتقد أنهم يخلقون ويرزقون وإنما من أجل أن نجعلهم وسائط بيننا وبين الله لأنهم أولياء، ونحن مقصرون ونحن مذنبون فهؤلاء بصلاحهم وجاههم ومكانتهم عند الله يشفعون لنا، والله رد عليهم فقال: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوحيد] فسمى هذا شركاً،

وقال في الآية الأخرى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] يريدون الوساطة فقط عند الله - سبحانه وتعالى -، وإلا فإنهم معترفون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، فيعترفون بتوحيد الربوبية تماماً كما ذكر الله عنهم، وإنما قصدوا بفعلهم هذا وساطة هؤلاء الصالحين عند الله فنذروا لهم وذبحوا لهم واستغاثوا بهم: يا سيدي اشفع لي عند الله، افعل كذا، هذا الذي يقولونه عند القبور هل هذا يختلف عما قاله المشركون من قبل، الذين رد عليهم - جل وعلا - بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] حكم عليهم بالكذب وحكم عليهم بالكفر فعملهم هذا كفر وكذب، وفي سورة يونس نزه نفسه عن ذلك فقال: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] سماه شركاً.

فالأولياء عباد صالحون لهم قدرهم ونحترمهم، ونحبهم ونقتدي بهم في الأعمال الصالحة، لكن ليس لهم شركة مع الله - سبحانه وتعالى - إنما هم مثلنا محتاجون إلى الله - عز وجل - فقراء إلى الله عز وجل ﴿يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ هذا عام ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] كل الخلق فقراء إلى الله - عز وجل - بما فيهم الأنبياء والرسل، بما فيهم الملائكة - عليهم السلام - كلهم فقراء إلى الله - سبحانه وتعالى -، فهذا مما يزيل اللبس لأن هؤلاء يأخذون بعض القرآن ويستدلون به ويتركون

البعض الآخر؛ يأخذون الآية التي تمدح الأولياء وتثني عليهم ويتركون الآية الأخرى التي تبين أنهم لا يُعبدون من دون الله - عز وجل - وأن من طلب منهم شيئاً وهم أموات فإنه مشرك كافر، يتركون هذه الآيات، فهذا من الزيغ الذي ذكره الله - سبحانه وتعالى - . فلتكن عندك هذه القاعدة أن الإنسان مهما بلغ من الصلاح والكرامة والمنزلة عند الله فإنه ليس له من الربوبية شيء، وإنه لا يُدعى مع الله وإنه لا يكون له شيء من العبادة وهو لا يرضى بذلك. ينهون عنه أشد النهي، إنما يرضى بذلك الطواغيت الذين يدعون الناس إلى عبادة أنفسهم. أما أولياء الله فحاشاهم من هذا لا يرضون به وإنما يرضى به أولياء الشيطان.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى

الصَّالِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي نصر عباده المؤمنين، وأذل بقوته وعزته الكفر والكافرين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، أما بعد:

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - إتماماً لما سبق: (وهذا جواب جيد سديد) يعني - رحمه الله تعالى - قول الإنسان لخصمه أن كلام الله - تعالى - لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله. وأن الواجب رد المتشابه إلى المحكم. (ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله - تعالى -) فكشف عنه فتنة الشبهات وفتنة الشهوات؛ فالعلم والفهم لا يأتيان فقط بالاكْتِسَاب وفعل الأسباب، بل لا بد مع ذلك من توفيق المولى - جل وعلا - للعبد وإعانتة عليه وتيسيره له. (فلا تَسْتَهِنْ به) هذا ثناء من المؤلف على هذا الجواب المجمل، وأنه أصل أصيل في دفع شبه المشبه.

(فإنه) نظير الخصلة التي هي الدفع بالتي هي أحسن (كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾)،

لكونها من خصال خواص الخلق التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة التي هي أكبر خصال مكارم الأخلاق.

فكذلك هذا الجواب بهذه الصفة العظيمة، فإنك إذا وفقت للجواب بهذا فقد وفقت لأمر عظيم.

فصار هذا الجواب عن هذه الشبه جواباً مركباً من ثلاثة أمور:

الأول: بيان أن الذين في قلوبهم زيغ، يتركون المحكم ويتبعون المتشابه.

الثاني: أن الأولين مقرون بالربوبية لم ينازعوا فيها، وأنهم ما ادَّعوا إلا مثل ما ادعى هذا المشبه من طلب الشفاعة والقرب إلى الله بذلك، وأن الله كفرهم بذلك.

الثالث: أن الموحد معه نصوصاً لا تتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله - عز وجل -، وأن المبطل يحتج بشيء هو حق، ولا يدل على الباطل بحال.

هذا وصلوا وسلموا...



الخطبة الأولى (١)

٢٠

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين، ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها، فلم يتخذوا سواها شغلاً، وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذلاً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك ولا ند ولا شبيه، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،
أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.
عباد الله:

ذكرنا في الخطبة السابقة رد المؤلف - رحمه الله تعالى - في جواب مجمل . على شبهة أن الكفار يدعون الأصنام ونحن ندعو الصالحين . ثم انتقل إلى الجواب المفصل فقال: (وأما الجواب المفصل) لهذه الشبه الثلاث - وهو الذي يُجابُّ به عن كل شبهة بجواب يخصها - لأن الجواب الأول كان مجملاً يرد به الإنسان على كل شبهة ثم هناك جواب مفصل أي؛ مميز بعضه عن بعض بحيث تدفع به شبهة كل واحد بعينها.

(١) الخطبة الرابعة عشرة من (كشف الشبهات) شبهة: الكفار كانوا يدعون الأصنام ونحن ندعو الصالحين وفرق بينهما.

(فإن أعداء الله) - المشركين عبدة غير الله - (لهم اعتراضات كثيرة على دين الرُّسل) وهي الشبهات التي يلقيها المشركون في زمنه لنفي الشرك عن أنفسهم مع أنهم يفعلون الشرك (يصدون بها الناس عنه) كما ذكر الله - عز وجل: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۗ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۗ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ [الأنعام: ١١٢] وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجْنِدُوا لَكُمْ ۗ وَإِنَّ أَطْعَمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ [الأنعام: ١٢١] (منها قولهم) - مع شركهم بالله -: (نحن لا نشرك بالله) شيئاً، وهم قد وقعوا فيه، لكن نفوه عن أنفسهم جهلاً وضلالاً، وهذا القول منهم يريدون به الإشراك بالله في الربوبية، ولهذا قالوا بعده (بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق استقلالاً، ولا ينفع ولا يضر، إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، فضلاً عن عبد القادر) الكيلاني (أو غيره) ممن له جاه عند الله، ومنزلة ومقام كبير، (ولكن أنا مذنب) هذا بقية كلام المشبهه؛ ولم أوْهَلْ إلى الطلب من الجانب الأعلى ولا يمكن أن يكون المذنب ولياً لله أو مقرباً عند الله، فعلى اعتقاده أنه لا يمكن أن يصل إلى الله مباشرة (والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم) فأطلب منهم،

وهم يسألون ويطلبون لي، ويقربوني إلى الله زلفى، لا أطلب ذواتهم. أي نجعلهم وسائط بيننا وبين الله لما لهم من الفضل.

(فجاوبه بما تقدم) من الحجج والبراهين والأدلة (وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرّون بما ذكرت) أي مقرون بأنه لا يخلق ولا يدبر ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له. (ومقرّون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً)، وأن الله هو النافع الضار وحده، والكفار والمشركين الذين نزل فيهم القرآن وكفرهم الله، وقاتلهم رسول الله ﷺ، كانوا مقرين بنفس ما أقررت به، وإنما تعلقوا بالأولياء والصالحين طلباً للشفاعة (وإنما أرادوا الجاه والشفاعة) فقط، تعلقوا عليهم لأجل جاههم عند الله؛ فإن المشرك الذي نزل فيه القرآن هو هذا: دعاء من يشفع لهم عند الله؛ لا أنه يخلق ويرزق، وهذا واضح في قوله تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ ۖ قُلْ أَتَنْتَبَهُونَ ۚ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] نزه نفسه عن فعلهم وسماء شركاً مع أنهم يقولون هؤلاء شفاعونا عند الله ويعتقدون أنهم لا ينفعون ولا يضرّون وإنما قصدهم التعلق بالجاه فقط (واقراً عليه مما ذكر الله في كتابه ووضّحه) اقرأ عليه

الآيات الدالة على هذا. وهذا من توحيد الألوهية، فإنه - جل وعلا - أبداً فيه وأعاد وكرر من أجل تثبيته في قلوب الناس وإقامة الحجة عليهم.

فمن الآيات الدالة على إقرارهم بالربوبية؛ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]، وقوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [القمان: ٢٥]، وقوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦١]، وغير ذلك من الآيات.

واقراً عليه الآيات الدالة على أن الله كفرهم بشركهم في الإلهية، وأنهم ما أرادوا إلا شفاعتهم وتقريبهم، وأن هؤلاء ما زادوا على ما فعله المشركون الأولون، ليتبين أنه في عماية عما جاءت به الرسل، ومعاكسة لما جاء به الرسل؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨]،

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ۗ أَخَذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [يس: ٢٢-٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۗ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَؤُا ۗ لَقَدْ نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤]، ونظائرها من الآيات الدالة على أنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الجاه والشفاعة. وإذا كنت مذنباً فلماذا لا تستغفر الله وتطلب من الله، وهو - عز وجل - أمرك بالاستغفار ووعدك بالتوبة، وأن يقبل منك ويغفر ذنوبك. ولم يقل إذا أذنبت فاذهب إلى قبر الولي الفلاني أو العبد الصالح الفلاني وتوسل به واجعله واسطة بيني وبينك.

وقولك: هؤلاء لهم جاه عند الله، فإن كان لهم ذلك فلهم صلاحهم وجاههم وأنت ليس لك إلا عملك: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤] وقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس: ٥٤]. فجاههم وصلاحهم لهم ولا ينفعك إذا كانت مذنباً حتى والدك أقرب الناس إليك وولدك لا يستطيع ولو كان من أصلح الناس أن ينفعك ﴿ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ [الانفطار: ١٩] وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨] وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾ [ن: ١٠] وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿ وَصَحْبَيْهِ وَبَنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦].

فحاصل جواب هذه الشبهة: أنك ما زدت على ما أقر به المشركون الأولون، ولا زاد فعلك عن فعلهم، بل أنت وهم سواء.

(فإن قال) المشبه ويعني أهل الشرك: (هؤلاء الآيات) يعني: آية: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ونحوها (نزلت فيمن يعبد الأصنام) أي؛ كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام أي؛ إن انتقل إلى هذه الشبهة، وهي حصر عبادة غير الله في الأصنام، يعني: وما سواه فليس بعبادة، فليس مثلهم، هو يدعو الصالحين وليس بمشرك! (كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟) حصر عبادة غير الله في الأصنام (أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً؟!).

(فجاوبه بما تقدم) وهو أن المشركين الأولين مقرّون بالربوبية أن

الله - تعالى - الخالق وحده لا شريك له، الرازق، وإنما كانوا مشركين باتخاذهم الوسائط.. الخ . لكنهم ما أعطوا الربوبية حقها، فإن توحيد الألوهية هو نتيجة توحيد الربوبية كما تقدم.

(فإنه) أي هذا القائل يعلم أن المشركين (إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة) والمشبه مقر بذلك، (ولكن أراد) المشبه (أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر) وهو أن المشركين يعبدون أصناماً، وهو لا يعبد صنماً.

فاذكر له: أن الكفار منهم من يعبد الأصنام) والأوثان كما ذكر الله عنهم ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُهَا عَنِ السَّمَاءِ﴾ [الشعراء: ٧١]، ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ حَافِظُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢].

(ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]) فمعبوداتهم متنوعة. ليست الأصنام وحدها، من دليل تنوعها هذه الآية، فإنها نزلت في أناس يعبدون الجن، فأسلم الجن وبقي الإنس على عبادتهم.

وقيل: نزلت فيمن يعبد العزير والمسيح، كما هو قول أكثر المفسرين. ولا منافاة بين القولين، فإنها نزلت فيمن يدعو مدعواً، وذلك المدعو

صالح في نفسه يرجو رحمة الربّ ويخاف عقابه، فكأن الله - سبحانه - قال في الرد عليهم: إن من تدعونه عبيدي كما أنكم عبيدي، يرجون رحمتي ويخافون عذابي، فينبغي أن تفعلوا مثل ما تفعل تلك الآلهة. فصاروا عبيده بثلاثة أشياء: بعبادته وحده، ورجائه وحده، وخوفه وحده. هذا هو الموصل لهم، والوسيلة والسبب الموصل لا عبادة سواه من الأولياء ونحوهم. فهذه الآية من جملة الأدلة على أن من معبوداتهم الأولياء.

(ويدعون عيسى ابن مريم وأمه) وهو صريح في شرك النصارى بالرسول. عيسى رسول (وقد قال تعالى: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۗ ﴾ يعني: عظيمة التصديق بالحق ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ۗ ﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٦﴾).

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو الحكيم العليم،
وأشهد أن لا إله إلا الله العلي العظيم، وأشهد أن نبينا محمداً رسول الصادق
الأمين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.
عباد الله:

ذكر المؤلف - رحمه الله -: أنواع شرك الأولين أهل الكتاب. قال:
(واذكر له قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءِ وَإِيَّاكُمْ
كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [٤٠-٤١]، في يوم القيامة يسأل الله - جل
جلاله - ملائكته وهو أعلم بهم، لكن لأجل إبطال حجة هؤلاء المشركين.
والمقصود من هذا أن يتبين له أن من الكفار من يعبد الملائكة وهم من
خيار خلق الله وأوليائه فيبطل تلبسه في يوم القيامة الله - جل وعلا - يسأل
الملائكة وهو أعلم - سبحانه وتعالى - لكن لإبطال حجة هؤلاء ﴿ أَهْتُولَاءِ
إِيَّاكُمْ كَانَُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [٤٠] فدل هذا على أن منهم من يعبد الملائكة لكن
الملائكة تبتراً منهم يوم القيامة وتقول نحن ما أمرناهم بذلك ولا رضينا
بذلك ﴿ قَالَُوا سُبْحٰنَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ﴾ يعني
أن الشياطين هي التي أمرتهم الملائكة لأن الملائكة لا تأمر إلا بعبادة
الله. ﴿ وَمَنْ يُقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهُ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذٰلِكَ نَجْزِي

الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ [الأنبياء: ٢٩] فدل على أن منهم من يعبد الأنبياء والصالحين والملائكة أصلح الصالحين كما قال - تعالى - فيهم ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧] ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين كالمسيح ابن مريم وأمه. وإذا بطل التوسل بالملائكة والأنبياء ودعائهم من دون الله بطل التوسل بغيرهم من الصالحين ودعائهم من دون الله، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣] لأن الواجب إخلاص العبادة لله - عز وجل - بجميع أنواعها من الدعاء والذبح والنذر وغير ذلك. فمن ذبح لغير الله، ودعا غير الله كان مشركاً خارجاً من الدين. هذه الآية دالة على أن من المشركين من يعبد الملائكة.

فعرفت من هذه الآيات، أن من المشركين من يدعو الأولياء والصالحين، ومنهم من يدعو الأنبياء، ومنهم من يدعو الملائكة. وأن الآيات منها ما نزل فيمن يعبد الأولياء، وبعضها فيمن يعبد الأنبياء، وبعضها فيمن يعبد الملائكة، وأنها ليست منحصرة فيمن يعبد الأصنام فقط؛ فلا فرق بين المعبودات، بل الكلُّ تسوية المخلوق بالخالق، والكل عدل به - تعالى - سواء في العبادة، ولا فرق بين بينه وبينهم لأن الكل عبد من لا يغني عنه شيئاً. فالكل شرك والكل مشركون. فعرفت من الآيات أنه مثلهم، فبذلك انكشفت شبهته، واندهضت حجته.

(وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ﴾ وهو - تعالى - أعلم أن عيسى لم يقل ذلك، ولكن المراد نطقه على رؤوس الأشهاد وبيان بطلان عبادتهم له، وأنه لم يرض بذلك. وهذا الخبر من الله ذمٌ وعيب لمن اتخذ المسيح وأمه إلهين من دون الله (﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾) أي: تنزيهاً لك عما لا يليق بجلالك وعظمتك (﴿مَا يَكُونُ لِي﴾) يعني: ما ينبغي لي (﴿أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾) أن أجعل حق رب العالمين الذي لا يشركه فيه غيره لي (﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾) وأنت أعلم أنه لم يصدر مني ذلك (﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾) إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْغُيُوبَ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴿﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

(فقل له) - للمشبه الشبهة السابقة -: (عرفت أن الله كفر من قصد الأصنام، وكفر أيضاً من قصد الصالحين) بل لا بد أن ينضم إلى ذلك تكفيرهم واعتقاد ذلك، فمن لم يكفرهم دليل على أنه لا يرى عملهم كفراً، (وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم)، بل جعل سبيلهم واحداً، وإن تفرقت معبوداتهم، فكلها راجعة إلى شيء واحد، وهو عبادة غير الله مع الله. وبذلك انكشفت شبهته واندحضت حجته، وأنه في غاية الجهالة عما جاء به الرسول ﷺ.

هذا وصلوا وسلموا...

الخطبة الأولى (١)

٢١

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، جمع القلوب بعد فرقة، وألف بينها بعد شقاق، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى والبيانات العظام، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه الأتقياء الأنقياء، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد.

أما بعد:

فألزموا التقوى فإنها رأس مال من لا مال له، ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

عباد الله:

لا يزال المؤلف - رحمه الله تعالى - في كتابه (كشف الشبهات) يرد على من يقول: الكفار كانوا يدعون الأصنام ونحن ندعو الصالحين، وفرق بينهما، وبين ووضح ذلك في رده عليهم. ثم قال رداً على شبهة أخرى وهي أن الكفار يريدون المنفعة ونحن نريد الشفاعة وطلبها منهم ليس بشرك.

(١) الخطبة الخامسة عشرة من (كشف الشبهات): شبهة: الكفار يريدون المنفعة ودفع المضرة ونحن نريد الشفاعة وطلبها منهم ليس بشرك.

قال - رحمه الله - رداً عليهم وبيانا للحق: (فإن قال) يعنى هذا المشرك: (الكفار) الذين نزل فيهم القرآن؛ أبو جهل وأضرابه (يريدون منهم) أي من الآلهة التي يدعون، ويطلبون منهم، لأنهم أبواب حوائجهم إلى الله؛ فهم يباشرونهم بالعبادات، (وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم، أرجو من الله شفاعتهم) والمالك لهم وللمطلوب هو الله، وأقصدهم ليطلبوا لي من الله الشفاعة. وهذا تناقض منه في دعواه، حيث إنه قال في دعواه: (لا أريد إلا منه) أي من الله، فكيف تتوجه إلى غير الله إذن؟

(فالجواب) عن هذه الشبهة والرد عليها: (أن هذا قول الكفار بعينه حرفاً بحرف (سواءً بسواء) ما وجد شيء مخفف، بل وجد منه شيء أعظم منهم؛ فإنهم مُقرُّون بالربوبية؛ أن الله هو المدبر وحده لا شريك له - كما تقدمت الإشارة إليه - . وقرأ عليه الآيات المتقدمة الدالة على إقرارهم بالربوبية، (واقراً عليه) الآيات الدالة على أنهم ما أرادوا إلا الشفاعة، منها: (قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾) فإن في هذه الآية حصر مطلوبهم وهو شيء واحد؟ يقولون: ليس لنا صلاحية السؤال من الله، فنطلب منهم

وهم يطلبون لنا من الله، ليقربونا إلى الله زلفى. (وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ هَتُولاَءِ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾) ففي هذه الآية، بيان أنه ليس لهم قصد إلا شيء واحد، وهو طلب الشفاعة إلى ربّ الجميع.

(واعلم أن هذه الشبه الثلاث، هي أكبر ما عندهم) هذه والشبهتان قبلها: شبهة انتفاء الشرك مع الإقرار بتوحيد الربوبية، وشبهة حصر الشرك في عبادة الأصنام، وشبهة أن الكفار يريدون منهم، وأنه لا يريد منهم إلا الشفاعة. والشبه الثلاث هي:

أولاً: أن الأولياء لهم جاه عند الله، ونحن نسأل الله بجاههم ومكانتهم. ثانياً: أن الكفار كانوا يدعون الأصنام، ونحن ندعو الصالحين، وفرق بينهما.

ثالثاً: أن الكفار يريدون المنفعة والمضرة، ونحن نريد منهم الشفاعة فقط. هذه هي الشبه التي يحتجون بها على باطلهم - وهي كما وصفها المؤلف - من أكبر ما عندهم وإن كانت في الحقيقة شبهاً زائفة، وحججاً باطلة.

ثم قال - رحمه الله -: (فإذا عرفت أن الله وضحها في كتابه، وفهمتها فهماً جيداً، فما بعدها أيسر منها) يعني: إذا صار هذه سهولة رداً أعظم

شبههم، فغيرها بطريق الأولى أسهل وأسهل؛ تجد في النصوص أسهل شيء الرد عليهم.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «ولا ريب أن اتخاذ الشفعاء والتوجه إليهم بالقلب واللسان ينافي إسلام القلب والوجه لله وحده.. والاستشفاع بالأموات يتضمن أنواعاً من العبادة: سؤال غير الله، وإنزال الحوائج من دون الله، ورجاءه والرغبة إليه، والإقبال عليه بالقلب والوجه والجوارح واللسان، وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله».

ثم انتقل المؤلف - رحمه الله تعالى - إلى الشبهة الرابعة من شبهة المشركين الذين يغفلون في الصالحين، وهي الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة وهذا من كيد الشيطان لهؤلاء.

(فإن قال) أي هذا المشرك (أنا لا أعبد إلا الله) ينقضه بالكلية تتمه كلامه حيث قال: (وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة) فالالتجاء من معاني الاستعاذة، والاستعاذة من العبادات التي أمر الله - تعالى - بها فلا تكون إلا بالله - تعالى -؛ فالاستعاذة هي: الاعتصام والتحرز والالتجاء إلى الله وحده والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر. وهو بهذا جحد أنه صادر منه شرك. وهذه الكلمة يقولها كل مشرك،

فإنه ما من مشرك يقر على نفسه بالشرك وبأنه يعبد غير الله - عز وجل - لأن هذه الأمة ببعثة محمد ﷺ أنقذها الله - عز وجل - من الشرك إلى التوحيد، ومن عبادة غير الله إلى عبادة الله وحده ودونما سواه، وكل أحد من هذه الأمة يقول: أنا لا أعبد إلا الله. وهذا يوضح سبب وقوعهم في مثل هذا الشبهة؛ وهو عدم إدراكهم للمعنى الصحيح للعبادة؛ فمنهم من لا يعرف معنى العبادة مطلقاً، ومنهم من يظن أن معنى العبادة هو اعتقاد الربوبية لله - تعالى -.

(فقل له) مجيباً: (أنت تُقرّ أن الله افترض عليك إخلاص العبادة لله؟) فلا يمكنه جحد ذلك، لأن الله - عز وجل - أمر بها في القرآن في قوله: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [إغافر: ١٤] وفي قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤-١٥] وإن جحد ذلك كفانا مؤنة الرد عليه.

إذ قال هذا الرجل المشبه أنا لست أعبدهم كما أعبد الله - عز وجل - والالتجاء إليهم ودعائهم ليس بعبادة فهذه شبهة. ولهذا بدأ المؤلف - رحمه الله تعالى - بدأ مع هذا المشرك بتعريف العبادة وإخلاصها؛ والحكمة من ذلك أن هذا المشرك أخرج الدعاء والالتجاء من العبادة حسب قوله.

وجوابها أن تقول: إن الله فرض عليك إخلاص العبادة له وحده. فإذا قال: نعم، فاسأله ما معنى إخلاص العبادة له؟ فيما أن يعرف ذلك، وإما أن لا يعرف، فإن كان لا يعرف فبين له ذلك ليعلم أن دعاءه للصالحين وتعلقه بهم عباده.

(فإذا قال: نعم، فقل له: بين لي هذا الذي فرضه عليك، وهو إخلاص العبادة لله) وأنواع العبادة كثيرة منها: الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وصلة الأرحام والنذر والاستعاذة، والاستعانة والاستغاثة والدعاء، كلها عبادة لا تصرف إلا لله وحده لا شريك له، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك بالله - تعالى -.

(وهو حقه عليك) فإذا سألته عن حقيقة ما فرضه الله عليه، وهو يعلم ويقر أن الله افترض عليه إخلاصها، (فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها) إذ لو عرفها وأنواعها لما نفاها عن نفسه، ولما قَدَّم على عبادة الله غيره؛ لكنه من أجهل الجاهلين، وأضل الضالين؛ فإن الجهل أنواع أعظمها الجهل بالله - تعالى - وأسمائه وصفاته، وهو أعظم من الجهل بشرعه ودينه، فهو متغلظ جهله بأمرين:

أحدهما: أنه جهل بالتوحيد الذي هو أساس الملة.

والثاني: أنه جهل بشيء مستفيض واضح عند كل أحد، والجهل
 بالشيء المعلوم الواضح، أعظم من الجهل بالشيء الخفي.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
 الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: ٥].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي بعث رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

عباد الله:

بعدهما ما ذكر المؤلف الحجج والبراهين القاطعة في رد الشبه انتقل - رحمه الله تعالى - من الحجج إلى تعليم الجاهل، قال: -
 (فبينها له) يعني: بين له أن الدعاء والطلب عبادة، وأحد تعاريف العبادة: أنه ما أمر به شرعاً، من غير اطراد عرفي، ولا اقتضاء عقلي، وقد أمرنا الله - تعالى - بدعائه وحده.

(بقولك:) له (قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾) وهذه الآية تفيد ذلك؛ أنه يحبه ويرضاه، والأمر عبادة (فإذا أعلمته بهذا) إذا أعلمته أن الآية تدل على أنه عبادة. (فقل له: هل علمت هذا عبادة لله؟) يعني إذا كان يعترف أن العبادة حق لله - عز وجل - وأنه لا يجوز عبادة غير الله ولكنه يقول الالتجاء ليس من العبادة فهو جائز. فإنك تقول له: الالتجاء إلى الله عبادة والالتجاء إلى غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك، لأن من التجأ إلى غير الله في الشدائد فقد أشرك مع الله فيما لا يقدر عليه إلا الله - سبحانه وتعالى -، لأنه هو الذي يُجيب

المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وهو الملجأ - سبحانه - ولذا لجأ إليه النبي ﷺ حيث يقول: « لا ملجأ ولا منجى ولا ملتجأ منك إلا إليك » [رواه البخاري] ﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ تُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ ﴾ [الجن: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ [المؤمنون: ٨٨]. (فلا بد أن يقول: نعم) لا يمكنه أن يجحد، فإن جحد سقط الكلام معه، وعُرف أنه مكابر، وانتقل معه إلى الجلاذ إن أمكن. (والدعاء مخ العبادة) كما في الحديث الذي رواه الترمذي.

(فقل له:) بعد هذا (إذا أقررت أنها عبادة، ودعوت الله ليلاً ونهاراً، خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره) يعني: بعبادة الدعاء، (هل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلا بد أن يقول نعم) إن كان عنده التفات إلى الدليل؛ فإن من لازم إقراره بالأولى، إقراره بالثانية، فبذلك انكشفت شبهته.

(فقل له: فإذا عملت بقول الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخَّرْ ﴾)، أي؛ انحر لربك ولا تنحر لغيره. (وأطعت الله ونحرت له، هل هذا عبادة؟) ودليله واضح وبرهانه قاطع، (فلا بد أن يقول: نعم) لا يمكنه أن يجحده. وهذا إقرار منه وقبول.

وقد مثل به المؤلف لأنه أكد أنواع العبادة العملية المالية وأفضلها.
هذا وصلوا...

الخطبة الأولى (١)

٢٢

الحمد لله حمد الشاكرين، وأشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله
وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله حق التقوى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ
تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١] ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا
لَّا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].

عباد الله:

لا زال المؤلف - رحمه الله تعالى - يبين ويوضح معنى العبادة، وأخذ
يسأل ليوضح ويبين في كتابه (كشف الشبهات).

فقال: تسأل المخالف عن معنى العبادة وما الفرق بينها وبين الالتجاء؟
وقل له: هل العبادة واجبة أو مستحبة؟ فلا بد أن يعترف أن العبادة أمر
واجب وحتم على العباد وأنها حق على العباد، فإذا اعترف بهذا فقل له:

(١) الخطبة السادسة عشرة من (كشف الشبهات): شبهة: الالتجاء إلى الصالحين وأن دعاؤهم
ليس بعبادة.

فسر لي العبادة ما معناها وبين لي ما أنواعها، ما دمت أنك اعترفت أن العبادة لله وأنها واجبة على العبد فإنه يجب عليك أن تعرف معناها وأن تعرف أنواعها وإلا فكيف يوجب الله عليك شيئاً وأنت تجهله ولا تعرفه، فإنه لا يعرف العبادة ولا يعرف أنواعها، وهذه آفة الجهل، ومن هنا يتعين على العباد أن يتعلموا ما أوجب الله عليهم وما فرضه الله عليهم حتى يؤدوه على وجهه الصحيح ويتجنبوا ما يخل به وما يبطله، أما أن تعبد الله على جهل فإن هذه طريقة النصارى الضالين يعبدون الله على جهل وضلالة، والله أمرك أن تسأله أن يُجنبك طريقهم فتقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴿الفاحة: ٦-٧﴾ فالضالون هم الذين يعبدون الله على غير علم وعلى غير معرفة بالعبادة، وإنما يعبدون الله بالعادات والتقاليد وما وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم دون أن يرجعوا إلى ما جاءت به الرسل ونزل به الكتب وهذا هو سبب الضلال. والالتجاء هو طلب الحماية من أمر مخوف لا يدفعه إلا الله. فهو نوع من أنواع العبادة، والله - سبحانه - يجير ولا يجار عليه ويعيد من استعاذ به، فمن التجأ إلى ميت فقد عبده من دون الله، وكذلك من أعظم أنواع العبادة الدعاء، حيث قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿الأعراف: ٥٥﴾ وأنت بالتجاءك إلى غير الله قد دعوت غير الله وهذا شرك.

ثم قال المؤلف: (فقل له:) أي: للمخالف (فإن نحرت لمخلوق، نبيّ أو جنّي، أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة) يعني: عبادة النحر (غير الله؟). أي؛ تقربت بهذا الدم لمخلوق.

(فلا بد أن يقرّ ويقول: نعم) ما يمكن أن يجحد الثاني بعد الأول، بل إقراره بالأول يلزمه الإقرار بالثاني، يعني: وكذلك سائر العبادات، إما أن يقر أنها عبادة أو لا، فإن أنكر كونها عبادة أقيمت عليه الحجة، فإن أقرّ خصم.

وقد أمرنا الله - عز وجل - بإخلاص الدين له، فإذا إخلاص الدين لله عبادة.
 وأمرنا الله - عز وجل - بخوفه، فالخوف عبادة.
 وأمرنا الله - عز وجل - برجائه فالرجاء عبادة.
 وأمرنا الله - عز وجل - بالصلاة، فالصلاة عبادة.
 وأمرنا الله - عز وجل - بالزكاة، فالزكاة عبادة.
 وأمرنا الله - عز وجل - بالنحر فالنحر عبادة.
 وهذه كلها عبادات.

فبهذا ظهر واتضح جهله وضلاله، وانكشفت شبهته، وأن قوله: أنا لا أعبد إلا الله.. إلخ، محض جهل منه، وأن هذا عبادة لغير الله، وتبين أنه عابدٌ غير الله، وأن ما يصنعه معهم عبادة لهم، وأنه عابدٌ الله وعابدٌ معه غيره.

وقد أثنى سبحانه على عباده فقال: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، وقال: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فأمر بالدعاء وأثنى على عباده بأنهم يدعون، وسمى الدعاء عبادة. فإذا تبين أن الدعاء عبادة، فقل لهذا المشرك: إذا تبين لك بهذا الدليل أن الدعاء عبادة، فإنك إذا دعوت الله ليلاً ونهاراً، ثم دعوت معه غيره؛ ألسنت قد أشركت معه في عبادته، حيث قد دعوت معه غيره والدعاء عبادة؟ فلا بد - إن كان عاقلاً ومنصفاً - أن يقول: نعم.

وإذا سلم أن الدعاء عبادة، وأنه إن دعا الله، ودعا معه غيره؛ فقد أشرك معه في عبادته، فإنه قد اعترف بأن هؤلاء مشركون.

ومن الأمثلة الأخرى التي ذكرها المؤلف - رحمه الله تعالى - الذبح، قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ﴾، فقد أمر الله في هذه الآية بالصلاة والنحر، وبهذا نعلم أن النحر عبادة؛ لأن الله أمر به، فإذا ذبحت لله ونحرت لله من أضحية أو غيرها، ثم ذبحت لنبي أو جنى، أو ملك أو صنم؛ أفليس هذا شركاً في العبادة، حيث قد تقرر أن النحر عبادة؟

فلا بد أن يقول: نعم؛ لأنه إذا سلم أن النحر لله عبادة، فلا بد أن يكون النحر لغير الله شركاً، حيث هي عبادة لغيره معه - سبحانه -، وهكذا يقال في أمثلة أخرى، فالطواف بالبيت عبادة لله، والطواف على القبر شرك وبدعة، والمشركون الأولون إنما كان شركهم بأنهم كانوا يدعون مع الله

غيره، ويذبحون لغيره، وينذرون لغيره، ويحجون لغيره، فهذا عين الشرك، وهذا الذي تفعله هو بعينه ما كان يفعله هؤلاء المشركون.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾

[الزمر: ٣] وكانوا يذبحون لغير الله كما في حديث ثابت بن الضحاك

- رضي الله عنه -: أن رجلاً نذر أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي ﷺ فقال

له «هل كان فيها وثن من أوثانهم؟» قال: لا، قال: «فهل كان فيها عيد من

أعيادهم؟» قال: لا، قال: «أوف بندرك» [رواه أبو داود].

والالتجاء في الرخاء أو عند الشدائد إلى الصالحين الموتى أو إلى

الصالحين الأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك. وأما الالتجاء إلى

المخلوق فيما يقدر عليه، فهذا شيء آخر؛ كمن يقع في شدة أو كربة، أو

يخاف من عدو؛ فيلتجئ إلى من يقدر على دفع عدوه عنه، ويخلصه منه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.
عباد الله:

لا زال المؤلف - رحمه الله تعالى - يورد البيان والإيضاح في الرد عليهم وإبطال حججهم.

قال - رحمه الله -: الجواب الثاني: لبطلان قول الخصم، وهو أن عبادة المشركين لمعبوداتهم كانت في الدعاء والذبح ونحوها ليس إلا. (وقل له أيضاً) زيادة في البيان والإيضاح ردًا على قوله: «أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعائهم ليس بعبادة» (قل له أيضاً). (المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة، والصالحين، واللات، وغير ذلك؟).

(فلا بد أن يقول: نعم)، لا يمكنه أن ينكر شيئاً أثبتته القرآن، والنصوص الدالة على أنهم كانوا يدعون الملائكة، والصالحين، واللات، متوافرة في كتاب الله - عز وجل -؛ كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتُولَاءِ إِنِّي كُنْتُ نَسِيًّا وَنَسِيًّا وَنَسِيًّا﴾ الآية

[سبأ: ٤٠ - ٤١]، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ﴾ ﴿١١﴾ الآيات [النجم: ١٩ - ٢٣].

(فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء، والذبح، والالتجاء، ونحو ذلك؟) يعني: أنها ما كانت عبادتهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء وغير ذلك من أنواع العبادات، هل هو هذا أو غيره؟ فإنه لا يجد دليلاً غير هذا.

فقل له: أنا عندي دليل، وهي أن عبادتهم هي هذه ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَتُّؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، (وإلا فهم مقررون أنهم عبيده وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر، ولكن دعوهم والتجؤوا إليهم، للجاء والشفاعة، وهذا ظاهر جداً) في كشف شبهته.

أي أن المشركين الأولين ما كان شركهم إلا في هذه الأمور، وقد نزل القرآن في الإنكار عليهم والأمر بقتالهم وإباحة أموالهم ودمائهم. ما كانوا مع أصنامهم يعتقدون أنها تخلق وترزق وتحيي وتميت وما كانوا يدعونها إلا من أجل الشفاعة، فكذلك عباد القبور اليوم يدعون الأضرحة والأولياء والصالحين ولا يعتقدون فيهم أنهم يخلقون ويرزقون وأنهم خلقوا السموات والأرض، وإنما اتخذوهم لقضاء الحاجات والتوسل

بهم إلى الله ليشفعوا لهم ويقربوهم إليه زلفى والالتجاء إليهم في كشف الكرب والشدائد.

وكما أن السجود عبادة، ومثله الدعاء والنذر والذبح والالتجاء؛ فما الفارق الذي أباح صرف هذا دون هذا، بل ما ورد في خصوص الدعاء أكثر مما ورد من السجود. والعبادة ليس منحصرة في السجود والصلاة، بل رأسها وأساسها الاعتقاد، وقد حصل في قلوبهم ذلك، بل يسمونه معتقداً ويصنعون له ما تفرع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم والتوسل بهم والاستغاثة والحلف والنذر وغير ذلك.

ومن دلائل ما نراه في عبادتهم أنهم يقصدون الأموات والالتجاء إلى الصالحين؛ فلأبي مقتضى يصنعون ذلك، فإن دعاءهم للميت عند نزول أمر بهم لا يكون إلا لشيء في قلوبهم عبر عنه لسانه.
هذا وصلوا وسلموا...



الخطبة الأولى (١)

٢٢

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، وأشكره على نعمه وآلائه، وأسأله المزيد من فضله وكرمه وقد تأذن بالزيادة لمن شكر، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم ما ظهر وما استتر، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله خير البشر، الشافع المشفع في المحشر، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه السادة الغرر، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المحشر.

أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واحذروا سخط الجبار، فإن أجسادكم على النار لا تقوى. أيها المسلمون:

بين المؤلف - رحمه الله تعالى - في كتابه (كشف الشبهات) أنواع الشفاعة، وأنكر على الذين يطلبون الشفاعة من المخلوقين، وبين أن الشفاعة حق لله - عز وجل -، لا تطلب إلا منه - سبحانه - . ولا يزال - رحمه الله تعالى - يرد بيان واضح شاف كاف، ويبين الشبه وكشفها.

(١) الخطبة السابعة عشرة من (كشف الشبهات): شبهة: أن من ينكر الشرك فقد أنكر شفاعة الرسول ﷺ والصالحين فهو منكر لشفاعة الرسول وغيره.

قال: (فإن) انتقل المشبه إلى هذه الشبهة الأخرى وهي السادسة: وهي أن النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلب منه مما أعطاه الله. و(قال: أتنكر شفاعه رسول الله ﷺ وتبرأ منها؟) هذا شأن أعداء الله القبوريين؛ إذا أنكر عليهم الباطل، قالوا: هذا إنكارٌ للحق، وإذا أنكر عليهم دعاء غير الله، قالوا: هذا إنكار للشفاعة.

وهذه الشبهة في صيغة اعتراض، فإذا قال المشرك القبوري بعد المحاورة السابقة، وبعد الإنكار عليه الالتجاء إلى الصالحين، وطلب الشفاعة منهم: أتنكر شفاعه النبي ﷺ، ولا تقر بها، وتبرأ منها؟ كأنه بعد إفحامه، وبعد غلبته بالحجة؛ ذهب يتهم الموحد، ويشهر به، ويدعي أن النهي عن الالتجاء إلى الصالحين، وطلب الشفاعة منهم؛ يتضمن إنكار شفاعتهم، ويقول: أتنكر شفاعه النبي ﷺ؟ فإذا قال ذلك، فقل له: لا أنكرها، بل أقول: إن شفاعه النبي ﷺ حق، فهو الشافع المشفع، وهو سيد الشفعاء.

وله شفاعات، منها: أنه يشفع في أهل الموقف أن يُقضى بينهم - وهو المقام المحمود -، ويشفع فيمن دخل النار من أمته، فيخرج منها من شاء الله، وفي كل مرة يأتي ويسجد، ويحمد ربه، فيقال له: «ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع»، يقول: «فيحد لي حداً، فأخرج، فأخرجهم من النار» [رواه البخاري]، فهو أول شافع، وأول مشفع.

(فقل: لا أنكرها، و) أولى من ذلك أن (لا أتبرأ منها)، وهي أصل لأهل التوحيد دون غيرهم، بل أنا وأمثالي أرجى لشفاعته لكوني متمسكاً بستته، بل هم المحرومون لكونهم تعلقوا بأذيال لا توصلهم، بل هم تركوا سبب شفاعته ﷺ؛ (بل هو ﷺ الشافع المشفع وأرجو شفاعته) نسأل الله أن يشفعه فينا، وأن يحشرنا تحت لوائه (ولكن الشفاعة كلها لله)، فإن النبي ﷺ لا يملكها استقلالاً، بل لا يشفع إلا في أناس مخصوصين، قائم بهم التأهل لأن يشفع لهم، (كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾)، هذا في سياق قوله تعالى: ﴿أَمْ آتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ فاللام عند جميع العلماء للملك، بينت الآية أن الشفاعة ملك لله وحده، وكون النبي ﷺ أعطيها لا استقلالاً من دون الله، بل أكرمه المالك لها، لأناس مخصوصين، في مقدار مخصوص، فهي شيء محدود لشيء محدود والله - عز وجل - هو مالكها، وليس لمن تطلب منه شيء منها، وإنما تطلب ممن يملكها دون كل ما سواه لأن ذلك عبادة وتأله لا يصلح إلا لله.

(ولا تكون إلا من بعد إذن الله؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾)، فأني قائل، أو أي إنسان يخرج النبي ﷺ من هذا العموم؟! شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر لا ينكرها إلا أهل الباطل، والفرق الضالة كالخوارج والمعتزلة، أما أهل السنة والجماعة فإن من أصول عقيدتهم الإقرار بشفاعة النبي ﷺ وشفاعة الأولياء والصالحين، ولكنها

لا تطلب منهم وهم أموات، وإنما تطلب من الله لأن أحداً لا يشفع عند الله إلا من بعد إذنه، ولا بد أن يكون المشفوع فيه ممن يرضى الله عنه من أهل التوحيد، والنبى ﷺ وهو أعظم الشفعاء يوم القيامة، إذا تقدم له أهل المحشر وطلبوا منه أن يشفع لهم عند الله في فصل القضاء بينهم، فإنه لا يشفع ابتداءً، وإنما يستأذن ربه ويطلب منه أن يأذن له بالشفاعة فيخر ساجداً بين يدي ربه ويدعوه ويتضرع إليه، حتى يقال له: يا محمد ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع؛ ولكن كيف تطلب الشفاعة؟

عباد الله: الشفاعة: تطلب من الله ولا تطلب من المخلوق فتقول: اللهم لا تحرمني شفاعة نبيك ﷺ، اللهم شفعه في، وأمثال هذا، والنبى ﷺ بعد موته لا يطلب منه شيء لا شفاعة ولا غيرها لأن طلب الأشياء من الأموات شرك أكبر.

ومن شروط الشفاعة قول المؤلف: (ولا يشفع في أحد إلا بعد أن يأذن الله فيه؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾) يعني: من رضى الله قوله وعمله، (وهو - سبحانه - لا يرضى) من عباده إلا عملاً واحداً هو الإسلام، والذي يدور عليه هو التوحيد؛ فالتوحيد منزلته من الإسلام، كمنزلة الأساس من البنيان، فالمحور هو التوحيد، والرب لا يرضى (إلا التوحيد كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾)، وقال عن المشركين: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

قال ابن تيمية: «سبب الشفاعة توحيد الله وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له، فكل من كان أعظم إخلاصاً كان أحق بالشفاعة، فإن الشفاعة مبدؤها من الله، وعلى الله تمامها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه، وهو الذي يأذن للشافع، وهو الذي يقبل في المشفوع له».

ثم قال المؤلف - رحمه الله تعالى - : (فإذا كانت الشفاعة كلها لله) كما في الآية الأولى، (ولا تكون إلا من بعد إذنه) كما في الآية الثانية، (ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه) كما في الآية الثالثة، (ولا يأذن الله إلا لأهل التوحيد) كما في الآية الرابعة.

(تبين لك) بذلك كله، بل بعضه كافٍ (أن الشفاعة كلها لله) ملك له وحده، وأنها لا تطلب من غير الله، بل تطلب من الله، (وأطلبها منه) فأطلبها بما هو دعاء لرب العالمين، المالك لها وحده، لا دعاء للنبي.

ثم ذكر - رحمه الله تعالى - الطريقة الشرعية لطلب شفاعة النبي ﷺ. (فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفّعه فيّ، وأمثال هذا) فإنك إذا قلت ذلك نلتها، ومراده أنك تطلبه بالمعنى ولو ما لفظت؛ فإذا عملت بالتوحيد، فأنت تطلب أسباباً فيها نيلُ الشفاعة، سواء قلت باللفظ أو لا، أو ما هذا معناه.

عباد الله: وشفاعة النبي ﷺ جنس تحته أنواع، فهو ﷺ يشفع يوم القيامة في أنواع من الشفاعة، أعظمها وأجلها شفاعته ﷺ في أهل الموقف أن يعجل لهم الحساب بعد أن نالهم من الكرب والشدة ما جعلهم يستغيثون

به ﷺ في عرصات القيامة في ذلك الموقف العظيم، وهذا هو المقام المحمود الذي خص الله به نبينا محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] وهو: شفاعته ﷺ في الناس جميعاً؛ لكي يفصل بينهم، ولكي يعجل لهم الحساب.

وهو ﷺ يشفع لأناس استحقوا النار أن لا يدخلوها، ويشفع لأناس دخلوا النار أن يخرجوا منها، كذلك اختص ﷺ بشفاعته لكافر، وهي شفاعته في عمه أبي طالب حتى يخفف عنه العذاب.

وأيضاً الشفاعة لا تنفع كل أحد وإنما تنفع أهل التوحيد وأنت لست من أهل التوحيد لأنك تدعو غير الله فالشفاعة لها شرطان:

الشرط الأول: أن تطلب من الله - سبحانه وتعالى - ولا تطلب من غيره. ولا بد أن يأذن فيها. والدليل: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ آرْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] وهو لا يرضى إلا عن أهل التوحيد.

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد لا من أهل الشرك والكفر. ودليل قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ لا الملائكة ولا الرسل ولا الأولياء ولا الصالحون، لا أحد يشفع عند الله إلا بعد أن يأذن الله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦].

فلا تطلب الشفاعة من المخلوق الميت، وإنما تطلب الشفاعة من الله فتقول: اللهم شفّع في نبيك، لا تطلبها من الأموات. وهذا الذي تقول

إنه طلب للشفاعة هو الذي كفر الله به المشركين، فإن المشركين حينما لجأوا إلى الأولياء والصالحين وإلى الملائكة وإلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة كفرهم الله بذلك، فقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَتُؤَلَاءُ شُفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتُبُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [يونس: ١٨] فهذا الذي تقوله هو الذي كفر الله به المشركين عبادة الأولياء والصالحين طلباً لشفاعتهم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾ [الزمر: ٤٤].
بارك الله لي ولكم..

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم المتفضل بالعطايا والإحسان، عمت نعمته كل حي،
ووسعت رحمته كل شيء، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
يعطي ويمنع ويرفع ويخفض، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله،
صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - فإن التقوى فوز وصلاح، ونجاة وفلاح.

عباد الله:

لا يزال المؤلف - رحمه الله تعالى - يبين الشبه ويفندها ويرد عليها.

قال - رحمه الله تعالى -: (فإن قال) المشبه الذي يدعو رسول الله ﷺ:

(النبى ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ، وأنا أطلبه مما أعطاه الله) - إن انتقل لهذه

الشبهة - في زعمه: أنه كما أن من أعطي المال يعطي من شاء، فكذلك

من أعطي الشفاعة. وأن هذا استجابة لأمر الله.

(فالجواب): نعم (أن الله أعطاه الشفاعة) وهو ﷺ سيد الشفعاء، ونهاك

أن تشرك به في دعائه، فقال ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ لكن الذي أعطاه

الشفاعة، (و) هو الله (نهاك عن هذا)، نهاك أن تطلبها منه، فهذا من جهله

يطلب شيئاً منهياً عنه، مع أن إعطائه الشفاعة إعطاءً مقيداً لا مطلقاً، كما أن إعطائه المال ﷺ لا يعطيه من شاء، إنما يعطيه من أمر أن يعطيه، وهل يجوز للناس جميعاً أن يسألوا الأغنياء الأموال والأشياء التي أعطاهم الله إياها؟ وهل يجوز لكل مسلم أن يسأل كل مخلوق ما أعطاه الله وما ملكه إياه من أنواع الأموال والأعطيات بحجة أن الله أعطاه ذلك، وبحجة أنه لا مانع من سؤال الخلق ما أعطوا؛ لأن طلب الحق لا يكون باطلاً...

(فقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾)، فهذا نهى عن دعوة غير الله، ودعوة غير الله أنواع: منها دعوة غير الله فيما يرجونه من شفاعتهم، ومنها دعوة غير الله لكشف الكربات ونحو ذلك؛ وهذا منهى عنه، بل هو حقيقة دين المشركين الأولين، إنما كانت عبادتهم آلهتهم بالدعاء، وطلب الشفاعة، ونحو ذلك كما تقدم.

والنبي ﷺ لا يشفع إلا بإذن الله، ولا يشفع إلا لمن ارتضاه الله، ومن كان مشركاً فإن الله لا يرتضيه فلا يأذن أن يشفع له كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

والله - عز وجل - أعطى الشفاعة غير نبينا محمد ﷺ فالملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والأولياء يشفعون.
هذا وصلوا وسلموا...

الخطبة الأولى (١)

٢٤

الحمد لله أهل التقوى وأهل المغفرة، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، أحمده - سبحانه - وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره؛ نعمه لا تحصى، وآلائه ليس لها منتهى، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أخشى الناس لربه وأتقى، دلّ على سبيل الهدى وحذر من طريق الردى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، معالم الهدى ومصابيح الدجى، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى.

أما بعد:

فأوصيكم - ونفسي - بتقوى الله، فتقوى الله جماع الخيرات، وحصول البركات، أكثر خصال المدح ذكراً في كتاب الله، ما من خير عاجل ولا آجل، ولا ظاهر ولا باطن إلا والتقوى موصلة إليه، ووسيلة له، ودليل عليه، وما من شر عاجل ولا آجل، ولا ظاهر ولا باطن، إلا والتقوى حرز منه حصين ودرع مكين.

عباد الله:

لا زال المؤلف - رحمه الله تعالى - في كتابه (كشف الشبهات) يتحدث عن الشفاعة وممن تُطلب.

(١) الخطبة الثامنة عشرة من (كشف الشبهات): شبهة: النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلب منه مما أعطاه الله.

قال: (إذا كنت تدعو الله) وترجوه (أن يشفع نبيه فيك فأطعه في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿٤٨﴾ إذا كنت ترجو أن تكون أهلاً لشفاة سيد الشفعاء، فوحد الله وأخلص له العمل، تنل شفاة المصطفى ﷺ فإن الشفاة التي هي حق وأعطيتها ﷺ، مشروطة بشروط، وبينت الشريعة أن سبب نيلها، اتباع الرسل وإخلاص العمل، فبذلك تكون من أهل الشفاة. فالمشركون ضيعوا سبب الشفاة وضادوه وخالفوه.

والشريعة بينت أن سبب إعطائه إياها غير طلبها منه ﷺ، وإنما سببها الإيمان به ﷺ والإيمان بما جاء به؛ قال تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ [المدثر: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتُبُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨]، وما لا يعلمه الله فهو باطل؛ يعني: لا يعلم أن من دونه شفعاء. وسئل ﷺ: «من أسعد الناس بشفاعتك؟ فقال: «من قال لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه»، وقال: «فهي نائلة إن شاء الله، من مات لا يشرك بالله شيئاً»، فالشفاة للعصاة، أما المشركون فلا شفاة لهم.

واليهود والنصارى ينكرون شفاة نبينا ﷺ، وقسم من الناس يثبتها ويغلو فيها كالوثنية، وقسم كأهل السنة يثبتها في العصاة من الموحدين، وقسم ينكرون الشفاة في عصاة الموحدين.

(وأيضاً فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ، فصَحَّ أن الملائكة يشفعون) كما في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - مرفوعاً قال: «فيقول الله - تعالى - شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط» [رواه مسلم]. (والأولياء يشفعون) في الحديث عن النبي ﷺ يقول الله - عز وجل -: «وشفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون...» [رواه مسلم] (والأفراط يشفعون) الأفراط هم الأطفال، في الحديث: «ما من مسلم يتوف له ثلاث لم يبلغن الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم» [رواه البخاري].

والحي يشفع، وقد شرع الله - عز وجل - جواز الدعاء للمؤمنين، فقال لنبيه - عليه الصلاة والسلام -: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩] فجنس الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ، ولكن هذا الإعطاء مقيد. ثم قال المؤلف - رحمه الله تعالى -: (أقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم) يعني: مقتضى قوله النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلبها منه يدل على ذلك. (فإن قلت هذا، رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه). وهذا دليل وبرهان سديد للغاية، وقد سبق بيان أن الشفاعة طلب، والشفاعة هي الدعاء، فإذا طلب أحد من النبي ﷺ وهو

في البرزخ - مع حياته الكاملة ﷺ أكمل من حياة الشهداء - أن يشفع فهذا الطالب سأله؛ والسؤال دعاء، فحقيقة طلب الشفاعة أنها سؤال الميت، كسؤال النبي ﷺ في قبره وهو في الرفيق الأعلى ﷺ.

فإذا قال قائل: يا محمد، يا رسول الله اشفع لي، فقد دعاه وطلب منه، وإذا قال: يا محمد، يا رسول الله اسأل الله لي، فقد سأله وطلب منه ﷺ، وهذا طلب الدعاء ممن ليس في الحياة الدنيا ممن هو عند الله - عز وجل -، والله - عز وجل - نهانا أن ندعو أحداً غيره، فقال عز وجل: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿الجن: ١٨﴾ وقوله ﴿فَلَا تَدْعُوا﴾ هذا نهى عن الدعاء. و﴿أَحَدًا﴾ ﴿نكروه جاءت في سياق النهي، فدلّت على عموم كل أحد، فالملائكة لا يُدعون، والأنبياء والرسل - عليهم صلوات الله وسلامه - لا يُدعون، وكذلك الصالحون ممن انتقلوا عن الدنيا لا يُدعون والأولياء والأموات لا يدعون.

(وإن قلت: لا) أطلبها منهم ولو أعطوها، (بطل قولك: أعطاه الله الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله) واتضح لك أن كون شخص أُعطيها، لا يدل على أنه يعطيها من سألها، وَلَئِمَّ من ذلك، أن يكون كلُّ من طُلب الشفاعة يُعطي إياها من سألها، ولفسدت الشرائع، فدلّ على أن إعطائه الشفاعة مقيد، وليس دالاً على أنها تُطلب منه، ولو كانت تطلب منه لكان الصحابة أول من يطلبها منه؛ بل أنكروا زين العابدين على من أتى إلى فرجة

كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو. والله - عز وجل - أعطى نبينا محمد الله الشفاعة، وأمر أن لا ندعو مع الله أحداً.

وإن قلت: إنني أطلب الشفاعة من غير النبي كالأولياء والملائكة فقد وقعت في الشرك الذي هو عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وحيث انكشفت شبهته، واندحضت حجته، وتبين لك بذلك جهله وضلاله.

أما طلب الشفاعة من الأموات فهو شرك، والله قد حرم الشرك وأحبط عمل صاحبه، وحرم عليه الجنة، وقد أنكر - سبحانه - على الذين يدعون غيره، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ونزه نفسه عن ذلك وسماه شركاً. وأيضاً إعطاء الله الشفاعة ليس خاصاً بالنبي ﷺ فهل كل من أعطي الشفاعة تطلب منه من دون الله كما كان المشركون الأولون يفعلون ذلك، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وفي واقع اليوم أن الذين عبدوا غير الله - تعالى - لا يعرفون ولا يعلمون معنى الشرك ولا يعلمون معنى التوحيد؛ لهذا قد ينكرون شيئاً وهم واقعون فيه، وقد ذكر الشوكاني في رسالته (الدر النضيد): «أن عباد القبور عندهم تغير للأسماء، فيسمونها بغير اسمها؛ فيسمون الشرك توسلاً، ويسمون

طلب الشفاعة من الأولياء توسلاً، ويسمون إنزال الحاجات بالأولياء والأنبياء التجاء إلى الصالحين؛ لأنهم عند الله - عز وجل - لهم المقامات العالية وأشباه ذلك».

وقال - رحمه الله -: «وهذا لا يغير من الحقائق شيئاً؛ إذ العبرة بالحقائق لا بالأسماء، العبرة بالمسميات لا بالأسماء. فلو سميت الخمر ماء فإنها خمر، ولو سميت سرقة الأموال هدايا فإنها سرقة، فالأسماء لا تغير في الأحكام الشرعية، إذ الأحكام مرتبطة بحقائق الأمور، فإذا وجدت حقيقة الأمر الذي حرم الشرع أو أمر به الشرع، فإنه هو المقصود بالتحريم، وهو المقصود بالأمر، وإن اختلفت الأسماء؛ إذ لا عبرة باختلاف الأسماء تفرعاً على ذلك».

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية (١)

الحمد لله الذي شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه،
أما بعد:

فاتقوا الله - عز وجل - وراقبوه، فإن السعيد من ثقلت موازينه، وأدخل جنات عدن تجري من تحتها الأنهار.
عباد الله:

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - وهذه هي الشبهة السابعة: (فإن قال) يعني المدلي بالشبهة (أنا لا أشرك بالله شيئاً - حاشا وكلا -) وهذا صنيع كل من يعبد غير الله، كمن يعبد الأولياء والأنبياء ويتقرب إليهم، ومن يتقرب إلى المشاهد، أو إلى الجن، أو إلى ما شابه ذلك من أنواع المعبودات من دون الله، كلهم يقولون: نحن لا نشرك. إذ لا أحد يقر على نفسه بالشرك والكفر.

(فإن قال) يعني بعد ما ذكرنا من مسألة الشفاعة أو من أولى بهذه الشبهة: (أنا لا أشرك بالله شيئاً، حاشا وكلا، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك) يعني: أنا لست من المشركين وحاشا وكلا أن أفعل الشرك

(١) قولهم الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

وأن أشرك بالله شيئاً. والمراد أنه نفى عن نفسه الشرك.

(فقل له) مجيباً بالاستفصال والتحدي حتى تنكشف شبهته: (إذا كنت تُقرُّ أن الله حَرَّمَ الشركَ أعظم من تحريم الزنا) وهذا أمر لا شك فيه؛ فالشرك هو أعظم ذنب عصي الله به؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] (وتُقرُّ أن الله لا يغفره؟) وذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]. - وهو لا يمكن أن يجحده - (فما هذا الأمر الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره؟) يعني: فسّر لي حقيقة الشرك بالله؟ يعني: وما معنى عبادة الله؟ (فإنه لا يدري) عن الشرك، ولا عن التوحيد، إذا طلبت منه بيان هذا وهذا، وقف، فأين هذا من التوحيد؟ والمعنى أنه لا يعرف معنى الشرك، فيقال: كيف تدعي البراءة من الشرك، وأنت لا تعرفه؟ أو تظن أن الله حرم الشرك، وحذر منه، ولم يبيئه لعباده؟ فهذا ممتنع.

ومعلوم أن المشركين الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ ينفون عن أنفسهم الكفر، وينفون عن أنفسهم الشرك بالله - عز وجل -، لأن هذا الشريك الذي دعوه مع الله هو الله - عز وجل -، ونفوا أن يكونوا مشركين على الحقيقة مثلما قال قائلهم: «لا شريكاً هو لك تملكه وما ملك».

(فقل له:) أي إذا كان الخصم لا يعرف الشرك. (كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟) فإن الحكم على الشيء نفيًا وإثباتًا لا بد أن يكون

بعد العلم والتصوير؛ فلا عرفت الشرك حتى تنفيه، ولا عرفت التوحيد حتى تثبته (كيف يحرم الله عليك هذا، ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟!) عدم معرفتك له وعدم مبالاةك به، يدل على أنك لا تعرف دينك، وأنت لست من التدين في شيء، صاّدٌ غافلٌ مُعرضٌ عن الدين ومعرفته، فحقك السكوت، ولأي شيء تتكلم (أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا؟) فإن ظن ذلك فقد ضل ضلالاً أعظم من ضلاله الأول، وأضاف إلى ذلك كفراً آخر. وإنما صدر منه ذلك لأنه كان فيه، وعمره واستحكم عليه ولا درى أنه في الشرك؟ فإن الله قد بين لنا الدقيق والجليل، وأكمل لنا الدين.

أخرج الهروي عن الشافعي قال: سُئل مالك عن الكلام والتوحيد؟ فقال مالك: «محال أن يُظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» فما عصم به المال والدم حقيقة التوحيد». هذا وصلوا وسلموا...

الخطبة الأولى (١)

٢٥

الحمد لله مسدي النعم ومبعد النقم، جزيل العطايا، وغافر الخطايا،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد
الله ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه
وسراجاً منيراً، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - وأحسنوا العمل، واتقوا ربكم، فإن السعادة في
طاعته والنجاة في عبادته.

عباد الله:

لا يزال المؤلف - رحمه الله تعالى - في كتابه (كشف الشبهات) يبين أن
الشرك ليس مقصوراً على عبادة الأصنام؛ لأن المشركين الأولين منهم من
يعبد الملائكة؛ والملائكة أصلح الصالحين، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا آخِذْ
الرَّحْمَنُ وِلْدَانُ سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْفِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ
يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ آرْتَضَى
وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ
كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩].

(١) الخطبة التاسعة عشرة من (كشف الشبهات): شبهة: خصوصية الشرك بعبادة الأصنام وفيه
تفنيد الشبهة الثامنة.

ومنهم من يعبد الصالحين، وذلك في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَمَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧] قيل إنها نزلت فيمن يعبد عزيزاً والمسيح من الأنبياء. وقيل نزلت في قوم كانوا يعبدون الجن فأسلم الجن؛ ولم يعلم من يعبدهم من الإنس أنهم أسلموا.

والمقصود من ذلك أن الله ذكر أن المشركين الأولين منهم من يعبد الأصنام والأشجار والأحجار ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، وسوى بينهم في الحكم وحكم عليهم بالكفر والشرك. وأنت أيها المشبه تريد أن تفرق بين من عبد الأصنام ومن عبد الصالحين فتفرق بين ما جمع الله، وهذا من المحادة لله - سبحانه وتعالى -.

هذا وجه رد هذه الشبهة حيث تبين أنه لا فرق بين شرك الأولين وشرك هؤلاء الذين يدعون الإسلام وهم يعبدون القبور والأولياء والصالحين؛ لأنهم لا يعرفون أن هذا شرك وهذه نتيجة الجهل بعقيدة التوحيد الصحيحة، والجهل بما يضادها من الشرك فإن من لا يعرف الشرك يقع فيه ولا يدري.

وإن انتقل إلى شبهة أخرى: (فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام) أي: زعم أن الشرك عبادة الأصنام بخصوصه، وهو في زعمه أنه لا يعبد الأصنام بل ولي.

فجاوبه بالاستفسار والتحدي، فبه يندحض وتنكشف شبهته، ويظهر جهله وضلاله، وأنه أبعد ما يكون مما عليه المرسلون، (فقل له: ما معنى عبادة الأصنام) التي حصرت الشرك فيها؟ (أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار، تخلق وترزق، وتدبر أمر من دعاها؟).

فإن قال: نعم، (فهذا يكذبه القرآن) ويرده؛ فإن القرآن دال على أنهم لا يعتقدون فيها ذلك أصلاً. قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

(وإن قال: هو من قصد خشبة، أو حجراً، أو أبنية على قبر، أو غيره، يدعون ذلك ويذبحون له، يقولون: إنه يُقربنا إلى الله زُلْفَى، ويدفع الله عنا ببركته، أو يعطينا ببركته) فهذا تفسيرٌ لعبادة الأصنام صحيح.

(فقل: صدقت، و) لكن (هذا هو) بعينه (فعلكم) الذي وقعت فيه (عند الأحجار، والأبنية التي على القبور، وغيرها) وهذا المطابق وهو حقيقة تفسيرها. (فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب).

أي: المطلوب: إقراره بالحق وكشف شبهته، وقد انكشفت شبهته واندحضت حجته، وتبينت جهالته وضلالته. وحاصله أنك تقول: هل هم يعتقدون أنها تخلق؟ فإن قال: نعم، فبين لهم الآيات الواردة في ذلك؛ «وإن قال هو من قصد خشبة أو حجراً أو أبنية على قبر أو غيره، تقربنا

إلى الله زلفى، ويدفع الله عنا ببركته، أو يعطينا ببركته، وهذا تفسير لعبادة الأصنام كما ذكرنا» إلخ. فقل: نعم، وهذا هو فعلكم. فهو إما أن يفسره بباطل فيبين له باطله، وإما أن يقر أن فعلهم موافق له. (ويقال له أيضاً) - زيادة في البيان -: (قولك: الشرك عبادة الأصنام، هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا؟) محصورٌ دون عبادة من سواهم، (وأن الاعتماد على الصالحين) والأنبياء، والأولياء، والملائكة، (ودعاءهم لا يدخل في ذلك) لا يكون شركاً؟

(فهذا) أمر باطل (يرده ما ذكره الله في كتابه) ويطله (من كفر من تعلق على الملائكة، أو عيسى، أو الصالحين) فإن القرآن العزيز بين كفر من تعلق على هؤلاء، وكفر من تعلق على هؤلاء، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءِ ۚ وَإِنَّا لَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبا: ٤٠] وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ﴾ [المائدة: ٧٢] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ ۗ﴾ [الاحقاف: ٥] وقوله: ﴿لَهُ دَعْوَةٌ آخِذٌ بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ۗ﴾ [الرعد: ١٤] وأن عبادة الأصنام، قسم من أقسام الشرك، (فلا بد) حينئذٍ (أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين، فهذا هو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب) وتبين أن من عبد صنماً، أو وثناً، أو

غير ذلك فهو مشرك، وبهذا تنكشف شبهته، وتندحض حجته. هذا إذا كان يريد الحق ويطلبه.

وأصول الشبهات مختلفة، وقد يختلف أهلها في الإيراد في طوائف منهم، كما يمر معنا هنا، فهؤلاء طائفة ثانية - مرتبة ثانية - من أهل هذه الشبهة.

(وسر المسألة) أي: خالص وحاصل الأجوبة عن الشبه الثلاث. (أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله، فقل له: وما الشرك بالله؟) ما معنى الشرك بالله؟ (فسره لي؟). (فإن قال: هو عبادة الأصنام، فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فسرها لي؟). ثم جادله على ما سبق بيانه (فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده، فقل: ما معنى عبادة الله وحده؟ فسرها لي؟).

(فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئاً وهو لا يعرفه؟! وإن فسر ذلك بغير معناه، بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، أنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه).

أي: وحاصل الجواب عن الشبه الثلاث أنك تتحداه؟ فله ثلاثة أحوال: أحدها: أن يتوقف، فقل له: أنت لا تعرف الحق من الباطل.

فإذا حاد ولا درى ووقف، فهو كافٍ في ردِّ شُبهه، وحينئذٍ كفانا مؤنة جوابه؛ فإنَّ هذا حال كثير ممن يعبد الأصنام؛ لا يدري عن الشرك ولا أهله، ولا درى عن عبادة الأصنام، ولا ميِّز عبادة الأصنام من غيرها.

وإن فسرها بما فسره القرآن، فهذا أيضاً كفانا مؤنته، وهذا هو المطلوب وهدم أصله الذي بنى عليه.

وإن فسره بالباطل المخالف لتفسير القرآن بيّنت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان.

فالحاصل أنه يتحصّل منه تسع صور، من ضرب ثلاث الشبه في جوابه. (وأن عبادة الله وحده لا شريك له) وهو توحيد (هي التي ينكرون علينا، ويصيحون فيه كما صاح اخوانهم حيث قالوا) في إنكارهم التوحيد على الرسول لما دعاهم: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٢١﴾﴾ استنكروا أن يجعل الآلهة إلهاً واحداً.

وبه تعرف أن كثيراً ممن ينتسب إلى الإسلام من هذه الأمة ليسوا على الدين، إنما معهم اسمه فقط، ولا يعرفون ما هو شرك الأولين، فلو عرف أحدهم شرك الأولين وشرك أهل هذا الزمان، لوجده هو هو؛ بل مشركو هذه الأزمنة أعظم من شرك أولئك بكثير، شرك الأولين ليس أكثر من اعتقادهم أن أحدهم يطلب ممن يعتقد فيه أن يطلب له من الله، وأنه باب وسائطهم وحوائجهم إلى الله، كما قال - تعالى - عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ١٣].

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق الجنة وجعل مفتاحها لا إله إلا الله، أحمدته - سبحانه - وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مخلص فيها، موقن بها، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، جدد ما اندرس من معالمها، ومع ذلك قال له ربه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فصدع بها ونادى، ووالى عليها وعادى، وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها». دعا إلى هذا الكلمة عشر سنين ولم يدع قبلها إلى زكاة ولا صيام، ولا حج ولا عمرة إلى بيت الله الحرام، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه؛ الذين جاهدوا من امتنع من قولها، أو صد عنها، أو نقضها.

أما بعد:

فيا - عباد الله - اتقوا الله حق التقوى، وأخلصوا العبادة لربكم تسعدوا وتنجوا.

أيها المسلمون:

توحيد الله وعبادته وحده لا شريك هو لب دعوة الرسل وذروة سنامها، والحد الفاصل بين الإيمان والكفر، والإسلام والشرك، وهو القدر المنجي من الخلود في النار في الآخرة، والعاصم للدم والمال والذرية في الدنيا. قال شيخ الإسلام: «وهذا الأصل وهو التوحيد هو أصل الدين الذي لا

يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً غيره، وبه أرسل الرسل وأنزل الكتب، كما قال تعالى: ﴿ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءِالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥].

عباد الله:

قال المؤلف - رحمه الله - رداً على المشبهة: (إذا عرفت) يعني علمت معنى العبادة (أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد) وقد يسمونه التوسل (هو الشرك) الأكبر الذي كان عليه قريش وأضرابهم وهو (الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه)، وتحققت ما قدمته لك من كشف الشبه المتقدمة. (فاعلم أن شرك الأولين، أخف من شرك أهل زماننا بأمرين)، فشرك أهل زماننا أعظم وأكبر. وكون شرك أهل زماننا أغلظ وأكبر بهذين الأمرين، ليس دليلاً على أنه لا يتغلظ إلا بهذين الأمرين، بل يريد أنه تغلظ بهذين الأمرين:

(أحدهما: أن الأولين لا يشركون، ولا يدعون الملائكة، والأولياء، والأوثان مع الله، إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء) كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] وإنما كان هذا حال المشركين الأولين؟ لأنهم أصح عقولاً وأفهم في هذه الأمور؛ لعلمهم أنه لا ينجي في المضايق والكروب إلا الله، فيخلصون لله الدين، ولهذا لما سأل النبي ﷺ حصيناً: «كم إلهاً تعبد؟» قال: سبعة، ستة في الأرض، وواحد في السماء، قال: «فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك؟» قال: الذي في السماء.

(كما) ذكر الله عنهم (قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا﴾) يعني: ذهب عنكم من تدعون سواه (﴿فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾) عن إفراده بالعبادة واللجأ إليه (﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾).

(وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾) بلَّ إِلَٰهًا تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْمِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

هذه الآيات ونظائرها دالة على أنهم في الرخاء يشركون، وفي الشدة يخلصون. في الشدة لا يدعون إلا الله وحده لا شريك له.

وأما في زماننا فشرکهم في الحالتين جميعاً، بل إذا كانوا في الشدة نسوا الله بالكلية ولهجوا بمعبوداتهم من دون الله، - والعياذ بالله - . فأهل زماننا إذا ركبوا في البحر وتلاطمت عليهم الأمواج، لهجوا بمن يدعونه من دون الله؛ سواء كان من الأموات، أو غيرهم، هذا يقول: يا متبولي، يا عيدروس، يا بدوي، يا عبد القادر، يا علي، يا حسين، يا فلان، أين شرك هؤلاء من شرك الأولين؟ بين الشركين فرقٌ بعيد، بل مشركو زماننا زادوا في شركهم بفتون زادوها، وضروبٌ جدّوها.

هذا وصلوا وسلموا...

الخطبة الأولى (١)

٢٦

الحمد لله الذي خلق الإنسان من عدم، وأسبغ عليه وافر النعم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله المبعوث رحمة للناس أجمعين، أشرف المرسلين قولاً وفعلاً وصلة وبراً، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى. أيها المسلمون: قال المؤلف بعد أن ذكر الفرق بين شرك الأولين وشرك أهل هذا الزمان: (فَمَنْ فَهِمَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي وَضَّحَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ) حقيقة الفهم، وفهم عن الله ورسوله، وسلم من التعصب والهوى، وسلم من الجهل، (وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله - تعالى - ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم، تبيّن له الفرق بين شرك أهل زماننا، وشرك الأولين) يعني: أن شرك أهل زماننا أعظم وأكبر وأطم، وإنما ضلوا بتركهم القرآن، والإعراض عنه، والتفهم والتدبر.

(١) الخطبة العشرون من (كشف الشبهات): الفرق بين شرك الأولين وشرك الآخرين.

(ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً جيداً راسخاً؟!؛ لينجو من الجهل، ولا يُظن أن المراد أنهم قوم كانوا فبانوا. وفي الحقيقة إن كانوا وبانوا، فقد أعقبوا من هو شرُّ منهم بكثير (والله المستعان).

عباد الله: يقول الشيخ - رحمه الله -: إذا عرفت مما سبق أنه لا فرق بين شرك أهل الجاهلية الذي نزل فيه القرآن والذي قاتل رسول الله ﷺ أصحابه، وشرك هؤلاء المنتسبين إلى الإسلام من عباد القبور وأصحاب الطرق الصوفية المنحرفة ونحوهم، لا فرق بين شرك هؤلاء وهؤلاء إلا في الاسم حيث يسمونه الاعتقاد فقط، فاعلم أن شرك هؤلاء المتأخرين المنتسبين إلى الإسلام أشد وأغلظ من شرك المتقدمين من أهل الجاهلية من وجهين:

الأول: أن شرك الأولين إنما يحصل في حال الرخاء، وأما في حال الشدة فإنهم يتركون الشرك ويخلصون الدعاء لله لعلمهم أنه لا ينجي من الشدائد إلا الله - سبحانه -، كما ذكر الله عنهم وأما هؤلاء المشركون المنتسبون إلى الإسلام فشركهم دائم في الرخاء والشدة بل إن شركهم في الشدة يزيد على شركهم في الرخاء بحيث إذا وقعوا في خطر وشدة، ارتفعت أصواتهم بالشرك ودعاء غير الله.

هذا هو الوجه الأول من وجوه الفرق بين المشركين الأولين ومشركي زماننا.

(الأمر الثاني) - تقدم الأمر الأول الذي صار به المشركون الأولون أخفَّ شركاً من أهل زماننا -: (أن) المشركين (الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله؛ إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة)، أو صالحين، (أو يدعون أحجاراً، أو أشجاراً مطيعة لله وليست عاصية)، والكائنات كلها مطيعة لله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلُّهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]، (وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس)؛ وأما المشركون المتأخرون فيدعون فجرة الخلق وأشدهم كفراً وفسقاً ممن يزعمون لهم الكرامات وسقوط التكاليف عنهم من ملاحدة الصوفية الذين يستحلون المحرمات ويتركون الواجبات كالبدوي والحلاج وابن عربي وأضرابهم من أئمة الملاحدة، فيعبدونهم وهم يشاهدونهم يفعلون الفواحش ويتركون الفرائض ويزعمون أن هذا من كرامتهم وفضلهم حيث سقطت عنهم التكاليف. بل منهم من يدعو أناساً من أكفر الناس، بل بعضهم أكفر من اليهود والنصارى؛ كالذين يدعون إمام أهل وحدة الوجود ابن عربي؛ فإن عليه الآن قبة في الشام، (والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور، من الزنا، والسرقة، وترك الصلاة، وغير ذلك؛ والذي يعتقد في الصالح، أو الذي لا يعصي، مثل الخشب والحجر، أهون ممن يعتقد فيمن يُشاهدُ فسقه، وفساده،

ويُشهدُ به) فإنه معلوم أن من دعا مع الله غيره من أي شيء كان فهو كافر، وصارفٌ حقَّ ربِّ العالمين لغيره؛ وكون ذلك المصروف لنبى أو غيره، لا ينجيه من الشرك، ولكنه أهون من الثاني؛ فإنه عظم من لا يُعظم بوجه، وهو كالمعاند أيضاً. والنصوص الشرعية دلت على نقص هذا وأنه مردول ومهين، وهذا عاكس الشرع وجعله معظماً، فصار شركه أعظم، وإن كان الكل شرك وكفر وضلال.

فظهر الأمر بذلك، وأن شرك مشركي زماننا أعظم وأغلظ من شرك المشركين الأولين؛ لكن الأولين عندهم شبهة أهل الجاهلية، وهو أنه مُعظم في الجملة. والذي يدعو فاسقاً أو كافراً، تطلب ممن كان ممقوتاً مذموماً في الشرع ويعبده، فكان معانداً للشرع، فاستويًا في أن الكل شرك، وافتراقاً فيمن هو معظم في الجملة. والثاني عظم من ليس معظماً بحال فصار أعظم شركاً؛ فإن الأولين لو عظموهم بغير الشرك لكان سائغاً، والفاسق ونحوه لو عظم بدون عبادة له، لكان المعظم له عاصياً، إذا كان معبوده تقام عليه الحدود، أو فاسقاً.

ثم نبه المؤلف - رحمه الله تعالى - إلى نوعية القوم حتى يستعد لهم بالحجة والبيان فقال: (إذا تحققت) مما تقدم (أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً، وأخف شركاً من هؤلاء) يعني: من شرك مشركي زماننا،

(فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا) يدلي بها بعض من في زمن المؤلف، من كون ما عليه مشركو زماننا من الشرك كشرك الأولين؟ بل يقولون: إنكم ما اقتصرتم على أن جعلتمونا مثلهم بل زدتم. يريد صاحبُ هذه الشبهة مما اعترض به من الفروق، نفي ما قرره المؤلف في هذه الترجمة، (وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها).

(وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن، لا يشهدون أن لا إله إلا الله) يعني: لا ينطقون بالشهادتين، (ويكذبون الرسول ﷺ)، ويمتنعون عن طاعته، (وينكرون البعث)، ولا يصدقون به، (ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً)، ولا يصلون ولا يصومون، (ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟) فكيف تسوون من يقر بهذه الأمور العظيمة وبين من يجهلها؟ يعني: وأنكم سويتم بين المتفارقين وجمعتم بين المختلفين؟ بل ما اقتصرتم، بل جعلتمونا أعظم جهلاً وضلالاً منهم. ويأتيك جواب المؤلف لهم، وأن هذه الفروق غير مؤثرة بالكتاب والسنة والإجماع؟ بل هذه الفروق مما يتغلظ كفرهم بها؛ فإن الكافر الأصلي الذي ما أقر بشيء من ذلك، أهون كفرًا ممن أقر بالحق وجحدته، ولذلك المرتد أعظم كفرًا من الكافر الأصلي في أحكامه.

(فالجواب) الأول عما اعترضوا به من هذه الفروق التي زعموا أنها تؤثر؛ أن الفروق منقسمة إلى قسمين: فرق يؤثر، وفرق لا يؤثر. فإنه إجماع أن هذه الفروق لا تؤثر (أن لا خلاف بين العلماء كلهم، أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء، أنه كافر لم يدخل في الإسلام) بالإجماع، يعني: أنه ليس بمسلم ولا عنده من الإسلام شعرة؛ فإذا كذبه في واحد وصدقه في الألف، من الصلاة والصدقة ونحو ذلك، فهو قاضٍ على تلك الألف، فإذا كان من صدقه في شيء وكذبه في شيء فهو كافر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۗ﴾ ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥٢].

قال ابن حزم: «اتفقوا على أن من لم يؤمن بالله - تعالى - وبرسوله، وبكل ما أتى به - عليه السلام - مما نقل عنه الكافة، أو شك في التوحيد أو في النبوة، أو في محمد، أو في حرف مما أتى به - عليه السلام - أو في الشريعة التي أتى بها عليه مما ذكرناه، أو شك في شيء منها ومات على ذلك، فإنه كافر مشرك مخلد في النار أبداً» فكيف بالتوحيد الذي

هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ؟! عمد إلى زبدة الرسالة، وجعل لفاطر الأرض والسماوات شريكاً في العبادة فصرف له الدعاء الذي هو مخ العبادة وخالصها، إما أن يدعو غيره وحده أو يجعله شريكاً له.

فإذا كانت تلك الفروق لا تؤثر فكيف بالتوحيد؟ لكن - والعياذ بالله - طمس على قلوبهم الشرك وامتزجت به؛ فإن أهل هذه الشبهة من أهل الجهالات والضلالات؛ فإن صاحب النظر المنصف إذا نظر في أهل هذه الشبه، لقيهم مفاليس من العلم بالمرّة. كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة، وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ ﴿الكهف: ١٠﴾.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

ثم قال المؤلف - رحمه الله تعالى - في بقيه الردود: (وكذلك إذا آمن بالقرآن وجحد بعضه) ولو حرفاً واحداً، أنكره وجحده، أو جحد شيئاً مما ثبت عن النبي ﷺ، فهو كفر ظاهر؛ أي كفر فوق كفر تكذيب الله ورسوله؟!!

(كمن أقر بالتوحيد) لفظاً ومعنى، (وجحد) فرعاً من فروع الشريعة معلوماً أن الرسول جاء به، كـ (وجوب الصلاة)، الذي يجحد الصلوات الخمس كافر بالإجماع، ولو أنه يفعلها وجاء بالتوحيد. (أو أقر بالتوحيد والصلاة، وجحد وجوب الزكاة) ولو كان يؤديها، فهو كافر بإجماع الأمة. (أو أقر بهذا كله وجحد الصوم) ولو أنه يفعله، فإنه كافر بإجماع الأمة.

لتكذيبه الله ورسوله. (أو أقر بهذا كله وجحد الحج) إلى البيت، وإن كان يحج، فهو كافر بالإجماع لتكذيبه الله ورسوله وردّه إجماع الأمة.

(ولما لم يَنقُد أناس في زمن النبي ﷺ للحج) إلى البيت (أنزل الله في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾)، يعني: واجبٌ لله على المستطيع من الناس أن يحج ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ يعني: ترك ذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْ أَلْعَلَمِينَ﴾) فدل على أن ترك ذلك كفر؛ فمن جحد ذلك فقد كفر؛ فدل على فرضية حج البيت؛ فدل على أن الذي لا يعتقد ذلك كافر وهذا بخلاف العاجز.

وكذلك منع الزكاة بُخلاً بخلاف الجاحد. فأما ترك الصلاة تهاوناً فاختيار الإمام أحمد، وحكى إسحاق بن راهويه كفره بالإجماع.

(ومن أقر بهذا كله وجحد البعث) أي: جحد بعث هذه الأجسام بعد بلائها وإعادة أرواحها إليها يوم القيامة، (كفر بالإجماع) بإجماع أهل العلم، (وحل دمه وماله) ولم ينفعه الإقرار بما أقر به، (كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾) أولئك هم الكافرون حقاً، فصرح الله - تعالى - في هذه الآية أنه الكافر حقاً.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِيَّ إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ إِنَّهُ مَنِ يُشْرِكْ بِاللَّهِ

فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

فدل على أنه لا يشترط أن لا يكون كفراً إلا إذا كفر بجميع ذلك كله؛ بل هذا كفر نوعي؛ فإن الكفر كفران: كفر كلي، وكفر نوعي. ولا فرق بينهما؛ مَنْ كفر ببعض، فكَمَنْ كفر بالكل لا فرق.

(فإذا كان الله قد صرح في كتابه، أن مَنْ آمن ببعض وكفر ببعض، فهو الكافر حقاً، زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء - في كتابه الذي أرسله إلينا -) وبهذا ظهر واتضح أنه يوجد فروق ولكن لا تؤثر؛ فإن الردة ردتان:

الأولى: ردة مطلقة: وهي الرجوع عما جاء به الرسول جملة.
والثاني: أن يكفر ببعض ما جاء به؛ فإنه إجماعٌ بين أهل العلم أن الذي يرتد عن بعض الدين كافر؛ بل يرون أن الاعتقاد الواحد والكلمة الواحدة، قد تخرج صاحبها عن جملة الدين.

وبهذا انكشفت الشبهة، وعُرف أن التفريق بالفروق التي ذُكرت، من الفروق التي هي غير مؤثرة.
هذا وصلوا...

الخطبة الأولى (١)

٢٧

الحمد لله الذي رفع راية التوحيد، ونصر عباده الموحدين، أشهد ألا إله إلا هو رب الأولين والآخرين، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله؛ أرسله كافة إلى الناس أجمعين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا - عباد الله -: اتقوا ربكم، فإن تقواه خير عاصم من القواصم، وخير مانع من المصارع والقوامع: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أيها المسلمون:

خلق الله العباد على الحنيفة السمحة، وجبلهم على الفطرة النقية والشيطان عدو الإنسان يقعد لهم الصراط المستقيم، ويأتيهم من كل جهة وسبيل، حتى اجتال من شاء الله منهم، فكبت عقولهم وأصابها لوثات وعلل؛ ولا يزال المؤلف - رحمه الله تعالى - في كتابه (كشف الشبهات) يرد شبهه من صدق ببعض ما أمر به الله - عز وجل -، وكفر

(١) الخطبة الحادية والعشرون من (كشف الشبهات): الجواب الثاني لشبهه من آمن ببعض وكفر ببعض.

ببعض . (ويقال أيضاً) - هذا جواب ثانٍ للشبهة السابقة - وتفصيلاً للجملية السالفة: (إذا كنت تُقرُّ) هذا (أن من صدَّق الرسول في كل شيء، وجد وجوب الصلاة، فهو كافرٌ حلالُ الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد صوم رمضان وصدق بذلك كله، لا يَجْحَدُ) الخصم (هذا) أي؛ لا ينكر ما قرَّر من وجوب هذه المذكورات ولا يستقيم الإسلام، بل ينتقل الإسلام كله ويزول من أساسه، إذا جحد واحداً منها. (ولا تختلف المذاهب فيه) لا تختلف المذاهب في أن جحد وجوب واحدٍ منها كافٍ في انتكاس العبد، وأنه كافر بالإجماع (وقد نطق به القرآن كما قدمنا)، أن من آمن ببعض وكفر ببعض، فهو الكافر حقاً.

(فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظم (من) فريضة (الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج)، وتصديقه بكل ما جاء به الرسول ﷺ لا ينفعه ولا يجدي عليه.

(فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور، كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟!) فإذا كان هذا فيمن جحد واحداً من أركان الإسلام، فكيف بمن جحد التوحيد الذي هو أساس الملة والدين؟ فإنه أعظم، فلا ينفعه تصديقه بكل ما جاء به الرسول ﷺ حيث جحد الأصل.

إذا صار جحدُ فرعٍ من فروع الدين كفراً، فكيف بجحد الأصل

وهو التوحيد؟! فلو قدر - وهو لا يكون - أن هذه الفروع كلها - من الصلاة وما بعدها - ليست معصية ولا عزيمة، لكان جحد التوحيد كفراً برأسه. فكيف وهو الأصل؟ فإن هذا الجهل بمكان لا يجحد هذا الخصم أنه يُخرج من الإسلام بمفرده. والكفر بالله لا يتبعض فمن كفر بالوهيته فقد كفر به.

عباد الله: يجعلون من يهدم أساس الدين صباحاً ومساءً أنه مسلم لكونه يدعي الإسلام، والذي يجحد وجوب الزكاة ولو كان يؤديها كافر بالإجماع! (سبحان الله، ما أعجب هذا الجهل!) فإن جهل هؤلاء من أعجب الجهل، كون الواحد منهم يُقرُّ أن جحد الصلاة كفر بالإجماع، أو جحد غيرها من أركان الإسلام كفر، وجحد التوحيد ليس بكفر! فلو قدر أنها لا تكفر - وهو لا يُقدر - فجحد التوحيد وحده يُكفر.

والدليل: أن الأصل لا يزول بزوال الفرع، بخلاف الفرع فإنه يزول بزوال أصله، كالحائط والشجرة إذا زال أصله، زال فرعه.

فالحاصل: أنه لو قدر أن التوحيد بعض المذكورات، لكان جحده كفراً، فكيف وهو أساس ذلك كله؟! بل التوحيد قد يكفي وحده في إسلام العبد ودخوله الجنة؟ فإنه إذا تكلم بكلمة التوحيد، ثم توفي قبل وجوب شيء من الفروع عليه، كفى التوحيد وحده؟ فالتوحيد ليس فقيراً إليها، بل هي الفقيرة إليه في صحتها. فلا أعجب ولا أقبح ولا أعظم ممن جهل هذا، فإذا كان مقراً أن من جحد شيئاً من هذه الفروع فهو كافر،

- وهو لا يجحد هذا -، وإذا جحد التوحيد - الذي هو الأصل وما بعده فرع عنه - لا يكفر، فلا أعجب من جهل من جهل هذا.
 (ويقال أيضاً) - هذا جواب ثالث - وصلة لما سبق تقريره من كشف شبهة أدلى بها الأكثرون، وهي أن المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله يصلي ويزكي ويصوم رمضان ويحج بيت الله الحرام كيف يجعل مثل من عبد اللات والعزى والأصنام، ويكفر ويخرج من دين الإسلام ويقاتل إلى آخر ذلك.

فأجاب المؤلف - رحمه الله - بما أجاب به في أول الكلام، ثم واصل أيضاً الأوجه التي بها يُجاب عن هذه الشبهة فقال: (هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ) كفروا وقاتلوا بني حنيفة، ورأوا أنه من أفضل قتال أهل الردة، واستحلوا دماءهم، وسبوا ذراريهم، وهم يدعون الإسلام (وقد أسلموا مع النبي ﷺ) عندما فتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت وقدمت إليه وفود العرب من كل وجه ومن بينهم وفد بني حنيفة. (وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويؤذنون ويصلون).

ولم يرتدوا بجحد الشهادتين وترك قولهما، ولا الصلاة، ولا غير ذلك، بل دانوا بما دان به غيرهم من جزيرة العرب وهم إنما رفعوا رجلاً إلى مرتبة النبي ﷺ، فكيف بمن رفع مخلوقاً إلى مرتبة جبار السموات والأرض أفلا يكون أحق بالكفر ممن رفع مخلوقاً إلى منزلة

مخلوق آخر. ولكن كما قال الله تعالى ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].

ثم افترض المؤلف - رحمه الله تعالى - هذا الإشكال الذي قد يجابه به الموحد أثناء جداله مع الشرك ليكون على بينه من أمره فأصبحوا بذلك كفاراً. (فإن قال) المشبه: (إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي) يعني: كفروهم لقولهم: مسيلمة نبي.

(قلنا): نعم، (هذا هو المطلوب) لأن كفر هؤلاء دون ما يكفر به غيرهم من عبدة القبور والأوثان والصالحين، هذا هو مطلوبنا، فهؤلاء ما صدر منهم إلا أنهم قالوا: إنه نبي، فجنوا على الرسالة وصار مبطلاً توحيدهم ودينهم، (إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة)، ولا الصيام، ولا الأذان؛ وأنت تقر بهذا - وهذه جريمة: رفع مخلوق إلى رتبة مخلوق -، (فكيف بمن) جنى على الألوهية فرفع مخلوقاً إلى رتبة خالق؟ فالعلماء كفروا من جنى على الرسالة فكيف بمن جنى على الألوهية؟

فالذي يعبد مع الله غيره قد جنى، بل لا أعظم من جنايته (رفع شمسان، أو يوسف، أو صحابياً، أو نبياً، في رتبة جبار السموات والأرض) يعني: هذا أولى بالكفر والضلال، لأنه صرف للمخلوق

من أنواع العبادة ما لا يستحقه إلا الخالق. وهذا من قياس الأولى، يعني: إذا كان جنس ما احتجوا به كفر، فبطريق الأولى هذا. فهذا رد عليهم من نفس ما احتجوا به، وإلا فالأدلة في ذلك معلومة وشمسان وتاج، ناس معروفون، وأبو حديدة في نجد وغير نجد، وغيرهم من مسميات عديدة تعبد من دون الله. أما تأريخ وجودهم فهو قريب من عصر إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -.

(سبحان الله، ما أعظم شأنه) إن شأن الله عظيم، ولكن لجهل هؤلاء بعظمة الرحمن حصل منهم ما حصل، وعلى قدر معرفة العبد لربه تعظيمه له أشد، وخوفه منه أزيد.

(﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾) كهذا الطبع على قلب هذا الجاهل، كيف يتصور أن من رفع رجلاً إلى رتبة رجل فهو كافر، وإذا رفع رجلاً في رتبة جبار السموات والأرض لا يكفر؟! بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية (١)

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
عباد الله:

(ويقال أيضاً) - هذا جوابٌ رابع للشبهة السابقة في قوله: «إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله..» الخ -.

قال المؤلف رحمه الله: (الذين حرقهم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بالنار) وهم من الشيعة الغالية من أصحاب علي، زادوا في محبته وتعدوا الحد، وذلك بدسياسة ناس من أصحابه منافقين، دسوها ليفسدوا على الناس دينهم، - أتباع عبد الله بن سبأ؛ ادعى الإسلام وأراد أن يفتك بأهل الإسلام ويُدخلهم في الشرك - تعدوا الحد في محبة علي وتعظيمه، حتى ادعوا فيه الإلهية.

(كلهم يدعون الإسلام) ويعملون أعمال الإسلام، (وهم من أصحاب علي - رضي الله عنه -، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن) ظهرت منهم المقالة الردية (اعتقدوا في علي) الاعتقاد الباطل؛ اعتقدوا فيه السر - يعني: الألوهية - (مثل الاعتقاد في يوسف، وشمسان،

(١) إجماع الصحابة على تكفير وقتل من اعتقد في علي الألوهية مع دعواهم الإسلام.

وأمثالهما) كعبد القادر، والعيدروس؛ كاعتقاد أهل زماننا في غيرهم. فلما رأى ذلك منهم عليُّ - رضي الله عنه - خَدَّ لهم أخايدَ عند باب كِنْدَةَ، وأضرم فيها النيران، وقذفهم فيها واحد واحدا، ورماهم فيها من أجل مقاتلتهم فيه، وقال:

لما رأيتُ الأمرَ أمراً منكراً

أججت ناري ودعوتُ قُنْبُرًا

فهذا الأمر من علي - رضي الله عنه - وافقه عليه جميع الصحابة، ورأوا أنهم مرتدون وأن قتلهم حق، وابن عباس كغيره في ذلك إلا أنه قال: «لو قتلهم بالسيف. وقال: لا يعذب بالنار إلا ربُّ النار». وعلي - رضي الله عنه - فعله مزيدُ اجتهادٍ منه؛ رأى تحريقهم لغلظ كفرهم، كما حرَّق أبو بكر بعض المرتدين.

(فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟! أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أتظنون أن الاعتقاد في تاجٍ وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يُكفِّر؟).

فحينئذٍ إذا تحققت وعلمت أن هذا صدر من علي على وقت الصحابة، فيلزم أهل هذه الشبهة أحد ثلاثة أمور:

إما أن يقولوا: إن الصحابة غلطوا وأخطؤوا وكفروا المسلمين، وقتلوا من لا يستحق الكفر والقتل وهم على ضلالة. وهم لا يقولون ذلك لوضوحه

في السير والتاريخ. وإن قالوه في الصحابة فهو كافٍ في الرد عليهم؛ لأنهم صاروا من الخوارج الذين يكفرون الصحابة ويسبونهم، أو يقولون: حاشاهم من تكفير المسلمين، ومن قصد ظلمهم، أو الاجتماع على غلط.

وإما أن يقولوا: إن الاعتقاد في تاج وأمثاله، والتوسل بالصالحين وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات، لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر، وهم لا يقولون ذلك، فإن قالوا: إنه لا يكفر، كفى أنه كفر وشرك، وظهر عظيم جهلهم لفضل علي عليه السلام هؤلاء بما لا نسبة فيه. فلو كان مسامحة في دعوة غير الله، أو يكون أسهل لكانت دعوة علي.

فحينئذ يلزم الأمر الثالث، وهو أن يذعنوا ويسلموا أن من تعلق على غير الله بأي نوع من أنواع العبادة، فهو كافر خارج من الملة مرتد، أغلظ كفرًا ممن ليس معه هذه الأعمال، وأن إقراره بالشهادتين والصلاة والزكاة ونحو ذلك، فرق غير مؤثر وغير نافع، فظهر بذلك أنهم ضلّال في تشبيههم وترويجهم؛ فإن الغالية في علي - رضي الله عنه - ما اعتقدوا فيه إلا مثل الاعتقاد في تاج وأمثاله من هذه الأصنام، وإن قالوا: ليس من الغلو، ففي أول الكتاب ما يبين أنه من الغلو بعبادة المخلوق مع الله.

هذا وصلوا...

الخطبة الأولى (١)

٢٨

الحمد لله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون،
أحمده - سبحانه - وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، له الحمد في الأولى
والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك
له، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، حمى حمى التوحيد، وسدَّ
كل طريق يوصل إلى الشرك، فأظهر الله به دينه على الدين كله ولو كره
المشركون، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

إن إسلام الوجه لله وإفراده بالعبادة يرتقي بالمؤمن في خلقه وتفكيره،
ينقذه من زيغ القلوب، وانحراف الأهواء، وظلمات الجهل، وأوهام
الخرافة، ينقذه من المحتالين والدجالين، وأحبار السوء ورهبانه ممن
يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً.

عباد الله:

توحيد الله هو العبودية التامة له وحده - سبحانه - تحقيقاً لكلمة الحق: لا
إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ: في لفظها، ومعناها، والعمل بمقتضاها، يقيم
المسلم عليه حياته كلها، صلاته، ونسكه، ومحياه، ومماته.

(١) الخطبة الثانية والعشرون من (كشف الشبهات): إجماع العلماء على كفر بني عبید مع
إظهارهم الإسلام؛ لفعالهم ما يناقضه.

توحيد في الاعتقاد، وتوحيد في العبادة، وتوحيد في التشريع، توحيد تُنقى به القلوب والضمائر من الاعتقاد في ألوهية أحد غير الله، وتنقى به الجوارح والشعائر من أن تصرف لأحد غير الله، وتنقى به الأحكام والشرائع من أن تتلقاها من أحد دون الله - عز وجل -.

عبداً لله: ولا يزال المؤلف - رحمه الله تعالى - يرد على من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض. وذلك بذكر جواب خامس للشبهة السابقة.

(ويقال أيضاً): (بنو عبيد القداح) الذين ادَّعوا أنهم فاطميون، وقد ظهروا على رأس المائة الثالثة وساعدهم على ذلك من ساعدهم - وهم أديعاء ليسوا بفاطميين - أبوهم وقصة تزوجه المرأة وتاريخهم معروف. وهؤلاء بنو عبيد القداح، ما زالت علماء الأمة المأمونون علماءً وديناً يقدحون في نسبهم ودينهم، ويذكرون أنهم من أولاد المجوس أو اليهود. (الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس)، وطالت لهم يدٌ أيضاً على الحرمين؛ ملوكهم يُسمون الحاكمين؛ الحاكم فلان والحاكم فلان، (كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويدعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة)، وينصبون القضاة والمفتين، (فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه) كاستحلال بعض المحرمات، مثل تجويزهم الجمع بين الأختين، (أجمع العلماء) في وقتهم (على كفرهم وقتالهم)، واستنفذوا ما بأيديهم؛ ولا جعلوا الشهادتين

والصلاة والزكاة والجمعة والجماعة، فرقاً مؤثراً، بل رأوه لاغياً، وذلك أنه وُجدُ مكفراً فلم ينفعهم ما هم فيه.

(و) أجمعوا في وقتهم على (أن بلادهم بلاد حرب)، وأن جهادهم أفضل الجهاد، (وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين) وصنف ابن الجوزي كتاباً سماه: «النصر على مصر».

ولا فرق بين من يكون كفره عناداً أو جهلاً؛ الكفر منه عناد ومنه جهل. وليس من شرط قيام الحجة على الكافر أن يفهمها، بل من أقيمت عليه الحجة، مثل ما يفهمها مثله، فهو كافر، سواء فهمها أو لم يفهمها، ولو كان فهمها شرطاً لما كان الكفر إلا قسماً واحداً وهو كفر الجحود؛ بل الكفر أنواع، منها الجهل وغيره. والمقصود: أن العلماء أجمعوا على قتالهم وكفرهم، والأمة لا تجتمع على ضلالة.

وبذلك عرفت انكشاف هذه الشبهة؛ وهو أن النطق بالشهادتين لا يكفي مع ما انضم إليه من فعل الطاعات إذا وجد أحد المكفّرات.

(ويقال أيضاً) - هذا جواب سادس على الشبهة السابقة -: (إذا كان الأولون لم يكفروا، إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن) يعني: وتكذيبه، (وانكار البعث، وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب) من المذاهب الأربعة وغيرها (باب حكم المرتد)، وعرفوه بتعاريف (وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه)، فهذا المذكور

في هذا الباب إجماعٌ منهم أنه يخرج من الملة، ولو معه الشهادتان، لأجل اعتقاد واحد، أو عمل واحد، أو قول واحد، يكفي بإجماع أهل العلم لا يختلفون فيه، وأنه ليس المرتد الذي يخرج عن الإسلام بالمرة، بل هو قسم، والقسم الآخر هو ما تقدم.

قال ابن قدامة: «المرتد هو الراجع عن دين الإسلام إلى دين الكفر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧] وقال ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» [رواه البخاري].

(ثم ذكروا) أي: العلماء. (أنواعاً كثيرة)، ومثلوا له أمثلة، (كلُّ نوع منها يكفر، ويحلُّ دم الرجل وماله) وقالوا: من قال كذا، أو اعتقد كذا، فهو كافر، وأنه لا ينفعه جميع ما عمل به، (حتى انهم ذكروا أشياء يسيرة عند مَنْ فعلها، مثل كلمة يقولها بلسانه دون قلبه) كما جاء في الحديث الصحيح: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق» [رواه البخاري] (أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب)، حتى إن بعض أهل المذاهب يكفرون من صغر اسم المسجد، أو المصحف. وما ذكروه وعرفوه هو في الجملة. يُوجد أشياء يكون بها الإنسان مرتداً ولو نطق بالشهادتين وصلى، بل ولو أضاف إلى ذلك ترك المحرمات، وأتى بمكفر هدم جميع ما معه من الإسلام؟ فإن وجود المكفرات التي يصير بها الرجل مرتداً كثيرة لا تحصر.

والواحد من أسباب الردة، كونه تجعل له واحداً من حق رب العالمين كافٍ في كفره، وكونه اتخذه إلهاً ولو ليس من كل وجه، بل يكفي كونه جعله يصلح لحق رب العالمين؛ فليس من شرط المرتد أن يجمع بين أطراف الردة، أو يجمع الشريكات، أو أن رب العالمين ومعبوده واحد في جميع ما يستحق.

وبهذا تنكشف شبهته؛ وهو أنه ولو نطق بالشهادتين وصلى وصام، فإنه يصير به مرتداً، ويصير أسوأ حالاً ممن لم يكن معه أصل الإسلام عند جميع العلماء.

والصحيح من قول العلماء: أن كفار هذه الأزمان مرتدون؛ فكونهم ينطقون بلا إله إلا الله صباحاً ومساءً، وينقضونها صباحاً ومساءً، فلا إله إلا الله يدخل بها في الإسلام في الجملة.

والقول الثاني: أنهم كفار أصليون؛ فإنهم لم يوحدوا في يوم من الأيام حتى يُحكم بإسلامهم.

(ويقال أيضاً) - هذا جواب سابع عن شبهتهم السابقة والأجوبة السابقة ظاهرة لك في كشف تلك الشبهة - : (الذين قال الله فيهم: ﴿تَخَلَّفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾، أما سمعت الله كفرهم

بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ، ويجاهدون معه، ويصلون معه، ويزكون، ويحجون، ويوحدون؟) وينطقون بالشهادتين، ويدينون دين المسلمين في الظاهر، ويجاهدون ويوحدون؛ ويؤدون العبادات؛ فكيف بمن جعل الأنداد معاذه وملاذه وملجأه في الرغبات، كما هو الواقع من القبوريين - والعياذ بالله -، فلسانه يقول: لا إله إلا الله، وعمله يقول: لا إله إلا فلان. (وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿﴾). (فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، (قالوا: كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح).

فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفرون من المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها؛ فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.

وهؤلاء الذين مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، (قالوا: كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح) كفروا بسبب كلمة واحدة، وهم يعملون الأعمال الشرعية، ويعملون أعمال المسلمين، فصاروا بها كفاراً بعد إيمانهم؛ لما صدر منهم شيء واحد صاروا كفاراً مرتدين. فبهذا تنكشف شبهة المشبهه بهذه الشبهة.

(فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفرون من المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله، ويصلون، ويصومون، ثم تأمل جوابها)، يعني: ما ذكره المؤلف عليها من الأجوبة (فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق)، أي؛ فإنه من أنفع ما ذكره المؤلف في هذا الكتاب؛ وذلك لأنها شبهة قد تروج على من لا يعرف ولا يفهم، فيظن أن ما ذكره المشبه فروقاً مؤثرة؛ وبما ذكره المؤلف - رحمه الله - يتبين لك أنها فروق غير مؤثرة، فإن أهل العلم مجمعون على أن هذه فروق لا تؤثر.

بارك الله لي ولكم..

الخطبة الثانية

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، أحاط بكل شيء علماً، وهو على كل شيء شهيد، علا بذاته، وقهر بقدرته، وهو أقرب إلى عبده من حبل الوريد، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أذخرها ليوم يشيب لهوله الوليد، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، بشر وأنذر، وحذر يوم الوعيد، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن معنى (لا إله إلا الله): «اعلم رحمك الله أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم - عليه السلام - كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون.

وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصلون ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض من خالفها ومعاداته، كما قال النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً» وفي رواية «خالصاً» وفي الحديث آخر «من قال لا إله إلا الله

وكفر بما يعبد من دون الله» إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة، فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات، نفي الإلهية عما سوى - تعالى - من المخلوقات، حتى محمد ﷺ وجبرائيل، فضلاً عن غيرهم من الأولياء الصالحين..».

وشروط لا إله إلا الله ثمانية:

الأولى: العلم بمعناها المنافي للجهل.

الثاني: اليقين المنافي للشك، فلا بد في حق قائلها أن يكون على يقين بأن الله - سبحانه - هو المعبود بحق.

الثالثة: الإخلاص، وذلك بأن يخلص العبد لربه - سبحانه - في جميع العبادات، فلا يصرف شيء من العبادات لغيره.

الرابعة: الصدق ومعناه: أن يقولها وهو صادق بحيث يطابق قلبه لسانه، ولسانه قلبه، فإن قالها باللسان فقط بدون إيمان القلب فهو من المنافقين الذي يظهرون ويبطنون الكفر.

الخامسة: المحبة، ومعناها: أن يحب الله - عز وجل -، فإن قالها بدون محبة، فهو أيضاً منافق، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

السادسة: الانقياد لما دلت عليه من معنى بحيث يعبد الله وحده وينقاد لشريعته، فلا يكون مستكبراً عن العبادة كما استكبر إبليس عن طاعة الله.

السابعة: القبول لما دلت عليه من إخلاص العبادة لله، وترك عبادة من سواه راضياً بذلك.

الثامنة: الكفر بما يعبد من دون الله. أي؛ يتبرأ من عبادة غير الله، ويعتقد أنها عبدة بالباطل، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].
هذا وصلوا...



الخطبة الأولى (١)

٢٩

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، أرسله للناس بشير ونذيراً، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.

أيها المسلمون:

إن نعم الله عظيمة، وآلاءه جسيمة، وأعظم النعم قدراً وأجلها منزلة نعمة الإسلام، التي من الله بها علينا وخصنا بها فله الحمد والشكر.

عباد الله:

ما زال الشيخ - رحمه الله - يواصل الرد على شبهات المشبهين في مسألة الشرك والتوحيد، فانتهى إلى هذه الشبهة العظيمة التي هي من أعظم شبههم وأخطرها؛ ألا وهي قولهم إن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وصلى وصام وحج وأدى الأعمال، فإنه لا يكفر ولو

(١) الخطبة الثالثة والعشرون من (كشف الشبهات): شبهة من أدى بعض واجبات الدين لا يكون كافراً ولو أتى بما ينافي التوحيد.

فعل ما فعل من أنواع الردة. أما الذين نزل فيهم القرآن وهم المشركون الأولون فإنهم ليسوا مثل هؤلاء، فهم لم يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولم يدخلوا في الإسلام فهم لا يؤمنون بالله ولا بالرسول ولا بالإسلام ولا بالقرآن، أما هؤلاء فأظهروا الإيمان بالبعث ويصلون ويصومون ويحجون ويزكون ويذكرون الله كثيراً. فالشيخ - رحمه الله - عند هذه الشبهة خاصة قال: أصغ سمعك لجوابها فإنها من أعظم شبههم.

ثم رد الشيخ على هذه الشبهة من سبع وجوه مهمة:

الوجه الأول:

أنه من آمن ببعض الأحكام الشرعية وكفر ببعضها الآخر فهو كافر بالجميع. وهؤلاء أنكروا التوحيد الذي جاءت به الرسل وهو أفراد الله بالعبادة، فهؤلاء لم يفرّدوا الله بالعبادة وإنما أشركوا معه غيره من الأولياء والصالحين، فالإسلام لا يقبل التجزئة ولا التفرقة وأعظم الإسلام التوحيد وهو دعوة جميع الرسل، وهؤلاء جحدوا أعظم شيء وهو توحيد العبادة وقالوا لا بأس أن ينذر الإنسان لفلان ويذبح لفلان لأنه ولي، والولي ينفع ويضر مما هو مثل فعل المشركين الأولين.

الوجه الثاني:

ذكر الشيخ - رحمه الله - وقائع في التاريخ الإسلامي تدل على أن العلماء في كل زمان يكفرون من آمن ببعض وكفر ببعض. منها أن الصحابة ومن بعدهم قاتلوا الذين يتظاهرون بالشهادتين ويصلون ويصومون ويحجون لكن لما فعلوا شيئاً من الشرك أو جحدوا شيئاً من الدين قاتلوه واستحلوا دماءهم وأموالهم وذلك كما يلي:

أولاً: بنو حنيفة اعتقدوا أن مسيلمة رسول الله والذين جحدوا وجوب الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ.

وثانياً: في عهد علي - رضي الله عنه - كفروا الغلاة الذين قالوا إن علياً هو الله مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويصومون وهم في جند علي - رضي الله عنه -، لكن لما أظهروا الغلو حرقهم علي - رضي الله عنه - مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله ولكنه حرقهم لما اعتقدوا أن شخصاً له حق في الألوهية كفرهم وحرقهم بالنار.

ثالثاً: في عهد العباسيين ظهرت فرقة العبيديين، وهم طائفة الشيعة الإسماعيلية لأنهم ينتسبون إلى إسماعيل بن محمد بن جعفر، ولذلك سمو بالإسماعيلية وسموا الفاطمية لأنهم يزعمون أنهم من ذرية فاطمة ولذلك يقال لهم الفاطميون، وفي الحقيقة أنهم من اليهود أظهروا الإسلام ولكن ظهر منهم كفریات. وفي النهاية ادعى حكامهم الألوهية مثل الحاكم العبيدي.

فالصحابة قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصومون ويحجون لكن لما ادعوا أن مسيلمة نبي كفروهم لأن من اعتقد في شخص بعد محمد ﷺ أنه نبي فقد كفر وإن كان يصلي ويصوم ولذلك حكم المسلمون اليوم بكفر القاديانية الذين يدعون نبوة أحمد القادياني. فإذا كان من رفع رجلاً إلى مرتبة

النبي كفر؛ فكيف لا يكفر من رفع رجلاً إلى مرتبة رب العالمين
وصرف له أنواعاً من العبادة كالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة وغير
ذلك؟ وقول الشيخ كمن رفع تاجاً وشمسان ويوسف وهو ناس في
زمانه في الرياض غلا فيهم الناس بحجة أنهم أولياء ولهم شعوذات
وخوارق وهم على طريقة الحلاج وابن عربي.

الوجه الثالث:

أن العلماء - رحمهم الله - عدوا باباً في كتب الفقه سموه باب الردة
وذكروا فيه نواقض الإسلام وذكروا أشياء قد تكون صغيرة في أعين الناس
ولكن حكموا أن من فعلها أو اعتقدها يكفر مع أنه يصلي ويصوم ويعبد
الله، ولم يحصروا حصول الردة فيما ذكرتم.

الوجه الرابع:

أن الله حكم بكفر أناس لقولهم كلمة تكلموا بها أبطلت إسلامهم
وإيمانهم كما قال تعالى: ﴿تَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ
وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤] فكفرهم بكلمة مع كونهم مع رسول الله
يصلون ويجاهدون.

الوجه الخامس:

أن الله كفر أناساً بسبب كلام قالوه على وجه المزاح واللعب وأنزل
في شأنهم: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ

وَأَيَّتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٦﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿٦٧﴾
 [التوبة: ٦٥ - ٦٦] مع أنهم يصلون وقد غزوا مع الرسول ﷺ في غزوة تبوك
 لكن لما قالوا هذه الكلمة كفروا بعد إيمانهم ولم ينفعهم أنهم يصلون
 ويصومون ويجاهدون. فهذه الوجوه فيها إبطال هذه الشبهة وفي الحقيقة
 أنها من أعظم الشبه ولكن جوابها واضح والله الحمد.

الوجه السادس:

إن قولهم إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله
 ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً،
 ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونصدق القرآن، ونؤمن
 بالبعث ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك.

يجاب عنه أن الرجل إذا صدق الله في شيء وكذبه في شيء فهو
 كافر مرتد عن الإسلام، كمن آمن ببعض القرآن وجحد بعضه وكمن أقر
 بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو
 أقر بهذا كله وجحد الحج، وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً
 رسول الله.

الوجه السابع:

أن من جحد وجوب الحج كفر وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً
 رسول الله ويصلي ويصوم، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ

مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ إلى قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧] فدللت الآيات على أن من جحد وجوب الحج كفر وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله، فكيف بمن جحد التوحيد وأجاز عبادة القبور.

(ومن الدليل على ذلك أيضاً)، - هذا زيادة على الأجوبة السبعة السابقة في كشف شبهته، وهي قوله: «تكفرون من المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله..» الخ -: (ما حكى الله - تعالى - عن بني إسرائيل - مع إسلامهم وعلمهم وصلاتهم -) والمراد بعلمهم بالنسبة إلى غيرهم في زمنهم؛ يعني: أنهم أتباع موسى ويقتبسون من علمه ومما جاء به، ولا ينافي ذلك قوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ فإنه دالٌّ على أن صدور ذلك منهم عن جهل.

(أنهم قالوا لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴿﴾) كأنه أعجب من أعجبه منهم واستحسنوه، فقال موسى مُنْكَرًا عليهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

(وقول أناس من الصحابة) - لما مروا بقوم يعلقون أسلحتهم على شجرة ويسمونها بهذا الاسم -: (اجعل لنا ذات أنواط)، فأنكر عليهم النبي ﷺ وغلظ هذا الإنكار بأنواع التغليظ (فحلف رسول الله ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ الآيات.

ولفظه: عن أبي واقد الليثي - رضي الله عنه - قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حُدثاء عهد بكفر، وللمشركين سُدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسُدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، إنها السنن، قُتِم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٦٨﴾»، لتركبن سنن من كان قبلكم» رواه الترمذي وصححه.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. أما بعد:
فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى.
أيها المسلمون:

(ولكن للمشركين) عند كشف شبهتهم السابقة (شبهة يدلون بها عند هذه القصة) يشبهون ويمانعون في كون ذلك دليلاً، (وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: «اجعل لنا ذات أنواط» لم يكفروا)، قالوا: فلا يصلح احتجاجكم بالقصتين علينا، فإنكم احتجاجتم بقصتين على تكفيرنا وهم لم يكفروا بذلك.
(فالجواب أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا)، فعدم كفرهم لا من قصور أن يكون كفراً، (وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا) بل استحسنا شيئاً وطلبوه، (ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا)، لو عكفوا على القبور، وكذلك لو اتخذوا إلهاً لكفروا؟ هذا لا ينازع فيه أحد ولا ينفع اتباع الرسول والأعمال الأخر. فعدم كفرهم ليس من قصور العمل عن أن يصل إلى التكفير - يعني: أن وجه احتجاجنا هو بتقدير الفعل؛ لو صدر لكان كفراً، فكان احتجاجاً في محله - ولكنهم لم يفعلوه وإلا لو فعلوه لكان كفراً.

(وهذا هو المطلوب) فسلم لنا الاحتجاج بالقصتين عليكم. أي من الأدلة على أن من ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام يكفر ولو كان يشهد أن لا إله إلا الله ويصلي ويصوم إلى غير ذلك من الأعمال، ما قصه الله عن بني إسرائيل حين طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً كآلهة المشركين، وقصة الذين طلبوا من النبي محمد ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط، وأن النبيين الكريمين أنكروا ذلك واعتبراه شركاً يخرجهم من الملة لو فعلوه مع أنهم يؤمنون بالنبيين الكريمين ويجاهدون معهما.

ثم أورد المؤلف تنبيهاً لذلك بقوله: (ولكن هذه القصة) قصة بني إسرائيل، وقصة الذين سألوا النبي ﷺ (تفيد أن المسلم، بل العالم، قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها) هذا هي الفائدة الأولى: إذ كان السائل في القصة مع نبي وهو موسى وهم أوسع علماً منه، والسائل في القصة الثانية مع نبي وهم أعلم وأقدم فضيلة، استحسنا ذلك ظناً منهم أن الله يحبه، وأنه من العبادات التي يُتقرب بها إلى الله، فكيف بمن دونهم؟!

(فتفيد التعلم) وهذه هي الفائدة الثانية: تعلم أسباب النجاة، فإنه لا نجاة إلا بالعلم ومعرفة الضد والشر لغيره؛ يَعْرِفُ الشرك وأقسامه، ووسائله وذرائعه، ليسلم من الوقوع فيه كما قال تعالى: ﴿ وَتَبَلَّوْا بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال حذيفة - رضي الله عنه «كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني».

(والتحرُّز) وهذه هي الفائدة الثالثة: يعني: اتهام العمل أن يكون دخله شيء من الشرك؛ بل يجعل على باله هل أخلص قبل دخوله فيه، ونفقَد النفس ولحظاتك فيمن هي؟

وإذن جواب هذه الشبهة من وجوه:

أولاً: أنهم معذرون؛ لأنهم حدثاء عهد بكفر كما ورد في الحديث.

ثانياً: أنهم ما فعلوا ما قالوه. ولا شك أن هؤلاء لو اتخذوا ذات أنواط

بعد إنكار النبي ﷺ عليهم لكفروا.

ثالثاً: أنهم إنما طلبوا من النبي ﷺ مجرد مشابهة المشركين في تعليق

أسلحتهم على شجرة يتخذونها لذلك، ومما يشبه الكفار منهي عنها ولذا

أغلظ عليهم.

هذا وصلوا...



الخطبة الأولى (١)

٢٠

الحمد لله المتوحد بالعظمة والجلال، المتعالي عن الأشباه والأمثال،
أحمده - سبحانه - وأشكره، منّ علينا بوسع الفضل وجزيل النوال،
وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
ومصطفاه من خلقه، كتب الفلاح لمن اتبعه وسار على شرعه، ففاز في
الحال والمآل، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه خير صحب
وآل، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - أيها المؤمنون - فبتقوى الله تزكو الأعمال، وتنال الدرجات،
وارغبوا فيما عنده، فبيده الخير وهو على كل شيء قدير، اتبعوا ما أنزل
إليكم من ربكم، ولا تتبعوا من دونه أولياء.

أيها المسلمون:

ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - في الخطبة السابقة فائدة تعلم
التوحيد، وهنا ذكر الفائدة الرابعة من تعلم التوحيد فقال: (ومعرفة
أن قول الجاهل: التوحيد فهمناه، أن هذا من كبر الجهل ومكائد

(١) الخطبة الرابعة والعشرون من (كشف الشبهات): الفائدة من تعلم التوحيد وأنه أعظم فريضة.

الشیطان)، وهذه الكلمة قد صدرت من بعض الطلبة لما كثر التدريس في التوحيد - منته، أو كتب نحوه -، سئموا وأرادوا القراءة في كتب أخرى. فنقم المؤلف على هذا القول؛ فلا يزهّد في التوحيد، فإن بالزهد فيه يقع في ضده، وما هلك من هلك ممن يدعي الإسلام إلا بعدم إعطائه حقه ومعرفته حق المعرفة، وظنوا أنه يكفي الاسم والشهادتان، ولم ينظروا ما ينافيه وما ينافي كماله، هل هو موجود أو مفقود؟ وهذا كله من عدم التحرز ومعرفة ألفاظ التوحيد لفظة لفظة. من الذي عرف التوحيد كل المعرفة؟ أصله - والله الحمد - معروف، لكن له أقسامٌ وفروع وشعب، وضده الشرك له فروع.

قال ابن الجوزي: «اعلم أن أول تلبس إبليس على الناس: صدهم عن العلم؛ لأن العلم نور فإذا أطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلم كيف شاء». ومما يذكر عن المؤلف أنه يوماً قال: يُذكر البارحة أنه وُجد رجل على أمّه يجامعها، فاستعظم المحضّر ذلك وضجوا منه، رأوا أنه منكر كبير، - وهو كبير - . ثم قال مرة أخرى: إن واحداً أصيب بمرض شديد فقيل له: اذبح «دُبَيْكاً» تصغير كلمة «ديك». أي: اذبح ديكاً صغيراً. لفلان - وليّ - فلم يستعظموه.

ثم بين لهم أن الأول فاحشة يبقى معها التوحيد، والآخر ينافي التوحيد كله، وهذا لم تستعظموه مثل ذلك! وهذا هو الواقع من أكثر الناس، فإن

النفوس تستبشع أشياء أعظم من استبشاعها ما هو من ضد التوحيد. (وتفيد أيضاً) وهذه هي الفائدة الخامسة (أن المسلم المجتهد) أي المجتهد بفعله ليخرج غير المجتهد الذي لا يعذر. (إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري، فُنِبَّه على ذلك وتاب من ساعته أنه لا يكفر)، فإن من الأشياء ما قد يخفى ويكون مجتهداً، وبعد ما يُبَيَّن له يرجع (كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النبي ﷺ).

قال الشيخ ابن عثيمين: «تدل هذه القصة - قصة بنو إسرائيل - على أن المسلم إذا قال ما يقتضي الكفر جاهلاً بذلك، ثم نبه فانتبه وتاب في الحال، فإن ذلك لا يضره؛ لأنه معذور بجهله ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، أما لو استمر على ما عمله من الكفر فإنه يحكم بما تقتضيه حاله».

ثم ذكر المؤلف الفائدة السادسة بقوله: (وتفيد أيضاً: أنه لو لم يكفر) أي: هذا الذي تكلم بكلام كفر وهو لا يدري (فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل رسول الله ﷺ) في إنكاره على أولئك في قولهم: «اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط» كما تقدم.

فغلظ ﷺ الأمر بهذه الثلاث، وهي: قوله ﷺ «الله أكبر»، وقوله «إنها السنن»، وقوله «لتتبعن سنن من كان قبلكم».

وهذه القصة فيها فوائد:

الأولى: الحذر من الشرك وأنه قد يدب إلى المسلمين عن طريق التقليد والتشبه بالكفار ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ» ففي ذلك التحذير من مجازاة الكفار والتحذير من الفتن التي تنجم عن ذلك. ومن ذلك عبادة القبور التي أحدثوها وفتنوا بها وصاروا يدعون الناس إليها. والخليل - عليه الصلاة والسلام - الذي كسر الأصنام وأوذى وألقى في النار بسبب إنكار الشرك يقول: ﴿ وَأَجْنَبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ رَبِّ إِيَّاهُنَّ أَضَلَّلْنَا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿ إبراهيم: ٣٥-٣٦ ﴾ خاف على نفسه - عليه الصلاة والسلام - من الفتنة وخاف على ذريته من الفتنة. والفائدة الثانية: وهي فائدة عظيمة أن من نطق بكلمة الكفر عن جهل وهو لا يدري ثم نبه وتاب من ساعته فإنه لا يكفر بدليل قصة بني إسرائيل مع موسى - عليه السلام - وبعض الصحابة مع النبي ﷺ فهو لا يكفر بذلك لكن بهذين الشرطين:

الشرط الأول: أن يكون قال هذا الكلام عن جهل ولم يتعمد.

الشرط الثاني: أن يتوب من ساعته ويترك هذا الشيء إذا تبين

له أنه كفر.

فهذا لا يضره الكلام الذي قاله، وهذا جواب عن شبهتهم التي سبقت

وهي أنهم يقولون إن بني إسرائيل لم يكفروا وأصحاب محمد ﷺ لم

يكفروا بهذه الكلمة. نقول لهم إنهم لم يكفروا لأنهم قالوها عن جهل ونبهوا وتركوها وتابوا إلى الله - عز وجل -، أما أنتم فتنبهون بالليل والنهار وتصرون على دعاء القبور والصالحين ولا تصغون أسماعكم لما يقال لكم تكبراً وعناداً.

والفائدة الثالثة: تفيد هذه القصة أن من لم يكفر بكلمة الكفر إذا قالها جهلاً فإنه لا يتساهل معه بل يغلظ عليه في الإنكار كما غلظ موسى - عليه السلام - على قومه وكما غلظ محمد ﷺ على أصحابه الذين قالوا هذه المقالة من باب الزجر والتحذير لاجتناب ذلك والحذر منه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

أيها المؤمنون:

التوحيد أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه. نصبت عليه القبلة، وأسست عليه الملة، ووجبت به الذمة، وعصمت به الأنفس. والآجلة أعدت دار الثواب ودار العقاب، وأمرت الرسل بالجهاد. وإن أركى الكلام، وركن الإسلام، ومفتاح دار السلام لا إله إلا الله ما تعطرت الأفواه؛ وتحركت الشفاه؛ بأحسن منها وهي كلمة الله العليا: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

عباد الله:

من فضائل التوحيد ما ذكره ابن رجب: «أن التوحيد لا يقتسمه الغرماء بمظالمهم بل يبقى على صاحبه، وإنما يقتسمون أعمال الجوارح».

ومن فضائل التوحيد: أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم،
 وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف
 العلي.

قال ابن القيم: «التوحيد ملجأ الطالبين، ومفزع الهارين، ونجاة
 المكروبين، وغيث المهوفين، وحقيقته أفراد الرب بالمحبة والإجلال
 والتعظيم والذل والخضوع».

وقال - رحمه الله -: «أعظم أسباب شرح الصدور التوحيد، وعلى
 حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه».

قال سفيان بن عيينة - رحمه الله -: «ما أنعم الله على عباده نعمة أعظم
 من أن عرفهم لا إله إلا الله لا إله إلا الله؛ هي العروة الوثقى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي
 الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ
 بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

هذا وصلوا وسلموا...



الخطبة الأولى (١)

٢١

الحمد لله، شرح بفضله صدور أهل الإيمان بالهدى، وأضل من شاء بحكمته وعدله، فلن تجد له ولياً مرشداً، أحمده - سبحانه - وأشكره، وأتوب إليه واستغفره، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً فرداً صمداً، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، كرم أصلاً، وطاب محتداً، خصه ربه بالمقام المحمود وسماه محمداً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، هم النجوم بهم يهتدى، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتدى.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس - ونفسي - بتقوى الله - عز وجل -، اتقوا الله، وأصلحوا قلوبكم وسرائركم تسعدوا.

عباد الله: لا يزال المؤلف يذكر الشبه ويرد عليها. قال - رحمه الله تعالى -:
(ولهم شبهة أخرى: وهي أن من قال لا إله إلا الله لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل واستدلوا بأحاديث؛ (يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله، وقال: «أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله»، وكذلك قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»، وأحاديث أخر في الكف عن قاتها). منها: «أمرت أن أقاتل الناس حتى

(١) الخطبة الخامسة والعشرون من (كشف الشبهات): شبهة أن من قال لا إله إلا الله لا يقتل ولو فعل ما فعل.

يقولوا: لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، واستقبلوا قبلتنا، وأكلوا ذبيحتنا، وصلوا صلاتنا؛ حُرِّمَتْ علينا دماءهم وأموالهم إلا بحقها» [رواه البخاري].

(ومراد هؤلاء الجهلة) من إيراد هذه الأحاديث والتشبيه بها (أن من قال لا إله إلا الله لا يُكفر ولا يُقتل، ولو فعل ما فعل) يعني: أن النطق بها كافٍ في إسلام العبد. ومرادهم أنكم معشر الموحدين تكفرون من يشهد أن لا إله إلا الله.. الخ. وهذا من عظيم جهلهم وعمائيتهم؛ يرون أن الدين رسومٌ فقط، ما دَرَوْا أن لها أرواحاً ومعاني؛ لها معان هي المرادة، الألفاظ قوالبٌ جثة، والمعاني روح.

وهذه الأحاديث الصحيحة إذا رآها هذا الجاهل أو بعضها أو سمعها من غيره؛ طابت نفسه وقرت عينه، واستنقذه المساعد على ذلك، وليس الأمر كما يظنه هذا الجاهل المشرك، فلو أنه دعا غير الله أو ذبح له أو حلف به أو نذر له لم ير ذلك شركاً ولا محرماً ولا مكروهاً.

قال الشيخ عبد الله البسام: «كلمة التوحيد ليست عاصمة بلفظها، وإنما هي دليل العصمة، فيجب الثبوت مع من قالها، فإن حققها فهو المسلم المعصوم، ومن لم يحققها فمجرد لفظها لا يعصمه».

ويأتيك كشفها ومراد النبي ﷺ من هذه الأحاديث، وأنه لا كما ظنوا وزعموا.

(فيقال لهؤلاء المشركين الجهال) - في الجواب عن ذلك بجوابين

جواب مجمل، وجواب مفصل؛ والجواب المجمل يتضمن أمرين:

الأول قوله: (معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود) وغيرهم ممن قال

لا إله إلا الله لكونه أتى بما يناقضها ويضادها ولم تنفعه هذه الكلمة وقد

ذكر المؤلف على ذلك ثلاثة أمثلة وهم اليهود، وبنو حنيفة، والذي غلوا في علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في عدة مواطن، (وسباهم) أخذ نساءهم مماليك وعبيد، كالصنيع بسائر الكفار، (وهم يقولون: لا إله إلا الله) فلا منَع قول لا إله إلا الله من قتالهم وسيبهم.

فدل على أن مجرد قول لا إله إلا الله لا يمنع من التكفير، بل يقولها ناس كثير ويكونون كفاراً: إما لعدم العلم بها، أو العمل بها، أو وجود ما ينافيها. فلا بد مع النطق بها من أشياء آخر؟ أكبرها معرفة معناها والعمل به.

(وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون، ويدعون الإسلام) وهم مسيلمة الكذاب وأصحابه، وهؤلاء لم يختلف أصحاب رسول الله ﷺ في قتالهم بل أجمعوا على ذلك وقاتلوهم، وسبوا حريمهم وذراريهم، مع قولهم لا إله إلا الله.

(وكذلك الذين حرّقهم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بالنار) مع صلاتهم وادعائهم الإسلام، وهم من أصحاب علي - رضي الله عنه -، ولكن وقع منهم الغلو في علي وتجاوز الحد في تعظيمه، حتى ادعوا فيه الإلهية. فإنه ليس المراد اللفظ، بل اللفظ وإقراراً وعمل. فإن حصل فهو معه لا إله إلا الله، وإلا فإنه ما جاء إلا بلفظها فقط. وروحها وحقيقتها مفقود. فلا إله إلا الله ينقضها أشياء ليست هي من ذاتها؛ مما ينفي لا إله إلا الله: مسبة الرسول، ورمي أزواجه بالإفك، كل واحد منها ينقض هذه الكلمة العظيمة، فكيف بنفيها نفسها من عبادة غير الله وجعل الأوثان قبله قلب صاحبها؟! بل هذا أسوأ حالاً ممن يمتنع عن النطق بها؛ لأنه يُؤخذ

بأنه دخل في الإسلام ثم ما يوجد منه ، يفيد أنه انتكس عما تسمى به؛ فيكون مرتدًا، والمرتد أعظم حكمًا من الكافر الأصلي: منها أن ماله فيء إلى آخر أحكام المرتدين بخلاف اليهودي والنصراني والمجوسي فإنهم يتوارثون بينهم. هذا من تغليظ كفره، لأنه عرف ثم أنكر، وأبصر ثم عمي، فصار أغلظ ممن لم يقر أصلاً.

الثاني: (وهؤلاء الجهلة) المشركون (مقرون أن من أنكر البعث كَفَرَ وقُتِل ولو قال لا إله إلا الله) ولم تنفعه الشهاداتان، (و) هم مقرون أيضاً (إن من جحد شيئاً من أركان الإسلام) كوجوب الصلاة، أو وجوب الصيام، (كَفَرَ وقُتِل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئاً من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه) وأتى بما يناقضه؟! . ثم قال المؤلف - رحمه الله تعالى -: (ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث)، أي الأحاديث التي شبهوا بها، ولا حاموا حولها، وغشا على أبصارهم التقليد الأعمى والجمود، وإحسان الظن بأناس أعرضوا كل الإعراض عن التوحيد، وقلدوا من ظن أن قول لا إله إلا الله في هذه الأحاديث كافٍ مع الجهل بمدلول لا إله إلا الله.

والإنسان إذا أراد أن يطالع في كلام الفقهاء، فإنه يجد أن الإنسان إذا أتى بمكفر قول أو اعتقادي، فإنه يكفر ولا ينفعه جميع ما تسمى به وعمله. والمشركون في هذه الأزمان، زعموا أنه لا يكفر إلا من تعلق عليها وزعم أنها تستقل بجلب المنافع ودفع المضار، وهذا من كبير جهلهم، وهذا بعينه دين المشركين الذين ما أنزلت جميع الكتب، ولا أرسلت الرسل إلا

لردّه وإبطاله؛ فإن المشركين الأولين قلّ منهم من يزعم أن من يلجأ إليه يستقل بجلب المنافع ودفع المضار.

ثم أخذ - رحمه الله تعالى - يبين معناها:

(فأما حديث أسامة - رضي الله عنه -) - يعني: وقصته حين قتل الرجل الذي قال لا إله إلا الله -: (فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام، بسبب أنه ظن أنه ما ادّعاه إلا خوفاً على دمه وماله)، فإن الكفار زمن النبي ﷺ أحد رجلين: رجل يقول لا إله إلا الله موقن مخلص، ومنافق. وأما غيرهم فيأبون أن يقولوها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ هَيْتَنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ [الصفات: ٣٥-٣٦]، ويوضح ذلك قصة عم الرسول ﷺ حين قال له: «يا عم، قل لا إله إلا الله..» الحديث.

(والرجل إذا أظهر الإسلام، وجب الكف عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك) يعني: والحكم الشرعي أنه لا يُقتل، ويجب الكف عنه ما دام في حالة يحتمل أن يكون صادقاً ويحتمل أن يكون كاذباً حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، (وأنزل الله في ذلك: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّنُوا﴾ أي: فتثبتوا، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت) وهو التأمني والنظر إلى ما يصير إليه آخر الأمر (فإن تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل، لقوله: ﴿فَتَيَّنُوا﴾)، والتبين: شدة طلب البيان. (ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى) وليس المراد أنه يكف عنه مطلقاً. الناطق بالإسلام إن قامت القرائن أنه إنما قال ذلك ليسلم من القتل، فإنها تدوم عصمته حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، فإن تبين منه ما يخالف ذلك قتل. فقتله أسامة لظنه أنه لم يكن مخلصاً في قوله وإنما قاله تخلصاً. فليس فيه دليل على أن كل من قال

(لا إله إلا الله) فهو مسلم ومعصوم الدم، ولكن فيه دليل على أن يجب الكف
عمن قال (لا إله إلا الله) ثم بعد ذلك ينظر في حاله حتى يتبين.
قال الشوكاني: «لا شك أن من قال: لا إله إلا الله، ولم يتبين من أفعاله
ما يخالف معنى التوحيد فهو مسلم محقون الدم والمال، إذا جاء بأركان
الإسلام المذكورة في الحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله
إلا الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة...».

(وكذلك الحديث الآخر) «أمرت أن أقاتل الناس» (وأمثاله، معناه: ما
ذكرناه) ما ذكره المؤلف (أن من أظهر الإسلام والتوحيد، وجب الكف
عنه)، سواء احتمل الحال أنه متعوذٌ حقاً، أو يحتمل أنه صادق، (إلى أن
يتبين منه ما يناقض ذلك)، فإن تبين منه ما يناقض ذلك، فإنه يُقاتل شرعاً
حتى يدين بالإسلام.

فصار الذي لا يقول لا إله إلا الله أصلاً، يُعتبر قوله لا إله إلا الله، وإذا
قالها وهو قبل يقولها وهو على ما هو عليه من عبادة غير الله فإنه ما غير
شيئاً، فكأنه قال: أنا على ما أنا عليه قبل وهو قول لا إله إلا الله، فيقال
له: أنت تقاتل قبل وأنت تقول لا إله إلا الله، فهو ما خلع ولبس، بل هو
على ما هو عليه، وأهل الكتاب أيضاً حتى لو قالوا لا إله إلا الله، فإنهم
ما غيروا شيئاً.

فصار هنا ثلاث صور:

الأولى: أن يُعرف أنه حينما نطق بها عمل بها، فهذا لا يقتل.
الثانية: أن يُشكَّ في حاله، ولو يُظن أنه متعوذٌ فقط، فهذا أيضاً لا يقتل.
الثالثة: أن يقولها ولكن ينقضها، فهذا يقتل لقوله: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، لأنه تبين

منه ما يخالف الإسلام، فحلّ دمه وماله. وكذلك إذا كان من قبل يقولها ولا يعمل بها ومتكرراً منه ذلك، فلا لها حكم.
أي: أن لا إله إلا الله لا تنفعه في عصمة دمه وماله.

(والدليل على هذا) أي: على أن هذا هو مراد النبي ﷺ (أن رسول الله ﷺ الذي قال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟»، وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»، هو الذي قال في الخوارج وهم الفرقة التي خرجت على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» [رواه أحمد] مع كونهم من كثر الناس عبادة وتهليلاً، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة) فالخوارج يقولون لا إله إلا الله ويزيدون على قول لا إله إلا الله (فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام، لما ظهر منهم مخالفة الشريعة).

فتبين أن مراد النبي ﷺ بقوله: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟» أنه ليس كل من قال لا إله إلا الله لا يكفر ولا يقتل. فقولهم: إن من قال لا إله إلا الله لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل، من عظيم جهلهم؟ فكل إنسان ينظر في نصوص الشرع، فإنه موجود كثير ممن يقتل وهو يقول لا إله إلا الله، ومن قال خلاف ذلك فليس من أهل العلم بوجه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾.

بارك الله...

الخطبة الثانية

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
قال المؤلف - رحمه الله تعالى - إتماماً لما سبق: (وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقاتل الصحابة بني حنيفة)، فلو أن مجرد قول لا إله إلا الله يعصم الدم والمال، لما قاتل رسول الله ﷺ اليهود، وقاتل الصحابة بني حنيفة.
فليس مراده من «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟»، وقوله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»، وأحاديث أخر في الكفّ عمن قالها كما استدلوا به هنا؛ بل مراده ﷺ أن من كان قبل على الكفر ثم أسلم، فإنه يُكفُّ عنه كف انتظار، ولو أنه يحتمل. فالحكم الشرعي أنه يكفُّ عنه وينتظر؛ إن استقام على الإسلام استمر به، وإلا قتل قتلاً أشدّ من الأول، وأسوأ حالاً وأحكاماً من الأصلي، كما علم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

ثم قال المؤلف - رحمه الله -: (وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق وأمر بالغزو (لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقُ بَنِي فَبَيِّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾)، وكان الرجل كاذباً عليهم).

(فكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه) وكذلك الأمر بقتل الخوارج. فتبين مما تقدم أن قول لا إله إلا الله لا يكفي في عصمة الدم والمال، بل إذا تبين منه ما يناقض الإسلام قُتل، ولو قال لا إله إلا الله.

إذاً: ما الفرق بين هذه الشبهة والتي قبلها؟

والجواب: أما الأولى: فلما ذكر المؤلف أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين بأمرين، اعترضوا عليه بهذه الشبهة وهذه الفروق، وقالوا: نحن نشهد أن لا إله إلا الله فكيف تجعلوننا مثل أولئك الذين لا يشهدون.. إلخ، بل ما قصرتمونا عليهم، بل زدتمونا بهذين الأمرين.

فأجابهم المؤلف بقوله في جميع الشبه: إن من وُجد منه مكفر، بأن كان مصداقاً الرسول في شيء ومكذّباًه في شيء، أو وجد منه مكفر بأن رفع المخلوق في رتبة الخالق، أو وجد منه مكفر بأن غلا في أحد من الصالحين فادعى فيه الألوهية، أو وجد منه مخالفة الشريعة في أشياء مثل إباحته نكاح الأختين جميعاً، أو وجد منه مكفر بأي نوع كان من أنواع الردة، أو وجد منه مكفر بأن استهزأ بالله أو آياته.

وحاصلها: أن من وجد منه مكفر فهو مثلهم، وهو معه هذه الفروق يشهد أن لا إله إلا الله؛ إلى آخر ما ذكر.

وأما الثانية: فهي أنهم يقولون: إن من قال لا إله إلا الله فهو مسلم،
حرام الدم والمال، بدليل قصة أسامة.. الخ.

فأجابهم المؤلف بأن من أظهر الإسلام والتوحيد، وجب الكف عنه
إلى أن يتبين منه ما يخالف ذلك، فإن تبين منه ما يخالف ذلك قُوتل ولو
قالها، حتى يعمل بما دلت عليه.

هذا وصلوا...



الخطبة الأولى (١)

٢٢

الحمد لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون، وبعده ضل الضالون، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، أحمده - سبحانه - على هدايته وتوفيقه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له لا رب لنا سواه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، فالتقوى جماع الخيرات وبها تحصل البركات.

أيها المسلمون:

التوحيد أوجب الواجبات وأعظم العبادات، رتب الله - عز وجل - لمن حققه الثواب العظيم والأجر الجزيل في الدنيا والآخرة.

ولهذا كان للمؤلف قصب السبق في الرد على أهل الشبه وتبيين الحق وإظهاره. قال - رحمه الله تعالى -: (ولهم شبهة أخرى) يعني في أن الاستغاثة بغير الله ليس شركاً. وهي الشبهة الحادية عشرة؛ قولهم: أن

(١) الخطبة السادسة والعشرون من (كشف الشبهات): قولهم: إذا جازت الاستغاثة بالأنبياء في الآخرة فمن باب أولى أن تجوز في الدنيا.

الاستغاثة بغير الله ليست شركاً لجواز الاستغاثة بالأنبياء في الآخرة.
 - يعني: مشركي هذه الأزمان غير ما تقدم -: (وهو ما ذكر النبي ﷺ) وثبت (أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى) إذا اشتد وطال بهم الموقف عمدوا إلى الاستغاثة بهؤلاء.
 والاستغاثة: هي طلب الغوث؛ وهو إزالة الشدة كالاستنصار: طلب: طلب النصر، والاستعانة: طلب العون.

(فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ) فيقول: «أنا لها».
 ثبت في الحديث الصحيح حديث الشفاعة العظمى، أن الناس يوم القيامة إذا طال عليهم الوقوف والقيام على أقدامهم خمسين ألف سنة والشمس قد دنت في زحام شديد والشمس على رؤوسهم قريبة منهم وهم واقفون على أقدامهم، فعندما يحصل لهم هذا الكرب يتذكرون الشفاعة عند الله - عز وجل - فيرون أن الأنبياء هم أول الذين يشفعون عند الله فيأتون إلى آدم يطلبون منه أن يشفع عند الله لهم ليريحهم من الموقف، فيعتذر - عليه الصلاة والسلام - بسبب ما حصل منه من الخطيئة مع أنه تاب منها وتاب الله عليه ولكن يستحي من الله - عز وجل -، ثم يأتون إلى نوح - عليه السلام - أول الرسل فيعتذر، ثم يأتون إلى موسى - عليه السلام - فيطلبون منه فيعتذر، ثم يأتون إلى عيسى - عليه السلام - آخر أنبياء

بني إسرائيل فيعتذر لأن الموقف موقف عظيم أمام الله - سبحانه وتعالى -، ثم يأتون إلى محمد ﷺ فيقول ﷺ: «أنا لها أنا لها، ثم يأتي ويسجد بين يدي ربه ويحمد الله ويشني عليه ويدعوه ويستمر ساجداً بين يدي ربه حتى يقال له يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع» [رواه البخاري] لأن لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه والرسول ما ذهب إلى الله وشفع ابتداءً؛ بل استأذن من ربه وسجد بين يديه حتى أذن له، وهذا كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فيطلب من الله أن يفصل بين عباده ويريحهم من الموقف فيستجيب الله شفاعة محمد ﷺ وهذه تسمى الشفاعة العظمى والمقام المحمود وهي قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] بمعنى أنه يحمده عليه الأولون والآخرون. قال القبوريون فهذا فيه جواز الاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصالحين وأنتم تقولون لا يستغاث إلا بالله وقالوا فهذا يدل على أن طلب الشفاعة من الرسول ﷺ جائز حياً وميتاً وكذلك غيره.

(قالوا): - أي: قال المشبهون بهذا الحديث -: (فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً)، وهذا من جهلهم، ما عرفوا الفروق بين الاستغاثتين؛ فإن هذه استغاثة بمخلوق فيما يقدر عليه. فإن النبي ﷺ حياته معهم في القيامة أكمل، والاستغاثة الشركية التي أنكرناها هي ما يأتي بيانه؛ وهي الاستغاثة بالغائب، أو الميت، أو الحي الحاضر الذي

لا يقدر، وأما الجائزة فهي طلب الحي الحاضر، وجنس سؤال النبي ﷺ موجود في اليوم الآخر وإن كان قد انقطع العمل، موجود في النصوص أن النبي ﷺ يشفع لمن أذن له فيه. ففرق بين ما هو معلوم الجواز، وبين ما هو معلوم الحرمة والشرك.

(فالجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه)، فحال بينهم وبين معرفة الفروق، بين هذه الاستغاثة وهذه الاستغاثة! فصاروا لا يبصرون الشمس في رابعة النهار، فلم يفرّقوا بين الشرك والتوحيد، فهذه شيء وهذه شيء آخر، وبينهما فرق في الكتاب والسنة، وفرق في الحكم والحد.

(فإن الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه لا ننكرها)، يستغيث إنسان بإنسان في شيء يقدر عليه (كما قال الله - تعالى - في قصة موسى: ﴿فَاسْتَعْتَبْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب، وغيرها من الأشياء التي يقدر عليها المخلوق). قال الشوكاني: «طلب الحوائج من الأحياء جائز إذا كانوا يقدرون عليها».

(ونحن أنكرنا استغاثة العباد التي يفعلونها عند قبور الأولياء) الأموات مطلقاً، (أو في غيبتهم) والغائبين مطلقاً. والأنبياء يوم القيامة أحياء قادرين على الدعاء، واستغاثة الناس بهم هي استغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه.

فإذا ثبت أن الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه جائزة؛ تبين أن الاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة بهذا النوع. فالناس إذ ذاك يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة، كما كان أصحابه يسألونه ذلك في حياته، أما بعد موته فلم يحصل من ذلك شيء، بل ثبت عن السلف أنهم كانوا ينكرون على من يدعوا عند قبره - عليه الصلاة والسلام -.

وقوله: «عند قبور الأولياء أو في غيبتهم» خرج مخرج الواقع والغالب؟ وإلا فالأصنام ونحوها كذلك.

قال ابن قاسم - رحمه الله تعالى -: «وبهذه الثلاثة: العكوف والتعظيم والتبرك عُبِدت الأوثان من دون الله».

والحي الحاضر (في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله)، كالسؤال منه هداية القلوب؛ أو رفع جبل ونحوه، وهذه كلها استغاثة شركية، وكلها أنكرناها؛ فمن سوى بينهما فقد سوى بين المتضادين وسوى بين المختلفين، فهو نظير التفريق بين الممتثلين.

فإن الاستغاثة بالميت شرك أصلاً، لكونه فاقد الحراك ولا يدري ولا يقدر. والاستغاثة بالغائب أيضاً شرك، لكونه لا يسمع ولا يدري. والاستغاثة بالحي الحاضر فيها تفصيل؛ فإن كان فيما لا يقدر عليه كرد البصر بغير أمر طبي، أو هداية القلب بغير الإرشاد والحجة أو

نحو ذلك، فهذا كله شرك، أن يفعل بسرّه - أي بألوهيته - شيئاً من ذلك؛ فإن هذا لا يقدر عليه إلا الله.

والاستغاثة بالحي الحاضر القادر، أمر فطري ضروري معلوم بالشرع والحس والاستعمال؛ فإن الإنسان مدني محتاج إلى بني جنسه ومساعدتهم في جميع معاشه واتصالاته، وهكذا كل حياة العالم على هذا.

(إذا ثبت ذلك) أي: إذا تقرر ما تقدم - وهو الفرق بين الاستغاثتين؛ الاستغاثة الشركية التي أنكرناها، والجائزة، أن التي أنكرناها استغاثة العبادة.. إلخ، لا الاستغاثة بالحي الحاضر فيما يقدر عليه، (فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة) من الثانية؛ فإنها استغاثة بحي حاضر قادر، هم مع الناس حاضرين قادرين في حياة أكمل من هذه الحياة الدنيا، (يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس، حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف)، فحقيقتها: أن يرغبوا إليهم أن يسألوا الله ويدعوه.

(وهذا جائز في الدنيا) ولا محذور فيه، (و) جائز في الآخرة، أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك) قادر على الكلام، (وتقول له: ادع الله لي) لأنه متمكن؛ وكذلك الأنبياء مع الناس يوم القيامة متمكنون أن يسألوا الله ويدعوه، والناس في موقف القيامة لم يستغيثوا بهؤلاء الأنبياء الكرام ليزيلوا عنهم الشدة، ولكنهم

يستشفعون بهم عند الله - عز وجل - ليزيل هذه الشدة، وهناك فرق بين من يستغيث بالمخلوق ليكشف عنه الضرر والسوء، ومن يستشفع بالمخلوق إلى الله ليزيل الله عنه ذلك.

(كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه) ذلك (في حياته)، كما قالت أم أنس - رضي الله عنها -: «يا رسول الله، خويدمك أنس ادع الله له»، فقال: «اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته» [متفق عليه]. وكما قال عكاشة ابن محصن - رضي الله عنه -: «ادع الله أن يجعلني منهم». «فقال: أنت منهم» [رواه مسلم].

(وأما بعد موته: - فحاشا وكلا - أنهم سألوه ذلك عند قبره)، بل جاءتهم الكروب ولم يأت أحد زمن الحرّة ولا غيرها، بل يعدونه من أعظم المنكرات، فإن هذا هو الشرك الأكبر، ولعلمهم أن ذلك مختص في حياته، وأنه انقطع بعد مماته، فلا يستغيثونه ولا يسألونه أن يدعو الله لهم، أو يدعو له.

(بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله) وحده مخلصاً (عند قبره) ﷺ يظنه أجوب، كما أنكر علي بن الحسين، - وهو أعلم أهل البيت في زمانه -، على من أتى قبر النبي ﷺ يدعو الله فيها وقال: ألا أحدثك حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تتخذوا قبوري

عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلّوا عليّ، فإن صلّاتكم تبلغني حيث كنتم». (فكيف دعاؤه) النبي (نفسه؟) إذا كان هذا إنكار السلف على من قصد دعاء الله وحده لا شريك له عند قبر النبي فكيف دعاؤه نفسه؟ كيف لو وجدوه يدعو النبي نفسه؟ فإنهم يكونون أشد إنكاراً؟ فإن الأول: بدعة ولا يجوز. وأما الثاني: فهو الشرك الأكبر؛ لأنه صدر منه مخ العبادة وهو دعاء غير الله، فما ظنك لو سمعوا من يقول: انصرتني أو ارزقني؟! قال ابن عثيمين: «وفرق ظاهر بين من يستغيث بالمخلوق ليكشف عنه الضر والسوء، وبين من يتشفع بالمخلوق إلى الله - تعالى - ليزيل عنه ذلك».

أعوذ بالله من الشيطان: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤].
بارك الله لي وليكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، أحمدته وأشكره وأثنى عليه، وأصلي وأسلم على نبيه محمد ﷺ.
عباد الله:

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - إتماماً لما سبق: (ولهم شبهة أخرى) وهي الشبهة الثانية عشرة: استدلالهم على أن الاستغاثة بالأموات والغائبين ليست شركاً بعرضها على إبراهيم من جبريل.

(وهي قصة إبراهيم - عليه السلام - لما ألقى في النار) حينما أمر عدو الله النمرود بجمع حطب عظيم، ثم أضرم فيه النار وأمر بإلقاء إبراهيم فيها (اعترض له جبريل في الهواء) حين ألقى من المنجنيق (فقال: ألك حاجة؟) في هذه الضيقة والشدة أنفعك بها؟ (فقال إبراهيم - عليه السلام -: أما إليك فلا)، فصبر في شدة هذه الحاجة، ثم قال إبراهيم - عليه السلام -: حسبنا الله ونعم الوكيل، أي: كافينا الله وحده ونعم الموكول إليه أمر عباده، فقال الله - تعالى - للنار: ﴿قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝﴾ [الأنبياء: ٦٩] فكانت برداً وسلاماً عليه.

فالمقصود: أن هؤلاء المشركين شَبَّهوا بهذه القصة (قالوا: فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركاً، لم يعرضها على إبراهيم)، فعرضها على إبراهيم

من جبريل، يجوز الاستغاثة به، وإلا لما جاز. وأصل ضلالهم في هذه الشبهة، عدم التفريق بين الجائز والحرام، وعدم العلم والاطلاع على ما في الكتاب والسنة والإجماع من بيان ذلك.

(فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه) وهو حي حاضر قادر؟ فإن هذا من جنس الاستغاثة بالحي الحاضر القادر، فلو أذن الله لجبريل لأنقذ إبراهيم بما أعطاه الله - تعالى - من القوة (فإنه كما قال الله فيه: ﴿عَمَّهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾)، فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال، ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل)، كما صنع حين أمر بقلع ديار قوم لوط وما حولها من القرى حتى بلغ بها عنان السماء، (ولو أمره أن يضع إبراهيم - عليه السلام - في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل).

ثم مثل المؤلف بحالة إبراهيم وجبريل بمثل ضربه له؛ فقال: (وهذا كرجل غني له مال كثير، يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه، أو أن يهب له شيئاً يقضي به حاجته) هذا مثل جبريل بمثل عقلي ضربه له (فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ، ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد) هذا مثل إبراهيم - عليه السلام -، فكما أن الفقير لو قيل من الغني لم يكن مشركاً فكذلك هذه.

(فأين هذا من استغائة العبادة والشرك) التي يفعلونها مع الأموات والغائبين، وهي عينُ شركِ المشركين الأولين، من هذه الاستغائة المذكورة في قصة إبراهيم (لو كانوا يفقهون؟!) فهذا جنس وهذا جنس، فمن سوى بينهما فقد سوى بين المتباينين من كل وجه.

هذا وصلوا...



الخطبة الأولى (١)

٣٣

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير. أحمدده - سبحانه - على ما أسداه وأولاه من الإنعام والإكرام والخير الكثير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا ظهير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، السراج المنير والبشير النذير، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله - عباد الله - حق التقوى، وسارعوا إلى مغفرته ورضاه، فقد خلقكم لأمر عظيم، وهياكم لشأن جسيم، خلقكم لعبادته، وأمركم بتوحيده وطاعته.

أيها المسلمون:

اعلموا - رحمكم الله تعالى - أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل

السالكين.

والتوحيد هو أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، وقطب رحاه، وذروه

(١) الخطبة السابعة والعشرون من (كشف الشبهات): خطبة في مسألة الإيمان.

سنامه، قامت عليه الأدلة، ونادت عليه الشواهد، وأوضحته الآيات، وأثبتته البراهين، نصبت عليه القبلة، وأسست عليه الملة، ووجبت به الذمة، وعصمت به الأنفس، وانفصلت به دار الكفر عن الإسلام، وانقسم به الناس إلى سعيد وشقي ومهتد وغوي.

وقد ختم المؤلف - رحمه الله تعالى - رسالة كشف الشبهات بمسألة عظيمة مهمة يجب تفهمها وتعقلها لأنه إذا فهمها الإنسان فإنه يدرك أخطاء الناس في العقيدة. وهذه المسألة هي: أن التوحيد يكون بالقول والعمل والاعتقاد، لا بد من هذه الأمور الثلاثة فإذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة صار الإنسان موحداً مؤمناً بالله ورسوله وإذا اختلف واحد منها لم يكن مؤمناً ولا موحداً.

عباد الله: التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختلف واحد منها انتفى الإسلام. وفي هذا رد على شبه أهل الإرجاء وأوضح حقيقة التوحيد.

قال المؤلف - رحمه الله تعالى -: (ولنختم الكلام - إن شاء الله تعالى - بمسألة عظيمة مهمة جداً تفهم مما تقدم) من أجوبة الشبهات السابقة؛ مجموعُ جواب الشبهات السابقة يكفي، لكن متفرق فيها، وإفرادها يكون

أوعى لها وأحفظ، ذُكرت في الأجوبة عموماً وههنا خصوصاً (ولكن نُفرد لها الكلام، لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها) وما كان كذلك كان حقيقاً أن يحفظه الطالب، وأن يثني عليه الخناصر.

(فنقول: لا خلاف) بل إجماع بين أهل العلم (أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل) فلا بد من الثلاثة:
لا بد أن يكون هو المعتقد في قلبه. ولا بد أن يكون هو الذي ينطق به لسانه. ولا بد أن يكون هو الذي تعمل به جوارحه.
والناس بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام:

الأول: مؤمنون ظاهراً وباطناً، ويدخل فيه جميع المؤمنين، الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق للخيرات.
والثاني: كافر ظاهراً وباطناً، وهو المعلن للكفر، والمعلن للكفر كافر، لا ينفعه تصديقه الباطن أو معرفته الباطنة.
والثالث: مؤمن ظاهراً لا باطناً، وهم المنافقون.

وهذه الأقسام الثلاثة ذكرها الله في مواضع كما فصلها في أول سورة البقرة؛ ذكر صفات المؤمنين، وصفات الكافرين، وصفات المنافقين.
(فإن اختل شيءٌ من هذا)، لو وحّد بلسانه دون قلبه ما نفعه توحيده، ولو وحّد بقلبه وأركانه دون لسانه ما نفعه ذلك، ولو وحّد بأركانه دون الباقي (لم يكن الرجل مسلماً) هذا إجماعٌ أن الإنسان لا بد أن يكون موحداً باعتقاده ولسانه وعمله.

وهذه أمثلة اختلال واحد من هذه الثلاثة:

(فإن عَرَفَ التوحيد ولم يعمل به، فهو كافر معاند) إذا اعتقد ولا نطق ولا عمل بالحق بأركانها، فهذا كافر عند جميع الأمة، (كفرعون) كما في آية: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

(وإبليس) أي؛ وكذلك إبليس يعرف الحق كما قال: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ ﴾، و﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ فكفرهما كفر عناد؛ فإن فرعون وإبليس يعرفان الحق في الجملة. وقد ينطقون به، وبعض الكفر يكون عن جهل وعدم بصيرة. (وأمثالهما) كعلماء اليهود - أمة الغضب -، وأمثالهم ممن يعلم الحق ولا يعمل به.

(وهذا) المقام - مقام التوحيد، وأنه لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل - (يغلط فيه كثير من الناس)، منهم من إذا نُعت له التوحيد (يقولون: هذا حق ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق)، وهذا الذي ندين الله به، (ولكن) يعتذرون، يقولون: (لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم)، يعني: ما يوافقون أهل بلده، (وغير ذلك من الأعذار) التي اعتذر بها، يعني: ليس عن جهل بها، ما جحدوها، لكن آثروا العاجل

والحطام على الآجل، (ولم يذر المسكين) أي؛ المعدم من الفقه والبصيرة (أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار) التي هي مثل هذه الأعذار، (كما قال تعالى: ﴿ أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾) ففي هذا أنهم عرفوا الحق، وإنما آفتهم شهوتهم، وإيثار عاجلهم على آجلهم. (وغير ذلك من الآيات كقوله: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾) فعلماء اليهود يعرفون الحق ويعرفون أنه الحق، ولكن رياساتهم منعتهم من الانقياد له. فمعرفتهم وإقرارهم بالحق ما نفعهم، حيث تركوا العمل به والانقياد، كما كان اليهود قبل مبعث النبي ﷺ يقولون: إنه ظلّ زمن الأنبياء، ووالله لئن بُعث نبيّ لנقاتلنكم معه، قال تعالى: ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية. وهذا العذر لا ينفعهم عند الله ﷻ لأن الواجب على المرء أن يلتزم رضا الله - عز وجل - ولو سخط الناس، وأن لا يتبع رضا الناس بسخط الله - عز وجل -.

قال ابن القيم: «وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل، فالأول أصل فتنة الشبهة، والثاني أصل فتنة الشهوة» وقال - رحمه الله -: «فتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهناك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى».

(فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً) جرى على لسانه وعملت به أركانه (وهو لا يفهمه) أي الأمر الذي يدخل الإنسان به في الإسلام (أو لا يعتقد به بقلبه)، أو فهمه ولكن لم يتقد بجنانه (فهو منافق، وهو شرٌّ من الكافر الخالص)، فإن الكافر الخالص أتى الشر من وجهه، ولا خادع ولا دلس ولا لبس وخان ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ يعني: تحت الكفار؟ فهم أشرُّ من الكفار في الآخرة.

والنفاق: مشتق من نافقاء اليربوع، إذا خالف باب جحره.

وفي الشرع: مخالفة الظاهر للباطن، إما في الاعتقاد كمن يقول: باللسان ويعمل بالأركان ولكن يخالف بالجنان. فهذا نفاق أكبر ناقل عن الملة. وقد ذكر الله المنافقين في ثلاث عشرة آية من سورة البقرة، بخلاف الكافر الأصلي فإنه أهون كفراً من المنافق، والكفار الأصليون ذكروا في آيتين من سورة البقرة.

والقسم الثاني: نفاقٌ عملي، وهو ما ذكر في الحديث: «إذا حدثت كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوّمتن خان»، وصاحبه لا يكون مثل الأول، وهو أعظم من الكبائر؛ فإن جنس ما أتى في النصوص بتسميته كفراً أو نفاقاً فهو أعظم مما أتى أنه معصية متوعدٌ عليها بوعيد؛ لأن ذنب الشرك والنفاق، أعظم من غيره وأقبح.

عباد الله: لا زال المؤلف يتحدث عن التوحيد حيث قال:

(وهذه المسألة) - مسألة أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل - (مسألة كبيرة طويلة) جداً، يعني أن تتبعها يطول بسبب أن كثيراً من الناس قد يأبى الحق خوفاً من أن يلام عليه، أو رجاء لجاه أو دنيا فيحتاج أن يتتبع أحوال الناس ويعرفها تماماً حتى يعلم من هو منافق ومن هو مؤمن إيماناً خالصاً. (تبين لك اذا تأملتها في السنة الناس)، في أحوال الناس وأردت تحصيل ثلاثة الأمور: كونهم اعتقدوه، ونطقوا به بألسنتهم، وكمّلوه بأعمالهم؛ فإنك تجد الأكثر لم يكملوا هذه الثلاثة، بل إما هذا، وإما هذا، وإما إثنان.

وحاصل أسباب ترك العمل بالحق بعد معرفته: (ترى من يعرف الحق) لكن (يترك العمل به) وهذا مثل علماء اليهود، ومثل فرعون، ومثل إبليس، (لخوف نقص دنيا، أو جاه، أو مداراة) هذا قسم.

(و) القسم الثاني: (ترى من يعمل ظاهراً) أما قلبه فلا يصل إليه حقيقة الاعتقاد، (فإذا سألته عما يعتقد بقلبه، فإذا هو لا يعرفه)، فالأول كثير، والثاني دونه، والثالث قليل.

فالذي يعرفه وينطق به كثير، وكذلك الذي يعتقد ويتكلم به كثير، والثالث: الذي يعتقد ويعمل ولا ينطق، وهو قليل.

(ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله)، فإن بفهمهما يتبين لك ما قرره

المؤلف من أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل.. إلخ.

(أولاهما: ما تقدم من قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾،

فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا

بسبب كلمة) واحدة (قالوها على وجه المزمح واللعب لا على سبيل الجد،

تَبَيَّنَ لك أن الذي يتكلم بالكفر، أو يعمل به خوفاً من نقص مال، أو جاه،

أو مداراة لأحد، أعظم ممن تكلم بكلمة يمزح بها) وأولى وأحق بالكفر

ممن تكلم بكلمة يمزح بها وهو من الصحابة. أفالصحابة الذين قالوها

يصيرون كفاراً وهؤلاء لا يصيرون كفاراً؟!

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا

اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٧].

الخطبة الثانية

الحمد لله كفانا وآوانا، وأطعمنا وسقانا، وعافانا وهدانا، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله.

عباد الله: (والآية الثانية) - من الآيتين الداليتين على مراد المؤلف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل.. إلخ -، (قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ أي: من صدر منه الكفر (﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾) أي: إلا من كان في حقه شرطان: الأول الإكراه، فلا بد أن يكون مكرهاً.

والثاني: كون قلبه مطمئناً ساكناً بالإيمان.

(فلم يعذر الله) لم يستثن الله (من هؤلاء، إلا من أُكْرِهَ، مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان).

والإكراه: كونه وصل إلى حدٍّ يخشى على نفسه القتل أو ولده؛ فهذا يجوز أن ينطق بكلمة الكفر التي أكره عليها، بشرط كون قلبه مطمئناً بالإيمان؛ أي: معتقداً الحق بجنانه، لكن إن كان لما أكرهه بطاع بقلبه ولم يكن مطمئناً، فهو من أهل الكفران. والإكراه لا يكون إلا على القول أو الفعل، أما عقيدة القلب فلا يطلع عليها إلا الله، ولا يتصور فيها الإكراه.

(وأما غير هذا، فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفاً، أو مداراة، أو مشحّة بوطنه، أو أهله، أو عشيرته، أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض، إلا المكره).

(والآية تدل على هذا)، أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل (من جهتين):

(الأولى قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾، فلم يستثن الله إلا المكره، ومعلوم أن الإنسان لا يكرهه، لا يتصور في حقه الإكراه (إلا) بهذين الأمرين: (على العمل، أو الكلام، وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها) فإذا فعل وصدر منه الكفر، فإنه كافر بعد إيمانه.

(والثانية): - تقدم قول المؤلف أنها تدل على ما قرره من جهتين وتقدمت الجهة الأولى وهذه الثانية - (قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا﴾ الباء للسبب، يعني: ذلك بسبب محبتهم ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ يعني: الجنة. فإنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فكان كفرهم سببه أنهم استحبوا الدنيا على الآخرة، ويعني بالدنيا كل ما يتعلق بها من جاه، أو مال، أو رئاسة أو غير ذلك ممن آثر الدنيا بما فيها على الآخرة، وكفره من أجل إيثار الدنيا، فإنه يكون كافراً وإن لم يكن مستحباً للكفر ولكنه مستحب لحياة الدنيا فإنه يكفر.

(فصرح أن هذا الكفر والعذاب) المحكوم به عليهم في هذه الآية
والمرتّب على ما صدر منهم (لم يكن بسبب الاعتقاد، أو الجهل، أو
البغض للدين، أو محبة الكفر، وإنما سببه) أي: صدور الكفر منه، أنه
تكلم بالكفر لسبب، - وهو أن له في التكلم بالكفر شيئاً واحداً، - وهو
(أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا) يحصل له، فيرتكب هذا المحذور
لأجل أنه لا يحصل له مطلوبه إلا - والعياذ بالله - بإيثار الحياة الدنيا،
(فآثره على الدين) على الآخرة.

فالإنسان الذي يُلجئهُ من يُلجئهُ إلى أن يصدر منه الكفر له حالات:
أحدها: أن يمتنع ويصبر عليها، فهذه أفضل الحالات.
الثانية: أن ينطق بلسانه مع اعتقاد جنانه بالإيمان، فهذا جائز له، تخفيف ورحمة.
الثالثة: أن يُكره فيجيب ولا يطمئن قلبه بالإيمان؛ فهذا غير معذور وكافر.
الرابعة: أن يُطلب منه ولا يُلجأ؛ فيجيب - ما وصل إلى حد الإكراه -
ولكن يوافق بلسانه، وقلبه مطمئنٌ بالإيمان، فهذا كافر.
الخامسة: أن يُذكر له ولا يصل إلى حد الإكراه، فيوافق بقلبه ولسانه،
فهذا كافر.

(والله سبحانه وتعالى أعلم) ختم المؤلف - رحمه الله تعالى - رسالته

(كشف الشبهات) برد العلم إلى الله ﷻ فهو العليم الحكيم.

ثم حمد الله - عز وجل - بقوله: (والحمد لله رب العالمين) حمداً يليق

بجلاله وعظيم سلطانه.

ثم قال:

(وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين).

هذا وصلوا.



الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٧	١- الخطبة الأولى (أهمية التوحيد)
١١	الخطبة الثانية
١٥	٢- الخطبة الأولى (الخوف من الشرك)
٢٠	الخطبة الثانية
٢٢	٣- الخطبة الأولى (من فضائل التوحيد)
٢٨	الخطبة الثانية
٣٠	٤- الخطبة الأولى (مهمة الرسل الأولى)
٣٦	الخطبة الثانية
٣٩	٥- الخطبة الأولى (الإخلاص لله في العبادة)
٤٤	الخطبة الثانية
٤٧	٦- الخطبة الأولى (ملخص كتاب كشف الشبهات)
٥٣	الخطبة الثانية
٥٦	٧- الخطبة الأولى (مقدمة في بيان دين المرسلين ودين المشركين)
٦٢	الخطبة الثانية
٦٦	٨- الخطبة الأولى (تعريف التوحيد)
٧٢	الخطبة الثانية

الموضوع	الصفحة
٩- الخطبة الأولى (حال العرب قبل بعثة النبي ﷺ)	٧٥
الخطبة الثانية	٨٠
١٠- الخطبة الأولى (رسالة النبي ﷺ)	٨٣
الخطبة الثانية	٨٩
١١- الخطبة الأولى (توحيد العبادة)	٩٢
الخطبة الثانية	٩٩
١٢- الخطبة الأولى (الالتجاء إلى الصالحين ودعائهم ليس بعبادة)	١٠٢
الخطبة الثانية	١١٠
١٣- الخطبة الأولى (التوحيد الذي دعت إليه الرسل)	١١٢
الخطبة الثانية	١١٧
١٤- الخطبة الأولى (معنى لا إله إلا الله)	١٢٠
الخطبة الثانية	١٢٧
١٥- الخطبة الأولى (الفرح بنعمة الهداية إلى التوحيد)	١٢٩
الخطبة الثانية	١٣٥
١٦- الخطبة الأولى (الابتلاء والتمحيص لأهل التوحيد)	١٣٧
الخطبة الثانية	١٤٤
١٧- الخطبة الأولى (حزب الله هم الموحدون)	١٤٧
الخطبة الثانية	١٥٥
١٨- الخطبة الأولى (الرد على المشركين)	١٥٧
الخطبة الثانية	١٦٤

الصفحة	الموضوع
١٦٦	١٩- الخطبة الأولى (شبهة الأولياء والصالحون لهم جاه عند الله)
١٧١	الخطبة الثانية.....
١٧٣	٢٠- الخطبة الأولى (شبهة الفرق بين دعاء الأصنام ودعاء الصالحين)
١٨١	الخطبة الثانية.....
١٨٤	٢١- الخطبة الأولى (شبهة الكفار المنفعة ونحن نريد الشفاعة)
١٩١	الخطبة الثانية.....
١٩٣	٢٢- الخطبة الأولى (شبهة الالتجاء إلى الصالحين ليس بعبادة)
١٩٨	الخطبة الثانية.....
٢٣	٢٣- الخطبة الأولى (شبهة أن من ينكر الشرك فقد أنكر شفاعه الرسول
٢٠١	ﷺ) والصالحين.....
٢٠٨	الخطبة الثانية.....
٢٤	٢٤- الخطبة الأولى (شبهة أن النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلب
٢١٠	منه مما أعطاه الله).....
٢١٦	الخطبة الثانية.....
٢١٩	٢٥- الخطبة الأولى (شبهة خصوصية الشرك بعبادة الأصنام)
٢٢٥	الخطبة الثانية.....
٢٢٨	٢٦- الخطبة الأولى (الفرق بين شرك الأولين وشرك الآخرين).
٢٣٥	الخطبة الثانية.....

الموضوع	الصفحة
٢٧- الخطبة الأولى (الجواب الثاني لشبهة من آمن ببعض وكفر ببعض) ٢٣٨	الخطبة الثانية..... ٢٤٤
٢٨- الخطبة الأولى (إجماع العلماء على كفر بني عُبيد مع إظهارهم الإسلام لفعالهم ما يناقضه) ٢٤٧	الخطبة الثانية..... ٢٥٤
٢٩- الخطبة الأولى (شبهة من أدى بعض واجبات الدين لا يكون كافراً ولو أتى بما ينافي التوحيد) ٢٥٧	الخطبة الثانية..... ٢٦٤
٣٠- الخطبة الأولى (الفائدة من تعلم التوحيد وأنه أعظم فريضة) ٢٦٧	الخطبة الثانية..... ٢٧٢
٣١- الخطبة الأولى (شبهة من قال لا إله إلا الله لا يقتل ولو فعل ما فعل) ٢٧٤	الخطبة الثانية..... ٢٨١
٣٢- الخطبة الأولى (قولهم إذا جازت الاستغاثة بالأنبياء في الآخرة فمن باب أولى أن تجوز في الدنيا) ٢٨٤	الخطبة الثانية..... ٢٩٢
٣٢- الخطبة الأولى (خطبة في مسألة الإيمان) ٢٩٥	الخطبة الثانية..... ٣٠٣
الفهرس	٣٠٧